THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY
GENERAL LIBRARY

فضل الله الأنصاري
عالية وعالمية مع إجازة التدريس

قبس من القرآن

حلول علمية ولغوية جذرية وتحليل أدبي لأهم المواضيع الاجتماعية الدينية

UAR. 3116. al-Anṣārī.
pabs.

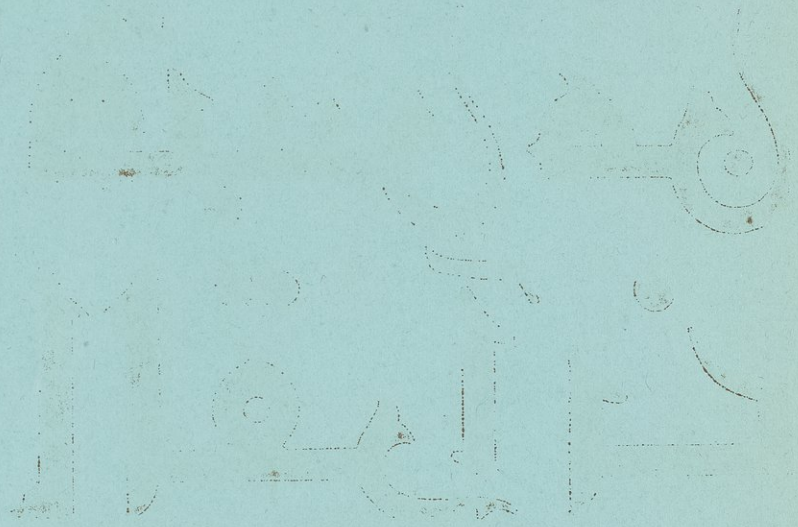

قبس من القرآن

حلول علمية ولغوية جذرية وتحليل أدبي لأهم المواضيع الاجتماعية الدينية

بقلم

فضل الله الانصاري

عالمية مع إجازة التدريس

اقرأ آخر بحث في الكتاب أسلوب القتال في الإسلام ودعوته إلى السلام

BP
130.1
.A5

إلهي إنّ قرآناً كريماً

أتانا بالرفيع من الصفات

حوى كلّ العلوم فكان سفراً

فريداً فيه كلّ المعجزات

الاهـداء

إلى : صاحب المعجزة الكبرى «القرآن» والرسالة العظمى «الإسلام»
إلى حامي وحامل لواء العلم والعمل بأمانة وصدق وعدل ...
إلى المشرع الأكبر في الأرض والسيد الأعظم المطاع « **محمد بن عبد الله** » عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ...

إلى : روح والدي المؤمن العلامة « الشيخ **محمد خالد الأنصاري** » الذي كان أشرق في سماء الشجاعة والبطولة كوكبه ، وعلا في ميادين العلم والفضيلة مناره ، والذي تعهدني بكريم الإستقامة وحسن الرعاية ...

إلى : كل مؤمن بالحق والعدالة لا يتبع هواه ولا يخشى إلا الله . ولا يجرف في تيار الحزبية والعصبية الفردي أو الجماعي . وإنما هو رهين الحق أينما كان ...

فضل الله الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

ان القرآن الكريم كتاب الله المعجز فيه البيان والتبيان وفيه الهدى والنور وهو السبيل الى السعادة والفلاح وهو السفر الفريد الذي بين دفتيه علوم الدنيا والآخرة . من قرأه وحفظه وغاص في بحار أسراره ، وعلومه وحكمه ملك أعظم ثروة علمية وخلقية في دنياه ومن عمل به ونفذ أحكامه وأتمر بأمره وانتهى بنهيه فقد حاز على السعادة الدنيوية والأخروية .

ولما كان القرآن الكريم الدستور الخالد المسلمين لأنه تشريع السماء الى الأرض فالله أحكمه أحكاماً ويسره تيسيراً وحفظه من أيدي العبث والتزوير فقال تعالى (كتاب أحكمت أياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر) وقال تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ولهذا كله أمر الله رسوله أن يرتل القرآن ترتيلا أي أن يجوده تجويدا لتعصم الألسن عن الخطأ فيه أولاً ولتدرك العقول والقلوب معانيه وأسراره وتتذوق أسلوبه وألفاظه .

ولقد علم الله رسوله عن طريق جبريل كيفية تلاوة القرآن الكريم وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه كيف يرتلون كتاب الله وتناقل المسلمون ذلك جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن ولقد مضى على نزول القرآن الكريم أربعة عشر قرناً وهو محفوظ بالصدور مقروء بالألسن ، مكتوب بالمصاحف كما أنزل وسيبقى محفوظاً كما أنزل دهر الداهرين وأبد الآبدين الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

ولما كانت التلاوة للقرآن الكريم فناً من الفنون وعلماً من العلوم

ولا بد لمن يتلو القرآن من الاطلاع على الالفاظ التي يتلوها ليفهم معانيها التي ترشده الى الأحكام الواردة فيها فقد استجبنا لرغبة وزارة التربية والتعليم في تحقيق ماطلبته منا بهذا الشأن فانا قد حرصنا على أن نوفق بين مهمتي اللغة والتفسير في هذه السور لتكون مرجعاً علمياً لكل راغب في المواضيع الاجتماعية الدينية الهامة التي تعرضت لذكرها بعض السور في القرآن الكريم بصورة اجمالية لا تفصيلية فكان لابد من عناية خاصة واهتمام بالغ وجهود تبذل لادراك تلك الغاية بأسلوب سهل ممتع لا إسهاب فيه ولا إيجاز ملتزمين حدود الحاجة لذلك ماأمكن ليسهل على القاصد تناول مايريد وهو يشعر بلذة المطالعة وجني الثمرة من غير ثقل أو ملل والله أسأل أن يجعل هذه المساعي الخيرة خالصة لوجهه الكريم في سبيل نشر العلم بغية النفع به في الدنيا والآخرة والله هو الموفق.

قبس من القرآن جاء محلقاً ... في عالم التفكير والإبداع
فاقرأ به تجد البعيد مقرباً ... يجني اليك بمنتهى الإشباع

١٥ محرم ١٣٨٢
١٧ يونيه ١٩٦٢

فضل الله الأنصاري
الاستاذ في ثانويات حمص

وهذه أبيات للمؤلف من قصيدة له في وصف « القرآن الكريم »

كتاب الله دستور مبين ... يوضح في الحياة المشكلات
علوم الأولين لنا رواها ... وأعطانا دروس الموعظات
أبان لنا طريقاً مستقيماً ... وشق أمامنا سبل النجاة
وعرفنا علواً إن أردنا ... وعزاً في سماء المكرمات
وساق لنا دليلاً لا يمارى ... بأن الله رب الكائنات
باسلوب بليغ لا يجارى ... وذكر المشركين من الغلاة

◎ ◎ ◎

أبان لنا الجنان وحوريات ... وأنهاراً عيوناً جاريات
بتصوير له في النفس وقع ... كأنك في الجنان العاليات
وعرضنا لذكر النار طوراً ... وأن لهيبها كالقاذفات
تزيل الجلد عن صفحات وجه ... كما تشوي الوجوه بحاميات
وذكرنا صنيع الله فينا ... ورحمته بأيد باسطات
وأعلن في جلاء ماسيأتي ... علينا من قضايا غامضات

◎ ◎ ◎

الهي إن قرآناً كريماً ... أتانا بالرفيع من الصفات
حوى كل العلوم فكان سفراً ... فريداً فيه كل المعجزات
فلا شعر له يسمو ونثر ... ولا ما يدعى من خارقات

لذاك نرى به في كل حين جديداً من معان مشرقات
من الألفاظ رقت فاسترقت قلوب العالمين مدى الحياة
لقد عجز الخلائق أن يجيئوا بعشر مثله باهي السمات

◎ ◎ ◎

هو القبس المشع لكل قلب بأنوار تضيء الحالكات
هو الأصل الذي يبقى منيراً على كل العوالم للممات

◎ ◎ ◎

تبارك من تنزله بوحي نجوماً كاشفاً للحادثات
تبارك من تنزله بلفظ هو العربي أصلاً في اللغات
تبارك من تكفله بحفظ ومن أيد العدو اللاعبات
لك اللهم منا كل حمد وشكر للهدى والبينات

◎ ◎ ◎

فيا غوثاه . يامولاي إنا لجأنا كي تبيد المفسدات
لجأنا كي تعيد المجد فينا وأخلاقاً إلينا كاسيات
لجأنا كي تبلغنا انتصاراً عزيزاً قاصماً ظهر العداة
لجأنا كي تبلغنا وصولاً إلى التقوى ونحظى بالتقاة
ونحظى بالأماني لا الغواني ونظهر للعدى بالقاتلات
ونظهر أننا قوم أباة أبينا أن نذل لكل عاتي

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفاتحة

بين يدي السورة :

افتتح الله سبحانه وتعالى كتابه العربي المبين بسورة الفاتحة فهي على هذا مفتاح القرآن لما جمعته في آياتها من اسلوب الخطاب وانواع البلاغة في الايجاز والاعجاز وهي أيضاً مجمع البيان الفائض بأسرار المعاني الزاخرة كلما تليت ورتلت . ولقد نزلت سورة الفاتحة قبل الهجرة فهي على هذا مكية وعدد آياتها سبع باتفاق الأئمة والعلماء والقراء الا أنّ وجهة النظر عند الائمة تباينت في كون البسملة آية من الفاتحة أولا : فالذين يرون أن البسملة من الفاتحة يعدون الآية السابعة هي قوله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وأما الذين لايرون أن البسملة آية من الفاتحة فيعدون الآية السابعة هي قوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وللفاتحة أسماء عدة : منها أم الكتاب ، السبع المثاني الخ وأشهرها الفاتحة .

جو الفاتحة ومقاصدها :

ان جو (الفاتحة) كغيرها من السور المكية فهي تدعو الى تثبيت العقيدة باسلوب تستولي به على الارواح والمشاعر وتدعو الى التسليم والاطمئنان بما توحيه من معان يستشف قارئها من خلال الفاظها الأيمان والرحمة والهدى والاستعانه بالله تعالى : وهي بصورة اجمالية تشتمل على مقاصد الدين الاسلامي ففيها الوعد والوعيد وفيها التعبد والتوحيد وفيها الأرشاد الى معالم الخير والنهي عن طريق الشر ولهذه المزايا سميت بأم القرآن وافتتح الله بها كتابه وجعلت الصيغة التي يناجي بها العباد خالقهم ويحمدونه ويتضرعون اليه ويستهدونه أقوم السبل .

من وحي السورة :

ان المسلم يردد هذه السورة في كل ركعة من صلواته المفروضة وغير المفروضة يرفعها لله تعالى وهو خاشع مخلص يخاطبه بألفاظها كأنما ينظر اليه بدون حاجز أو حجاب وكلما اتجه المسلم الى خالقه بفاتحة الكتاب ترتفع نفسه عن دنيا الناس لتحسن صلتها بالله العلي العظيم .

يقرؤها المسلم مبتدأ باسم الله تعالى مصدقا بما اختص الله تعالى وانفرد من عظيم الأسماء وكمال الصفات وينطلق يخاطبه بها ويناجيه في خشوع وأدب معترفاً بوحدانيته لايشرك معه أحداً من الانس والجن والملائكة معتمداً عليه لايستعين بغيره مهما داهمته الشدائد والملمات ثم أنه ليبدو مصرا على طلب الهداية الى الصراط المستقيم الذي سلكه الأنبياء والمرسلون وعباد الله المقربون والشهداء ممن أنعم الله عليهم .

ويظل المؤمن قوي الرجاء عظيم الأمل بالله في أن يحقق له ذلك دون أن يستحوذ عليه الشيطان أو يثنيه عن ذلك غرور أو يأس .

هذا شأن المؤمن والمسلم يقف في رحاب الله ويناجيه بأم كتابه وهو السميع المجيب .

المفردات : التفسير .

الاسم : هو اللفظ الموضوع على الجوهر والعرض وهو مشتق من السمو وهو الرفعة وهو محذوف اللام كيد ودم وأصله سمو بدليل تصغيره على سمي وبدليل جمعه على أسماء وبدليل مجيء فعله سميت .

الله : علم على واجب الوجود وأصله ، الاله : حذفت الهمزة وأدغم احد المثلين في الآخر : كقول الشاعر

وترميني بالطرف أي أنت مذنب وتقلينني لكن اياك لا أقلي

الأصل فيه لكن أنا : حذفت الهمزة وأدغم أحد المثلين في الآخر .

ولفظ الاله مأخوذ من أله يأله إلهة . أي عبد ، وقال الخليل : انه اسم جامد لا اشتقاق له وقال بعض اللغويين أنه معرب عن السريانية وأصله فيها الاها بألف وعرب بحذف الألف وتعويض اللام .

الرحمن : على وزن فعلان وهو مأخوذ من رحم وهو الذي وسعت رحمته كل شيء كغضبان المتلىء غضباً .

الرحيم : على وزن فعيل وهو مأخوذ أيضاً من رحم الا أن في لفظ الرحمن مبالغة اكثر من لفظ الرحيم لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ولو تأملنا في اللفظين الكريمين لوجدنا أن في لفظ الرحمن زيادتين وهما الالف والنون وفي لفظ الرحيم زيادة واحدة وهي الياء وبناء على هذا المبدأ فقد اختلف في معنى كل من اللفظين فقال بعض العلماء الرحمن : المنعم بنعم عامة تشمل المؤمنين والكافرين : والرحيم المنعم بنعم خاصة بالمؤمنين وقال آخرون : الرحمن : المنعم بجلائل النعم . والرحيم : المنعم بدقائقها وقال بعضهم انهما مترادفان . وقد فرق ابن القيم بينهما بفرق حسن فذكر : أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه . والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم وعلى هذا يكون الرحمن مصدر الرحمة والرحيم باعثها وناشرها .

الحمد : معناه الثناء باللسان على الجميل من نعمة وغيرها : يقال حمدت الرجل على انعامه وحمدته على شجاعته وأما الشكر فعلى النعمة خاصة .

رب : يطلق في اللغة على معان : منها السيد المطاع ومنها المصلح للشيء ومنها المالك للشيء ويجوز اطلاقه هنا على المعاني الثلاثة فهو السيد الذي لايبلغ سؤدده أحد وهو المصلح أمر خلقه بما أودع في هذا العالم من نظام بديع .

العالمين : جمع عالم والعالم جمع لا واحد من لفظه كالرهط وهو اسم

الاصناف الامم فكل صنف منها عالم وأهل كل قرن منهم عالم ذلك القرن . والانس عالم ، وكل أهل زمان فهم عالم ذلك الزمان والجن عالم وكذا سائر أجناس الخلق كل جنس منها عالم زمانه ولذلك جمع فقيل عالمون ليشمل أصناف الامم في كل زمان وقيل هو اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض .

الدين : الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان : وقرىء مالك وملك واضافته الى يوم على التوسع كقول القائل ياسارق الليلة أهل الدار . والمعنى هو مالك الامر يوم الدين .

نعبد : نذل ونخشع ونستكين ومنها قولهم طريق معبد أي مذلل وطئته الاقدام وذللته السابلة (أي المارون) وقال الكشاف العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل .

نستعين : أي نطلب المعونة وقدم ضمير المفعول به ليفيد الحصر . وعلى هذا يكون المعنى لك اللهم وحدك نذل ونخضع لا لسواك واياك ربنا نستعين على طاعتك وعبادتك وفي أمورنا كلها .

اهدنا : وفقنا وهو يتعدى بالى وباللام مثال الاول كقوله تعالى (اجتباه وهداه الى صراط مستقيم) ومثال الثاني كقوله تعالى (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) وقد يحذف حرف التعدية كقوله اهدنا الصراط المستقيم .

الصراط : الجادة : مأخوذ من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسرط السابلة اذا سلكوه . وقد تقلب السين صاداً ، والعرب تستعير الصراط لكل قول أو عمل وصف باستقامة او اعوجاج والمراد به هنا طريق الحق وهو ملة الاسلام .

الضالين : أي الحائدين عن قصد السبيل والسالكين غير المنهج القويم والمراد بالمغضوب عليهم والضالين كل حائد عن طريق الاسلام وقيل المراد بالمغضوب عليهم : اليهود لقوله تعالى (هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) والمراد بالضالين النصارى لقوله تعالى في وصفهم (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) .

آمين : اسم صوت سمي به الفعل الذي هو استجب : فكان اسم فعل أمر وفيه لغتان : القصر والمد في الالف كقول القائل ويرحم الله عبداً قال آمينا .

وكقوله (آمين فزاد الله ما بيننا بعداً) .

ملاحظة هامة : (قد يخطر سؤال عند قراءة الفاتحة وهو : أحمد الله نفسه وأثنى عليها وعلمنا ذلك ؟ أم ذلك من قبل جبريل أو النبي : فان كان الاول فما معنى اياك نعبد واياك نستعين والله معبود لا عابد . وان كان الثاني فقد بطل أن تكون الفاتحة كلام الله تعالى : والجواب على ذلك أن الفاتحة كلام الله تعالى وهي على معنى قولوا الحمد لله وقولوا اياك نعبد فان قيل لنا وأين قوله قولوا ؟ يجاب ان العرب من شأنها اذا عرف السامع مكان الكلمة حذفتها واكتفت بدلالة ما ظهر من منطقها على ما حذف كقول الشاعر :

واعلم أنني سأكون رمساً اذا سار النواعج لا يسير
فقال السائلون لمن حفرتم فقال المخبرون لهم وزير

أي ان الميت وزير ، فأسقط الميت اذ قد أتى من الكلام بما يدل عليه .

سورة الاحزاب

بين يدي السورة :

لعل أهم ما يتبادر الى ذهن من يقرأ هذه السورة الكريمة هو التعرض لما فيها من ذكر للأحزاب ومواقفهم العدائية من الرسول عليه الصلاة والسلام ومواقف المنافقين ويتجلى ذلك في قوله تعالى (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وان يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الاعراب يسألون عن انبائكم ولو كانوا ما قاتلوا الا قليلا) وفي قوله تعالى (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا ايمانا وتسليما) فان من يمر على هذه الآيات يستيقن تماماً أن من أبرز الاسباب في تسمية هذه بالأحزاب هو وجود هذه الآيات وأمثالها التي تكشف عن تكتل المشركين وأقوال أذنابهم المنافقين (واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً ، واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فراراً ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها الا يسيراً ، قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءاً او أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ، قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس إلا قليلا ، أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فاحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً) . وبالمقابل فان الله سبحانه وتعالى بين في السورة فضله على المؤمنين وتأييده لهم بان أرسل ملائكة

قاتلت أعداءهم معهم وأرسل الريح فكفأت قدورهم وأطفأت نيرانهم ورد كيدهم في نحورهم من بعد ما أحاطوا بالمؤمنين من كل جانب ومن بعد ما زاغت منهم الابصار وبلغت القلوب الحناجر (يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا .

جو السورة

إن المتأمل في آيات هذه السورة يلاحظ من خلال موضوعاتها أنها مشحونة بالاحكام المتعددة ومشبعة بجو القتال مصورة وكاشفة النقاب عن عن مؤامرات الكافرين وتستر المنافقين ومداهنتهم واقوالهم الكاذبة فمن الاحكام التي أشارت اليها وكانت شائعة قبل الاسلام وبعده وحاربتها .

١ ـ اولاً : الظهار : ومعناه التحريم عند العرب وصيغته أن يقول الرجل لزوجته أنت علي كظهر أمي (أي كحرمة ظهر أمي) وسيمر بك تفصيل هذا البحث في سورة المجادلة .

٢ ـ ثانياً : التبني : وهو أن ينسب الرجل ولد غيره اليه وكان ذلك متعارفاً عليه عند العرب حتى أن النبي ﷺ تبنى زيد بن حارثة قبل بعثته فكان يقال له زيد بن محمد الى ان نزل قوله تعالى (وما جعل أدعيائكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل أدعوهم لآبائهم هو أقسط عندالله فانلم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيما .
وعلى هذا فان الحادثة التي حدثت مع النبي صلى الله عليه وسلم

بخصوص زوجة زيد بن حارثة لاحرج فيها حتى ولا مسئولية على ما أخفاه عليه الصلاة والسلام في نفسه ولم يظهره : وهي أن الحادثة أن النبي ﷺ خطب زينب بنت جحش الأسدية ابنة أميمة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ لمولاه ومتبنيه زيد بن حارثة وقال لها عليه السلام اني أريد ان أزوجك زيد بن حارثة وقد رضيته لك فأبت واستنكفت منه وقالت يارسول الله أنا خير منه حسباً ووافقها أخوها عبد الله ولما نزل قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً) رضيا وسلما فأنكحها رسول الله ﷺ زيداً ودخل بها ومكثت عنده مايقرب من سنة وكانت حديدة الطبع تخشن له القول وتسمعه مايكره وتفخر عليه بحسبها فشكاها الى رسول الله ﷺ ورغب في فراقها فقال له النبي ﷺ (أمسك عليك زوجك واتق الله) في أمرها ولا تطلقها ضراراً وتعللاً بحدتها وتكبرها والرسول أخفى أثناء قوله له رغبة في نفسه وهي الزواج من زينب فيما اذا أصر زيد على الخلاص منها لأمرين :

الاول : لأنه كان سببها في زواجها من زيد :

الثاني : فهي ابنة عمته فهو أولى بها من غيرها وهي أولى به من غيره ويضمها اليه يسترها ويحفظها إلا ان النبي ﷺ خاف عاقبة ذلك فيما اذا صرح به بالنسبة الى الناس فيما يشيعون ويتأولون من أنه تزوج من زوجة زيد بن حارثة وكان قد تبناه فأنزل الله تعالى حكمه الشافي والمؤيد لقوله في أول السورة (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) والذي فيه من العتاب الرقيق ما يدفع الشك والريبة عن النبي ﷺ وما يدل على ادبه الرفيع عليه الصلاة والسلام وكماله المتكامل فقال تعالى (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي مافي نفسك ما الله

مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطـــرا وكان أمر الله مفعولا) ثم قال محللا ذلك الى النبي بدون حرج أو مسئولية (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل (أي من الرسل والانبياء) وكان أمر الله قدراً مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله (إشـــارة الى ان من خشي الله وخافه لا يهمه أحد من الناس سواء تأولوا أو لم يتأولوا) وكفى بالله حسيبا ثم أشار الى أن النبي ﷺ ليس أباً لأحد من الناس عامة ولا لزيد خاصة فلا يحرم عليه التزوج بمطلقته زينب قال تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بـــكل شيء عليما)

٣ ـ ثالثاً : التوارث بأخوة الاسلام فقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بعد الهجرة بدون قرابة بل لمجرد الأخوة في الدين كما اشارت اليه آية الانفال (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أوليـــاء بعض) أي في النصرة والميراث لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ آخى بين هؤلاء المهاجرين والانصار فكان المهاجري يرثه أخوه الانصاري اذا لم يكن له بالمدينة ولي مهاجري وبالعكس واستمر ذلك الحكم الى فتـــح مكة ثم توارثوا بالنسب ولقد نسخت هذا الحكم آية في الانفال أيضاً وهي قوله تعالى (والذين آمنوا من بعد ما هاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم) وأيدت هذه الآية في نسخها لحكم التوارث المذكور آية في سورة الاحزاب وهي قوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وازواجه أمهاتهم وأولوا

الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا ان تفعلوا الى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطورا) واستثنت هذه الآية حكم الوصية بين أولئك اذا لم تكن رابطة نسبية فيكون ذلك بحكم الوصية لا الميراث.

٤ - رابعاً : النهي عن التبرج لأزواج النبي ﷺ عن اظهار مفاتن الجسم وزينته خارج بيوتهن بحيث يكن عرضة للأنظار ولكي لا يتشبهن بنساء أهل الجاهلية الاولى وهي الفترات التي خلت قبل مجيء الاسلام قال تعالى (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) هذا وان كان الخطاب مخصوصاً لفظاً بنساء النبي صلى الله عليه وسلم الا انه حكم عام يشمل بناته ونساء المؤمنين لان الله تعالى أطلق الحكم في آية الحجاب في هذه السورة فقال (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً) - أي عما سلف - لأن نساء العرب كن يكشفن وجوههن كما تفعل الاماء وكان ذلك داعياً الى نظر الرجال لهن فأمرهن الله بادناء الجلاليب ليسترن بذلك وجوههن بخلاف الاماء والى هذا الفرق يشير الله في عجز آية الحجاب السابقة (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي ذلك أقرب الى ان يتميز الحرائر من الاماء ثم ان الله توعد المخالفين من الرجال حدود الآداب والمخالفات من النساء حكم الحجاب بالآية التي تلتها (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) وعلى هذا فالحكم عام يشمل كل من بلغته

دعوة الاسلام والله إن شاء يعجل الوعيد في الدنيا كما فعله في بعض المخالفين والمخالفات في عهد نبيه وإن شاء اجله الى يوم القيامة فمن عجل وعيده في الدنيا نال جزاءه ومن أجل فسينالله يوم القيامة لأن سنة الله لا بد وان تنفذ في خلقه السابقين واللاحقين ولن يكون لسنة الله تعالى تبديل ولا تحويل . وأن لله حكمة في تحجب المرأة والتزامها بيتها الا في في مهات لازمة وتلك الحكمة تتجلى في كون المرأة شطراً من الانسان فلا بد لهذا الشطر ان يكون مختصاً بما لم يختص به الشطر الآخر من الرجال فلكل من الشطرين مقوماته الجسمية والعقلية وملكاته الانسانية الاخرى فالقدرات التي يملكها الرجال على الغالب غير متوفرة في النساء والقدرات التي يملكها النساء غير متوفرة عند الرجال وليس معنى هذا نقصاً في حق الرجال كما هو ليس نقصاً في حق النساء فلو كان كل من الرجال والنساء متساوين في الصور والمواهب والملكات والقدرات لما كان التكامل الذي يتم باجتماع كل من الرجل بالمرأة يشير الى اي معنى او فائدة ولا استغنى كل من الرجل عن المرأة واستغنت المرأة عن الرجل ولو كان الامر كما يدعي انصار المرأة في مساواتها للرجل في كل شيء للزم ان تكون مهمة الرجل كمهمة المرأة في كل شيء وهذا مخالف للعقل وللعلم وللواقع وانما هو اغراء في غير محله وتشويه للحقيقة وتحوير للصواب وليس معنى هذا ان الاسلام حرم على المرأة مزاولة حقوقها وممارستها حريتها الفردية ضمن حدود حشمتها وعفتها وكرامتها كما يتأول المتأولون فالاسلام حفظ للمرأة حقوقها كاملة غير منقوصة في العلم والميراث وفي البيت فهي سيدة بيتها وشريكة زوجها ترعى شئون بيتها في الداخل كما يرعى الرجل شئون بيته في كل ما يطلب منه من نفقة وغيرها فلا يتأخر عن تقديم اللازم ولا يستطيع ان يتنصل من المسئولية الكبرى فالزوجة توفر وسائل الحياة المنزلية التي هي من خصائصها وهي في حد ذاتها جوهرة ثمينة يجب

ان يحافظ على جوهرها ولمعانها ومع ذلك فان على عاتقها تقع اكبر مسئولية تربوية فان احسنت مهمتها والتفتت اليها كانت خير مربية واعظم داعيـــة وبطلة وإن هي اهملت كانت المهدمة والمخربة لصرح بني الانسان الذي من حقـــه عليها ان يقوم على اساس متين منذ نشأته الاولى في الاسرة .

٥ ـ خامساً : تشير السورة في بعض آياتها الى عدم وجوب عـدة المطلقة اذا لم يدخل بها انما تجب المتعة في هذه الحالة اذا لم يكن للزوجة مهر مسمى أما اذا سمي لهـــا المهر فتكون المتعة مستحبـة لا واجبة قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عـدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهـــن سراحاً جميلا) .

والعدة هي فترة من الزمن اوجبها الشارع بعد تطليق الرجل زوجته طلاقاً بائناً او رجعياً ولم ينو الرجـــوع اليها وارادت الزواج من غيره او بعد وفاته وهي في عصمته ، والمرأة التي تجب عليها العدة اما ان تكون حاملاً اي بادياً عليها الحمل أولا فان كانت حاملا فعدتها أن تضع حملها لقوله تعـالى (وأولات الأحمال اجلهن ان يضعن حملهن) سواء في حالة الطـلاق او حالة الموت .

واما عدة المطلقة غير الحامل فثلاثة قروء لقوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) والقرء عنـد ابي حنيفة واحمد معناه الحيض وعند الشافعي ومالك معناه الطهر .

واما المتعة فمعناهـا العطاء وهو يشمل نصف المهر المسمى الواجب للمطلقة قبل المسيس والمتعة الواجبة للمطلقة قبل المسيس التي لم يسمّ لها مهر .

٦ ـ سادساً : تشير السورة في بعض آياتها الى ما أحل الله لنبيـه من ازواج حرائر بمهور كعائشة وحفصة ومن إماء عن طريق السبي كصفية

بنت حيي بن أخطب من سبي غزوة خيبر وجويرية بنت الحارث من سبي غزوة بني المصطلق كما احل له بنات عمه وبنات عمته اي قرابته من جهة الاب وبنات خاله وخالاته اي قراباته من جهة الام ممن هاجرن معه عليه الصلاة والسلام قال تعالى (يا أيها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) ثم يشير الله تعالى في عجز الآية الى حكم خاص بالنبي ﷺ ايضاً دون المؤمنين في عدم ايتائه المهر ان وهبت امرأة نفسها للنبي كخولة بنت حكيم فانها تحل له خالصة بدون مهر بخلاف غيره من المؤمنين اذ لا بد لهم من تقرير المهر وان لم يسم قال تعالى (وامرأةً مؤمنةً ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا مافرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكي لا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما) فهذا من جملة ماخص به النبي صلى الله عليه وسلم وهو عدم شرائط العقد كالهبة وحقوقه أي بلا مهر أما المسلمون فلا يجوز لهم التزوج الا بعقد ومهر وشهود ولا تجوز لهم الزيادة على أربع .

ولقد خص عليه الصلاة والسلام بان يستعمل حريته في القسم أي في المبيت عند زوجاته ومع ذلك فكان يقسم بينهن بالعدل الى أن التحق بالرفيق الأعلى وهذا لا يجوز للمؤمنين أيضاً فهم مأمورون بالقسم قال تعالى (ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما) ومن جملة ما خص به النبي عليه الصلاة والسلام أنه لايجوز لأحد أن ينكح أزواجه سواء بعد الوفاة أو بعد الطلاق لأنهن أمهات المؤمنين بخلاف غيره من المؤمنين قال تعالى (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم

اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيماً) .

سابعاً : في السورة اشارة تفيد فرضية الصلاة على النبي ﷺ قال تعالى (إن الله وملئكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) والصلاة معناها من الله تعالى الرحمة ومن الملئكة الاستغفار ومن الناس الدعاء ولقد بدأ الله تعالى بنفسه بالصلاة عليه تشريفاً وتعظيما منه له وتعليماً لعالمي الملئكة والانس ولا يخفى على عاقل منصف ما لهذا الحكم من أهمية في نفس كل مسلم لأن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسله الله تعالى مبشراً ونذيرا وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيرا بل وأرسله رحمة للعالمين فقال (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) فهو يستحق هذا التكريم والتعظيم كيف لا وهو الصفوة المختاره وأدى الأمانة وبلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده ودعا الناس اليه وتحمل أمرهم وصبر على إهانتهم بعزم وعطف واحسان فكان البلسم الشافي لأمراض النفوس المختلفة والتئام جروح الشعوب المندملة وهو الرسول الوحيد الذي خص بالصلاة والسلام عليه من الله تعالى ومن الملائكة ومن الناس وعلى هذا فان حكم الصلاة والسلام عليه خارج الصلاة فرض وهو محمول على الوجوب في العمر مرة على الأقل استجابة لأمر الله تعالى .

وأما حكم الصلاة عليه داخل الصلاة ففرض عند الشافعي تبطل الصلاة بتركها وذهب مالك وغيره الى انها سنة : وصفة الصلاة عليه كما ورد في الحديث الصحيح : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد .

واما السلام عليه فيحتمل ان يراد منه سلام التشهد في الصلاة أو السلام عليه حين لقائه حياً أو بعد موته لما ورد عنه أنه قال من سلم علي قريباً سمعته ومن سلم علي بعيداً أبلغته فان الله حرم على الارض أن

تأكل أجساد الانبياء .

ثامناً : ثم تختتم السورة بآيات فيها لفتة الى قرب قيام الساعة بعد توجيه السؤال الى النبي ﷺ من قبل الناس قال تعالى (يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً) فصرفهم عن تحديد الوقت كما يريدون الى الكفاية عن قرب الموعد وهذا مايعرف بالاسلوب الحكيم بحيث يكون الجواب فيه عما يلازم المطلوب من فائدة كما في قوله تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) ولعل من ابرز ما يدل على قرب موعد الساعة هو ختم الرسالات والنبوات وظهور ما أخبر عنه ﷺ من أمارات واشارات عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بينا رسول الله ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه اعرابي فقال متى الساعة فمضي رسول الله ﷺ يحدث فقال بعض القوم سمع ماقال فكره ماقال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين أراه السائل عن الساعة قال ها أنا يارسول الله قال اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة فقال كيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة .

ثم تصور الآيات الختامية في السورة ابدع تصوير مواقف الكافرين بالله ورسوله كيف تصب عليهم اللعنات ويخلدون في جهنم ولم يكن لهم من ولي ولا نصير وكيف تقلب وجوههم في نار جهنم وهم يقولون معترفين ياليتنا أطعنا الله ورسوله ثم تصور الآيات حالة اعترافهم وتسجل اقوالهم وهم يقرون باطاعة ساداتهم وكبرائهم الذين كانوا السبب الرئيسي في اضلالهم عن طريق الهدى والنور وهو الاسلام فيطلبون من الله أن يضاعف لهم العذاب ويصب عليهم جام غضبه واهانته قال تعالى (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها ابدا لا يجدون ولياً ولا نصيرا يوم تُقلَّبُ وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم

لعنا كبيرا)

ثم تنهي السورة موضوعاتها بآيات تحث المؤمنين على ان لايقفوا من نبيهم موقف أتباع موسى لموسى من ظن سيء به وترشدهم الى أن يقولوا قولا سديدا ويتقوا الله في كل مايعملون فانهم ان فعلوا ذلك اصلح أعمالهم وغفر ذنوبهم وفازوا فوزا عظيما قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز عظيما) .

ثم ان الآيات في آخر السورة تقوم بعرض مؤثر ومقنع على ما اقدم عليه الانسان الجاهل الذي آلى على نفسه أن يحمل المسئوليات والتبعات التي كلف بها وتكفل بأدائها خير اداء مع ان السموات والارض والجبال أبين وأشفقن من حمل تلك الامانة الثقيلة وحملها الانسان فكان ظالماً لنفسه قال تعالى (انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا) وان القارىء لهذه الآية يجد فيها من التحريض والحض على أداء ماأوجبه الله تعالى على الانسان بأبدع أسلوب وبأروع بيان وبأعظم حجة وبرهان .

سورة الاحزاب

الكلمات : التفسير

اتق الله : من الأتقاء والوقاية أي يامحمد دم على ما أنت عليه من التقوى لتبقى القدوة الحسنة للناس إذ فيه تحريض للناس وذلك بحثهم على التقوى بدليل أن النبي يتقي الله ويخافه ولا يخرج عن طاعته وإمرته .

توكل على الله : أي اعتمد على الله واستعن به وهو من التوكل وليس من التواكل .

وكيلا : حافظاً لك وناصراً ومؤيداً .

في جوفه : أي في صدره : قال ابن عباس كان في قريش رجل يقال له ذو القلبين لشدة فهمه فنزلت الآية(١) نفياً لذلك الادعاء قيل انه ابن خطا وقيل جميل بن معمر ويجوز أن تكون الآية مثلاً ضربه الله للمظاهر من امرأته والمتبني ولد غيره تمهيداً لما بعده ، أي كما لم يخلق الله للانسان قلبين في جوفه لم يجعل المرأة الواحدة زوجاً للرجل وأماً له والمرء دعياً لرجل وابناً له .

أزواجكم : زوجاتكم .

تظاهرون منهن : أي تحرمونهن عليكم كحرمة أمهاتهم فأبطل الاسلام حكم الظهار .

أدعياءكم : جمع دعي وهو الذي يدعي ابناً لغير أبيه وقد أبطله الاسلام .

أقسط : أعدل وهو ضد الجور .

(١) وهي قوله تعالى : ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه .

مواليكم : أي أولياؤكم في الدين والمولى يطلق على السيد والعبد .
جناح : اثم أو حرج .
أولى بالمؤمنين : أرأف بهم وأنفع لهم وأحق من غيرهم .
أولوا الأرحام : ذووا القرابات على الاطلاق عصبة كانوا أم غير عصبة .
معروفاً : المراد من المعروف هنا مايدفع أو يخصص بدون رابطة نسبية تفرضه وذلك كالوصية والهبة .
ميثاقاً غليظاً : عهداً وثيقاً ولفظ غليظ فيه مبالغة لفظية لأنه على وزن فعيل وهو يفيد التأكيد .
زاغت الأبصار : مالت عن سننها حيرة ودهشة فلم تعد تضبط ماتشاهده على طبيعته ووضعه الاصلي .
ابتلي المؤمنون : اختبروا مأخوذ من الابتلاء : أي الامتحان .
زلزلوا : اضطربوا وتقلقلوا في مواقفهم .
غرورا : باطلاً وخداعاً يقال غرر به أي خدعه .
يثرب : هي أرض المدينة .
لامقام لكم : لاتتمكنون من الاقامة هنا .
عورة : غير حصينة ويخشى عليها .
فراراً : هرباً من القتال .
أقطارها : نواحيها وجوانبها .
الفتنة : أي الأذى والفساد أو طلب منهم قتال المسلمين لأتوها .
ماتلبثوا بها : أي ماأخروا الفتنة إلا زمناً يسيراً .
المعوقين منكم : المثبطين منكم لهم المؤمنين وعزائمهم في جهادهم .
هلم الينا : أي أقبلوا مسرعين وهلم اسم فعل أمر .
البأس : الشدة والحرب والويل .
أشحة : بخلاء عليكم بما ينفعكم مأخوذ من الشح أي بخل الانسان

على نفسه .

يغشى عليه : من الغشيان أي تصيبه السكرات .

سلقوكم : آذوكم ورموكم وطعنوكم .

بألسنة حداد : شديدة ودقيقة في الايذاء بحيث تبلغ حد الفحش .

أحبط الله : أي أبطل الله ما كانوا يدبرونه او يقولونه أو يفعلونه .

بادون في الاعراب : أي موجودون معهم في البادية .

أسوة حسنة : قدوة صالحة مأخوذة من التأسي أي الاقتداء والاتباع .

قضى نحبه : لقي أجله وهو شهيد في سبيل الله والدين .

ظاهروهم : ايدوهم وشدوا ازرهم .

صياصيهم : من حصونهم جمع صيصية وهي كل ما يتحصن به .

الرعب : الخوف الشديد .

أمتعكن : أعطكن أجل الطلاق .

أسرحكن : أطلقكن طلاقاً خالياً من الخصومة والضرار وهو التسريح باحسان .

بفاحشة : بمعصية كبيرة .

يقنت منكن : تطع وتخضع لأمر الله وحكمه .

فلا تخضعن بالقول : أي لاترققن الكلام ولا تلنه اذا خاطبتن الرجال والعرب تعد من محاسن خصال النساء في الجاهلية والاسلام تنزيه خطابهن عن ذلك لغير الزوج من الرجال .

وقلن قولاً معروفاً: أي حسناً محموداً بعيدا عن الريبة والاطماع .

وقرن في بيوتكن : أي الزمن بيوتكن ولا تخرجن لغير حاجة مشروعة ومثلهن في ذلك سائر نساء المؤمنين .

ولا تبرجن : أي اذا خرجتن لحاجة فلا تبدين زينة ما أوجب الله

عليكن ستره كالشعر والعنق والصدر والذراعين والساقين مما شأنه أن يثير النظر كما كان يفعل نساء زمان الجاهلية الاولى اي المتقدمين .

ومن التبرج المشية بتكسر وحركات مثيرة وهو مأخوذ من البرج وهو سعة العين وحسنها .

الرجس : الذنب والاثم والقذر والنقائص والمراد هنا اذهاب كل ذلك عنهم ليطهرهن تطهيرا .

أهل البيت : المراد بأهل البيت نساء النبي صلى الله عليه وسلم .

الحكمة : هدي النبي ﷺ من قول وفعل .

الخيرة : التخيير بين ما يحكم الله سبحانه وتعالى ورسوله وبين ما يحبون ويرغبون .

وطرا : أي حاجة وطابت عنه نفسها .

حرج : معناه الضيق والمشقة والاثم .

خلوا : مضوا من الأمم السابقة .

قدراً مقدورا : امراً محكوماً به أزلا لا راد له ، والقدر معناه ايجاد الاشياء على قدر مخصوص من الوجود التي تقتضيها الحكمة والمصلحة ويقابله القضاء وهو الارادة الازلية المتعلقة بالاشياء على ماهي عليه (ومقدورا) وصف مؤكد كما في قولهم ظل ظليل ويوم أيوَمْ .

حسيبا : محاسباً على عزائم القلوب وافعال الجوارح فلا ينبغي أن يخشى غيره .

بكرة وأصيلا : عند طلوع الشمس وغروبها .

أجورهن : مهورهن وأطلق على المهر اجراً لمقابلته الاستمتاع الدائم بالبضع وغيره مما يحل الانتفاع به من الزوجة كما يقابل

الاجر المنفعة

ترجي : تؤخر وتبعد عنك من النساء .

تؤوي : أي تضم اليك من تشاء منهن .

ابتغيت : ارتضيت .

ذلك أدنى : أي اقرب .

تقر أعينهن : يفرحن .

رقيباً : حفيظاً ومراقباً على ما يفعل كل انسان في السر والعلن .

غير ناظرين أناه : أي نضجه : يقال أني الطعام يأنى أنياً وأنى كقلي يقلي اذا نضج وبلغ .

فانتشروا : فتفرقوا ولا تمكثوا .

متاعاً : شيئاً يتمتع به من الماعون ونحوه .

بهتاناً : اختلاقاً .

يدنين : يرخين ويسدلن عليهن .

جلابيبهن : ما يسترن به كالملاءة والجلباب مفرد جمعه جلابيب .

المرجفون : المنافقون والمشيعون للاخبار الكاذبة والارجاف مأخوذ من الرجفة التي هي الزلزلة ووصفت به الاخبار الكاذبة لكونها في نفسها متزلزلة غير ثابتة .

ثقفوا : وجدوا وظفر بهم .

ضعفين : أي مثلين ، وضعف الشيء اضافة مثله اليه .

قولاً سديدا : صوابا وصدقا يوصل الى الحق والعدل .

الامانة : هي مجموعة ما كلفنا الله به من فرائض وواجبات أو كل ما يؤتمن عليه من أمر ونهي وشأن الدين والدنيا .

فأبين : فامتنعن على الاقدام عليها لثقل مسئوليتها أي الامانة .

وأشفقن منها : خفن من الخيانة فيها وذلك بعدم القيام بها على الوجه الاكمل .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الصافات

بين يدي السورة : ان هذه السورة الكريمة كغيرها من السور التي لها حظ في سبب تسميتها من اهم ما ذكر فيها من موضوعات واذا ما قرأها القارىء فلأول وهلة يجد اول كلة في الآية الاولى تشير بوضوح الى عنوانها حيث يقول الله تعالى في مستهل السورة (والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا ، إن الهكم لواحد ، رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) ، فان ابرز ما في هذه السورة هو القسم الذي اقسمه الله تعالى حيث فيه اشارة الى تعظيم المقسم به الذي هو اولاً : الصافات التي هي الجماعات التي تصف صفوفاً سواء من الملئكة او من بني آدم في الصلوات وثانياً : الزاجرات ، وهي الملئكة التي تزجر السحاب او هي المواعظ ثالثاً : التاليات ، وهي الملئكة التي تتلوا القرآن أو التاليات للذكر من بني آدم ، ليؤكد لعباده الذين انحرفوا عن جادة الهدى والحق في عباداتهم واتجاهاتهم ومذاهبهم الضالة والمضللة الى ان الههم واحد لاشريك له وهو ليس من حجر او شجر وانما هو الخالق للسموات والارض وما بينهما والمدبر والمنظم لهما احسن تدبير وتنظيم .

جو السورة ومقاصدها : يظهر واضحاً من نظم آيات هذه السورة انها مكية وليست مدنية فهي على هذا تدعو الى نشر الشريعة الاسلامية وتثبيتها في الصدور بعرض الحجة والبرهان وبأسلوب الوعد

والوعيد اللذين يصوران أبدع تصوير ماللمؤمنين من خلود في النعيم وما للكافرين من عذاب دائم في الجحيم ويكشف عن استهتار الجاحدين واعترافاتهم في آن واحد : قال تعالى (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد لايسَّمَّعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب ، دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب) فانه ليس أوقع من هذا البيان على نفس مفكرة تلتمس الدليل الفعلي وتبتغي الوصول الى نور الحقيقة فلو رفع المنكر بصره ليلا الى السماء وجد الكواكب المضيئة كالزينة وقد يرى تساقط بعضها من مكان بعيد وفي كل جانب ولكنه لايعترف طالما انتصاره لعناده يملأ قلبه ونفسه ويشغل عقله وتفكيره فكيف به إذا أخبر بأنه خلق من طين لازب أي لاصق بعضه ببعض فلا شك أنه يترنح ذات اليمين وذات الشمال قائلا ان هذا إلا شيء عجاب بل أساطير الأولين ونحن نقول له ولأمثاله إنه ليس أبعد من الحق على المبطل ولا أغشى من النور على المظلم ولا أمنع عن الايمان من الكافر وهذا مايدل عليه قوله تعالى مبيناً أحوال أولئك الناس للنبى ﷺ (بل عجبت ويسخرون ، واذا ذكروا لايذكرون ، واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين ، أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون ، قل نعم وانتم داخرون ، فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون ، وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين ، هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ، احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وكانوا يعبدون من دون الله فأهدوهم الى صراط الجحيم ، وقفوهم انهم مسئولون) فيقال لهم وهم في العذاب الأليم (ما لكم لاتناصرون ، بل هم اليوم مستسلمون ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) الى قوله تعالى (انا كذلك نفعل بالمجرمين إنهم كانوا اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون ، ويقولون أئنا لتاركوا

آلهتنا لشاعر مجنون ، بل جاء بالحق وصدق المرسلين) فيقال لهم (انكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء للشاربين ، لافيها غول ولا هم عنها ينزفون ، وعندهم قاصرات الطرف عين ، كأنهن بيض مكنون) فذلك وعيد الكافرين وهذا وعد المؤمنين ، ثم ان السورة الكريمة تعرضت لبعض الانبياء في مواقفهم من قومهم فكشفت لنا اللثام عن موقف سيدنا ابراهيم في روحه وتفكيره وفي عزمه وجوارحه أمام الذين اتخذوا الهتهم المتعددة من حجارة من دون الله عمى وافكا فراح يجول بنظره في السماء ونجومها وامتنع كل الامتناع عن عبادتها ومراسيمها وأصبح يفكر بالطريقة التي تصلحهم وتمنعهم في نفس الوقت عن ضلالهم القديم فيذهب الى آلهتهم فيقول لها ألا تأكلون فلا تجيبه وأنى لها النطق فعندئذ ينهال عليها ضرباً باليمين حتى يحطمها وعندما رأى العباد تحطيم آلهتهم أسرعوا الى ابراهيم مستعتبين ومهددين فقال لهم بعين بصرة وبصيرته (أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون) فلما علموا اصراره على مبدأ الحق والمنطق السليم أجمعوا أمرهم على أن يلقوه في نار متأججة أقاموا لها بناء ضخماً من مكان شاهق ولكن كيدهم جعلهم من الاسفلين ونجاه الله من القوم الظالمين الماكرين بانصرافه الى الله رب العالمين فلم يستعن الا به ولم يتوكل الا عليه وبعد ذلك دعا ربه أن يرزقه ولداً صالحاً فبشره باسماعيل الحليم العاقل الذي رفع مع ابيه قواعد البيت أي الكعبة والذي رآه والده عندما بلغ معه السعي في المنام أنه يذبحه ورؤيا الأنبياء حقيقة لاتنكر فأخبره بذلك فقال له اسماعيل افعل ما تؤمر يا أبت ستجدني ان شاء الله من الصابرين وعندما عزم الامر تله ابراهيم للجبين وهم بذبحه امتثالا لرب العالمين فنودي ابراهيم (قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا

لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) ، وتتعرض السورة لذكر موسى عليه السلام وأخيه هارون اجمالاً لموقفهما من قومهما ولصبرهما على الاذية والبلاء وكانت النتيجة أن نصرهما الله نصراً عزيزاً ونجاهما من كل كرب عظيم وأيدهما بالتوراة وهداهما الى الصراط المستقيم وانزل عليهما سلامه وأمنه يشملانهما في الدنيا الى يوم الدين لأنهما استجابا لأمر الله وكانا من المصدقين وهذا أعظم سلاح يملكه الرجل وخير زاد يتزود به في الدنيا والآخرة فبمقدار مايستجيب الرجل لربه وبمقدار مايصدقه يكون النصر والتوفيق حليفه .

ولقد جرى على سنة الجهر بالحق الياس عليه السلام فهاجم قومه في عبادتهم للبعل أي للصنم قائلا لهم بلسان الدعوى الى الأحسن والأقوم (أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه) كما هو شأن المنحرفين الظالمين ثم ان من بين الرسل لوطاً الذي دعا قومه الى العمل الصالح وذلك بتركهم للفاحشة الذميمة التي كانوا يفعلونها فعندما لم ينتهوا دمرهم الله بالعذاب ونجى الله لوطاً واهله وعجوزاً كانت من الغابرين .

ثم في خاتمة المطاف ذكر الله لنا قصة يونس عليه السلام عندما التجأ الى الفلك المملوء بعد أن أخبر قومه بان العذاب سيحل بهم بسبب عصيانهم وعدم رجوعهم الى الله ولكن السفينة بعد أن ركبها لم يعد بامكانها ان تسير فقال من فيها انما وقفت من حدث أحدثه أحدنا فنقترع لنرى على من تخرج القرعة فنطرحه فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فطرحوه في البحر فالتقمه الحوت وهو ملام على ما فعل من خروج من غير أن يأمره الله ولكنه استدرك ذلك مسبحاً فقال متضرعاً الى الله لاإله

الا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين فاخرجه الله سبحانه وتعالى من فم الحوت وهو كالطفل وأنزله في أرض فضاء لاشجر فيها ولا ظـــل ولكن الله تفضل عليه وأنبت عليه شجرة من يقطين وكانت رسالته الى الى مائة ألف ونيف وتابوا الى الله بعد ان آمنوا فمتعهم الله في الدنيـا الى أن جاء أجلهم .

ثم من بعد هذا كله يقول الله لرسوله محمـد ﷺ فاسأل هـؤلاء الذين يزعمون أن الملائكة بنات الله فجعلوا لله الانـاث ولأنفسهم الذكـور ثم ان من افكهم يقولون ان لله ولداً وهم كاذبون فليأتوا بحجتهم إن كانوا صادقين فسبحان الله عما يصفون ، ثم يختتم الله سبحانه وتعالى السورة باثبات النصر لعباده الصالحين والمرسلين ويتوعد العاصين المخالفين وينزه نفسه عما يقولون (وانا لنحن الصافون ، وإنا لنحن المسبحون وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الاولين لكـنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون ، ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون ، فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون ، فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين ، وتول عنهم حتى حين ، وأبصر فسوف يبصرون ، سبحان ربك رب العزة عمـا يصفـــون ، وسلام على المـرسلين والحمد لله رب العالمين) .

الكلمات : التفسير

الصافات : طوائف وجماعات من خلقه تعالى تصف انفسها للعبادة .

الزاجرات : الملئكة التي تزجر السحاب أو المواعظ التي يكون بها زجر المخالفين .

التاليات : هي آيات الله تعالى المتلوة في كتبه المنزلة .

مارد : من مرد أي خرج عن الطاعة .

الملأ الأعلى : أي الملائكة في السماء .

يقذفون : يرجمون بالشهب من كل جهة .

الدحور : هو الطرد والابعاد .

عذاب واصب : أي دائم بلا فتور او انقطاع .

خطف الخطفة : أي اختلسها بسرعة في حين غفلة .

شهاب : مايرى كالكواكب منقضاً من السماء .

ثاقب : مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه .

لازب : ملتصق بعضه ببعض .

يسخرون : يستهزئون .

يستسخرون : يبالغون بسخريتهم .

داخرون : صاغرون أذلاء .

زجرة واحدة : صيحة واحدة وهي نفخة البعث من زجر الراعي غنمه . صاح عليها .

يوم الدين : يوم الحساب .

أزواجهم : أمثالهم من العصاة : فعابد الصنم مع مثله وعابد الكواكب مع مثله وكل ند مع نده .

قفوهم : احبسوهم في الموقف .

عن اليمين : من الناحية التي فيها ومنها الخير .

طاغين : مجاوزين الحد في العصيان اختيارا لاجبرا .

فأغوينا كم : فدعوناكم الى الغي والضلال .

المخلصين : المصطفين الأخيار .

بكأس : هو إناء فيه شراب فان لم يكن فيه شراب فهو قدح ويسمى الشراب نفسه كأساً فيقال شربت كأساً : من تسمية الشيء باسم محله .

من معين : أي من نهر معين أى خارج من العيون والمنابع مأخوذ من عان الماء اذا نبع أو ظهر للعيون جار على وجه الارض كالأنهار من عان الماء اذا ظهر ووصفت الكأس بكونها من معين لافادة كثرة الخمرة في الجنة .

لافيها غول : أي لا ضرر فيها كخمر الدنيا والغول اهلاك الشيء من من حيث لا يحس به يقال غاله يغوله غولا واغتاله اغتيالا : أهلكه وأخذه من حيث لم يدر .

ينزفون : أي ولاهم بشربها تنزع عقولهم كخمرة الدنيا والنزف في الاصل نزع الشيء واذهابه بالتدريج يقال نزف ماء البئر نزفاً إذا نزحه ونزف الرجل كغني سكرا وذهب عقله .

قاصرات الطرف : لا ينظرن لغير أزواجهن فلا يمددن نظرهن الى غيرهم لفرط اخلاصهن لهم .

عين : أي نجل العيون حسانها جمع عيناء وهي الواسعة العين في جمال .

بيض مكنون : أي أنهن كبيض النعام هو الذي كنه الريش في العش فلم تمسه الأيدي ولم يصبه الغبار في الصفاء وشوب البياض بقليل صفرة مع لمعان وهو لون محبوب في النساء عند العرب فيشبهون النساء بالبيض ويقولون لهن

بيضات الخدور .

لمدينون : لمبعوثون ومحاسبون ومجزيون على أعمالنا بعد ان صرنا عظاماً وتراباً .

سواء الجحيم : وسط الجحيم أي النار وسمي الوسط سواء لاستواء المسافة منه إلى الجوانب .

لتردين : لتهلكني بصدك اياي عن الايمان بالبعث والجزاء يقال أردى فلان فلانا اذا أهلكه وردي فلان من جاب رضي اذا هلك .

المحضرين : الذين أحضروا للعذاب وأحضر لا يستعمل الا للشر .

نزلا : النزل ما يعد ويهيأ من الطعام للنازل .

شجرة الزقوم : أي شجره العذاب وتكون في النار مع مايخلق الله فيها من آفات وحشرات .

طلعها كأنه رؤوس الشياطين : أي ثمرها الذي يطلع منها في قبحه وكراهيته كقبح وكراهية رؤوس الشياطين ويكره أهل النار على أكل ذلك الطلع فهم يتزقمونه على أشد الكراهية.

شوبا من حميم : الشوب الخلط ومنه شاب الشيء بالماء أي خلطه ومزجه به والمعنى أن طعامهم يخلط بالماء الحار الشديد فيقطع أمعاءهم (قال تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم) .

يُهرعون : يزعجون ويحثون في الاسراع في السعي على آثار آبائهم من غير تدبر : والاهراع معناه الاسراع الشديد أو اسراع فيه رعدة .

من شيعته : أي ممن على سنته وطريقته في الدعوة الى توحيد الله والايمان به .

أإفكا : الافك هو الافتراء أي المبالغة بالكذب .

فنظـــر : تحويل النظر الى السماء في تأمل وتدبير
اني سقيم : أي إن قلبه يكبرهم ويمقتهم لكفرهم .
فراغ الى آلهتهم : أي مال اليها خفية يحطمها واصل الروغ الميل الى الشيء على سبيل الاحتيال .
ضرباً باليمين : أي انهال يضرب باليد اليمنى بكل قواه او يراد باليمين القوة التي عنده .
يزفون : يسرعون : من زف الظليم يزف زفا وزفيفاً عدا بسرعة كأنه يطير .
بلـغ معه السعي : أي مرتبة صار بها قادرا على أداء الاعمال .
اسلما : استسلما لله في امره .
تله للجبين : صرعه واسقطه على شقه فوقع على الارض : وأصـــل التل هو الرمي على التل وهو الرمل ثم عمم في كـل صرعْ ودفْـــع .
البلاء المبين : الاختبار او المحنة البينة .
وفديناه بذبح : بمذبوح عظيم القدر وهو كبش مخصوص .
الياس : نبي من انبياء اسرائيل من سبط هارون عليه السلام
أتدعون بعلا : أتعبدون صنما
لمحضرون : تحضرهم الزبانية للعذاب .
إلياسين : هو لغة في إلياس ونظيره وسينين وقيل هو جمع إلياس على التغليب باطلاقه على قومه .
في الغابرين : الباقين في العذاب .
دمرنا الآخرين : أهلكناهم .
مصبحين : داخلين في الصباح .
أبق : هرب من قومه بغير إذن من ربه .

الفلك المشحون : المملوء بالناس .

فساهم : فقارع في السفينة بالسهام .

المدحضين : أي المغلوبين في القرعة يقال ادحض الله الحجة فدحضت أي ابطلها فبطلت والدحض في الاصل : الزلق في الماء والطين.

فالتقمه الحوت : فابتلعه الحوت بسرعة من لقم الشيء كسمع والتقمه أكله بسرعة وتلقمه ابتلعه في مهلة وكانت الحادثة في نهر دجلة كما يقال .

مُليم : أي متحمل في عمله الملامة من مفارقه قومه بغير إذن ربه يقال ألام الرجل إذا أتى مايلام عليه من الأمر وأما الملوم فهو الذي يلام سواء أتى بما يستحق أن يلام عليه أم لا.

فنبذناه بالعراء : أمرنا الحوت بطرحه في الفضاء الواسع من الارض .

يقطين : أي من الشجر الذي لايقوم على ساق ويقال لكل ما لا ساق له من النبات ونحوه يقطين ويقال للقرعة الرطبة يقطينة.

اصطفى : اختار وارتضى .

السلطان : الحجة والبرهان والقدره والعلم والاذن .

الجنة : الملائكة .

بفاتنين : بمضلين أحد .

صال الجحيم : أي داخلها .

الصافون : المنظمون أنفسنا مواقف العبادة والعبودية .

المسبحون : المنزهون الله تعالى عن كل ما يليق بجلاله .

بساحتهم : بفنائهم الواسع .

الجند : الرسل والانبياء واعوانهم .

رب العزة : الغلبة والقدره .

يصفون : ينعتون الله به من أوصاف كاذبة غير صحيحة وغير لائقة به .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (ق)

بين يدي السورة : ابتدأ الله تعالى هذه السورة الكريمة بحرف من حروف الهجاء وهو (ق) وهو من المتشابه الذي تحدى الله سبحانه وتعالى به الفصحاء والبلغاء من شعراء العرب وخطبائهم بل من الانس والجن على مرور الايام وكر الليالي فهو ضرب من الاعجاز الذي استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه وانه وان قيل في تفسيره ماقيل فليس الا اجتهاداً من العلماء اصحاب الملكة العقلية والفكرية قاصدين الوصول الى معرفة المعنى المقصود والموضوع له اللفظ أو ما يقربهم منه : فقال بعضهم إن (ق) اسم من اسماء الله تعالى وقالت جماعة إنه اسم من اسماء القرآن وقال أناس هو اسم للسورة نفسها وعدم اجماعهم على رأي واحد هو الذى يثبت النتيجة في عجزهم أمام إعجاز هذا القرآن العظيم الذي هو من صنع خالق البيان ومعلم الانسان .

هو السورة ومقاصدها : إن هذه السوره الكريمة مكية ويظهر لنا ذلك من قصر نظم آياتها أولا ومن موضوعاتها ثانياً : ثم من اسلوبها القوي المدعم بالحجج والبراهين ثالثاً .

أما موضوعات السورة فهي داعية الى بث روح العقيدة الاسلامية اجمالا وتثبيت دعائمها في النفوس عن طريق القدرة الآلهية الأحدية ومنوهة عن الاقوال التي قالها الكافرون بالنسبة لبعثة النبي ﷺ كرسول ولما جاء به من احكام ومعتقدات تحارب احكامهم ومعتقداتهم أهمها إشراكهم

بالله تعالى وانكارهم ليوم البعث والرسول ولقد أقسم الله تعالى في مطلع هذه السورة بالقرآن المجيد ليشير الى ان ماجاء فيه من آيات مفصلات وأحكام وأسرار وعلوم واخبار مقدسة ومصونة ومحكمة من عند الله تعالى قال سبحانه .

(ق) والقرآن المجيد . بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ، أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد ، قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ، بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج ، أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والارض مددناها والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) .

ثم إن السوره في بعض آياتها الاخرى تعرض صوراً وقعت في الأمم السابقة عندما خالفوا وكذبوا واتبعوا اهوائهم واعرضوا عن الرسل وكتبهم حيث حل فيهم من العذاب ونزل بهم من البلاء نتيجة ذلك مايدفع بهؤلاء الى عجلة الايمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر قال تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود ، وعاد وفرعون واخوان لوط ، وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب فحق وعيد ، أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد) ثم بعد هذا فان الآيات الأخرى تأتي بأوقع تصوير على النفس والسمع والبصر وبأدق تعبير في وصف الحالة التي يعانيها الانسان العاصي لله والمتكبر عن طاعته والمعرض عن أوامره وأحكامه والذي لا يؤمن بها ولا يصدقها فتريه نتيجته السيئة وما ينتهي اليه يوم القيامة وتسمعه ما سيقوله قرينه السيء لله تعالى من قول يتنصل فيه عن عدم اطغائه له فينبري له الانسان فتقوم بينهما خصومة كلامية يدحض كل

واحد منها قول الآخر وبيناهما في مهاترتهما يأتي القول الفصل بما هو مسجل بالحرف الواحد من اقوال ومن صغيرة وكبيرة من اعمال وعندئذ يسحب الظالمون الى جهنم وبئس الورد المورود ويؤخذ العادلون الى جنة الله ورضوانه يقال لهم (ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود).

قال تعالى : (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد ، ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ، وقال قرينه هذا مالدى عتيد ، القيا في جهنم كل كفار عنيد ، مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله إلها آخر فالقياه في العذاب الشديد ، قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ، قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ، ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد : يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ، وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) الى ان قال :

(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد).

ثم ان الآيات الاخيرة في السورة تتكلم عن قدرة الله في خلقه للسموات والارض وما بينهما في ستة ايام بدون اعياء أو قصور وتطلب من الرسول ﷺ الصبر على اقوال الأعداء والحاسدين من الكفرة والمنافقين وأن يستعين على ذلك بالتسبيح لله تعالى فهو خير زاد وأمضى سلاح وان اليوم الذي ينادي فيه مناد البعث والحشر يوم قريب فيه يسمع اعداء الله ورسوله صوتاً ضخماً فيقومون من قبورهم وعندئذ يعلمون ان الله يحيي ويميت واليه المرجع والمآل ، ففي ذلك اليوم تنفلق عنهم الارض سراعاً الى المحشر فدعهم يامحمد وما يقولون فنحن أعلم بما يقولون وانت لست عليهم بمسلط بالقوة حتى تأخذهم الى الاسلام ولكنك أنت مذكر بالقرآن من يخاف يوم الوعيد . قال تعالى : (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما

في ستة أيام ومامسنا من لغوب ، فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ، واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب ، يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ، إنا نحن نحيي ونميت والينا المصير ، يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير ، نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) .

الكلمات	: التفسير
ق	: من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وقيل هو اسم من اسمائه تعالى أو اسم من أسماء القرآن أو اسم لجبل عرف بـ (ق).
رجع	: أي رجوع الى الحياة.
أمر مريج	: أي أمر مختلط وفاسد أو قلق ومضطرب يقال مَرِج الدين والأمر من باب طرب اختلط ومرجت أمانات الناس فسدت ومرج الخاتم في اصبعه : إذا قلق من الهزال.
فروج	: شقوق وفتوق وشقوق جمع فرج وهو الشق بين الشيئين والمراد سلامتها من كل عيب وخلل.
رواسي	: جبالاً ثوابت تمنعها من الميَدانْ والاضطراب جمع راسية.
زوج بهيج	: صنف حسن نضر يسر الناظرين : من البهجة أي الحسن يقال بهج كظرف فهو بهيج أي حسن.
عبد منيب	: متوجه وتائب الى ربه.
ماء مباركاً	: كثير المنافع.
حب الحصيد	: حب النبات الذي من شأنه أن يحصد كالقمح والشعير.
النخل باسقات	: طوالاً من البسوق وهو الطول يقال بسق فلان على أصحابه من باب دخل علاهم وطال عليهم في الفضل والنخل اسم جنس يذكر ويؤنث ويجمع وخص بالذكر لمزيد فضله وكثرة منافعه.
طلع نضيد	: منضود أي متراكب بعضه فوق بعض من نضد المتاع ينضده إذا وضع بعضه فوق بعض والمراد كثرة مافيه من الثمر.
أصحاب الرس	: أي البئر التي كانوا مقيمين حولها وكانت لبقية من ثمود

وأصحابها قوم كذبوا نبيهم ورسوه أي دسوه في البئر فأهلكهم الله .

أصحاب الأيكة : قوم شعيب عليه السلام والأيكة الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر كما ذكره الخليل وهي قرب مدين وأصحابها قوم نزلوا بها وأرسل شعيب اليهم كما أرسل الى أهل مدين فكذبوه فأهلكم الله بالظله .

قوم تبع : هو تبع الحميري أبو كرب أسعد بن مليك أحد ملوك التتابعة وكان مؤمناً واليه تنسب الانصار وكان قومه كفاراً فأهلكهم الله وتبع لقب لكل ملك ملك اليمن وحضرموت : مثل كسرى للفرس وقيصر للروم .

أفعيينا بالخلق الأول: أي أعجزنا في خلق المخلوقات وايجاد الاشياء في المرة الاولى حتى نعجز في الخلق الثاني وهو اعادة المخلوقات بعد موتها مأخوذ من عيي بالأمر اذا عجز عنه وانقطعت حيلته فيه ولم يهتد للوصول الى مراده .

لبس من خلق جديد : أي في شك وشبهة من إعادة الخلق الاول بعد موته وفنائه .

ماتوسوس به نفسه: ماتحدثه به وتخطره بباله والوسوسة الصوت الخفي .

من حبل الوريد : هو عرق الوريد الذي في باطن العنق وهو مثل في فرط القرب والحبل : العرق فالمراد القرب بالعلم والمعرفة لا القرب في المكان .

يتلقى المتلقيان : أي يكتب الملكان في صحيفتي حسناته وسيئاته مايعمله .

قعيد : ملك قاعد .

رقيب : حافظ لأقواله ومسجل لأعماله

عتيد : معد ومهيأ لذلك العمل وحاضر عنده لايفارقه يقال عتد الشيء - ككرم - عتادة وعتاداً حضر فهو عتيد

وعتيد ويتعدي بالهمزه والتضعيف فيقال: أعتده صاحبه وعتده إذا أعده وهيأه .

سكرة الموت : شدته ووطأته .

تحيد : أي تهرب وتفر منه في حياتك فلم ينفعك منه الهرب والفرار يقال حاد عن الشيء يحيد حيدة وحُيوداً تنحى عنه وبَعُدْ .

سائق : ملَكٌ يسوقها الى المحشر .

وشهيد : ملَكٌ يشهد عليها بعملها .

فبصرك اليوم حديد: أي نافذ قوي تبصر به ما كنت تجحده في الدنيا يقال هو حديد النظر وحديد الفهم اذا كان نافذاً .

قرينه : شيطانه المقيض له .

عتيد : معد وحاضر .

عنيد : شديد العناد والمجافاة للحق .

مريب : شاكٍ في دينه .

ما أطغيته : ما قهرته على الطغيان والغواية .

أزلفت الجنة : أدنيت وقربت للذين اتقوا ربهم يقال أزلفه اذا قربه ومنه الزلفى والزلفة بمعنى المنزلة والقربة .

أواب حفيظ : رجاع الى الله تعالى ومحافظ على حدوده .

فنقبوا في البلاد : طافوا فيها وساروا في نقوبها طلباً للهرب فلم يسلموا من الهلاك يقال نقب في الارض ذهب وأصل النقب الخرق والدخول في الشيء ومنه نقب الجدار وجمعه نقوب .

هل من محيص : معدل ومهرب يقال حاص يحيص حيصاً ومحيصاً عدل وحاد .

لغوب : تعب أو إعياء مصدر لغب .

وسبح بحمد ربك : أي نزهه عما يليق به .

أدبار السجود : اعقاب الصلوات وهو ماورد في الحديث الشريف (من سبح لله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين فذلك تسعة وتسعون وتمام المائة : لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر) وقيل التسبيح (أدبارالسجود) النوافل بعد اداء الصلوات المفروضة .

الخروج : يوم البعث يوم يخرجون من قبورهم .

تشقق الارض : تنفلق عنهم .

بجبار : تجبرهم على الايمان من جبره الأمر اي قهره .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الرحمن

بين يدي السورة : إن القول في سبب تسمية هذه السورة الكريمه بالرحمن هو الذي قيل في سبب تسمية سورة الاحزاب ، والصافات وق : ومطلع هذه السوره مبدوء بلفظ الرحمن ولقد ورد الاثر مشيراً الى تسميتها بالرحمن وبيان فضلها مما يؤيد ماذهبنا اليه من حسن تعليل قال عليه الصلاة والسلام (لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن)

واذا وصف الرسول الكريم هذه السورة بعروس القرآن فانه لاغرابة في ذلك لما امتازت به من نظام خاص في جرسه وموسيقاه ولما ذكر فيها من بيان نعم جليلة ظاهرة وحكم كثيرة بالغة فهي تتجلى في حسن تنسيقها وفي عرض أحكامها بأجمل الحلل اللفظية وبأعمق وأغزر المعاني بحيث تفتن النفوس وتسحر العقول .

جو السورة ومقاصدها : هذه السورة على الاصح مكية وقيل انها مدنية ونظم السورة في قصره واسلوبه يؤيد انها مكية وتمتاز هذه السورة باعلان الشعارات التي ارتضاها الله لعباده من الانس والجن لتكون لهم خير مرشد الى الاعتراف بفضله وكرمه ولتأخذهم الى اقامة العدل بالميزان والقسطاس المستقيم ونحن لا نشك أن اشرف شعار لفتت السورة اليه الانظار ووجهت نحوه بني الانسان من أصحاب الفكر والعقل هو شعار العلم الذي لابد منه لأمة تريد رفع شأنها وتبغي لحاقها في عالم الاختراع والابتداع العلميين ، وإن الدعوة الى العلم بهذة الآيه وغيرها من الآيات القرآنية الاخرى لظاهرة علمية قرآنية تثبت ان القرآن اعتمد قبل كل

شيء على العلم ورفع أهله وحارب الجهل وأتباعه وحط من مستواهم حينما قال في سورة الزمر (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب) ونحن لا نستغرب هذه الاصالة في القرآن لان نسبة العلم في مصدره تكون الى الله العليم الذي أوجد العلم ووهبه لمن يشاء من عباده ليكـــون سبب سعادة على أيدي اناس اخيار وسبب تعاسة وشقاء على ايدي آخرين ماديين أشرار ، وليس الذنب ذنب العلم وانما الذنب ذنب المتعلمين فالعلم في أصله لايسخر الا للاصلاح هذا من حيث النظريات واستخدامها وأما من حيث المعرفة فقط فقد يكون العلم لمجرد التجارة عند من يتاجرون وفي هذه اساءة لمفهوم العلم الصحيح في عمق جذوره ، ونحن نتلمس الفرق بين المفهومين المذكورين في حضارة الأمم التي تدعي الرقي والتقدمية حيث سخـــرت العلم على حسب ما تقتضيه المصالح الفردية غير متورعة في نهب وسلب او استثمار واستعمار أو في اسعاد شعب او إشقائه أو احيائه أو إماتته متخلية عن كل معاني الانسانية والعدالة الآلهية ، فالعلم في نظر تلك الدول سلاح ماض يشرع للسيطرة على رقاب الضعاف والعزل على خلاف ما اراد الله الخالق العالم في الدعوة اليه وإني فطنت الى هذه البادرة السيئة في العالم المتمدن المتحضر بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أي على أبواب نهضتنا الاستقلالية ووثبتنا الوطنية في سورية وإبان توالي النهوض الفكري والوطني في العالم العربي والاسلامي بعد ان وقفت على حقيقة المؤامرات التي قصد منها فرض سيطرة النفوذ لصالح أحد المعسكرين في العالم باسم العلم والتقدمية والاصلاح فكان من جراء ذلك أن نظمت قصيدة بعنوان (السلم والحرب) أكتفي بذكر أبيات منها في هذا الموضع لتشير الى البون الشاسع بين المبدأ في العلم والدعوة اليه ومدى تطبيق القول في العمل .

والعلم يحيي لا يميت وانما قد سخروه لشن حرب تمحق

قد حولوه الى دمار شامل يقضي على كل الشعوب ويحرق
هم سخروه لخلق كل ذريعة في الأرض بين الناس كي يتفرقوا
والعلم يخلق في النفوس عواطفاً تسمو بأعمال لها وتحقق
والعلم بيني لا يخرب دولة صغرت ولكن أين من يتذوق
مابال أقوام لقد قالوا لنا نحمي بعلم عالماً ونطوق
ونقيه من شر الاذي ما بالهم شنوا علية اغارة تتدفق
مابال هذاالغرب جنّ جنونه في هذه الايام لايتوفق
إن كان في العلم التهدد يدعى فالعلم في تلك الطريق ممزق

وبعد فانه بات معلوماً لدى كل مدرك الفرق بين الأغراض التي أرادوها من وراء دعواهم للعلم وتسخيرهم له وللأغراض الحيوية والانسانية التي أرادها الاسلام بتسخير المسلمين للعلم . وليس ثمة اعظم همجية ووحشية ممن انحرفوا عن معالم وأهداف العلم السامية المرسومة وإن من ابرز مايتميز به العالم عن الجاهل هو بتلك العاطفة الانسانية والموهبة الفكرية التي يترفع بها عن مستوى الطغاة والقتلة المروعين .

والظاهرة الثانية التي نبهتنا اليها السوره في مطلعها : هي توالي الشمس والقمر في الليل والنهار إذ كل منهما يخلف الآخر فالشمس تخلف القمر في النهار والقمر يخلف الشمس في الليل ، وكذلك فان نوع النبات الذي لا ساق له ونوع الشجر الذى له ساق يسجدان لله سجود خضوع وتذلل وكلا الامرين في الظاهرتين يدعوان الى التأمل والتفكير في مدى طاقة القدرة الآلهية في خلق هذه المصنوعات وابداع تنظيمها سواء في تعاقبها واطاعتها لخالقها وهو الله تعالى .

والظاهرة الثالثة في مطلع هذه السورة ايضاً تشير الى تقرير مبدأ العدل بواسطة القسطاس المستقيم حيث لاظلم ولا تسلط ولا استبداد ولا تغلب للقوى الباغية الطاغية على قوى السلم الخيرة . ونحن نعلم وكل منا

يعلم أن تحقيق ناحية العدل بين الناس لا سيما في المجتمعات الفوضوية المتبرئة من ذمة الله الحق العدل أمر هام جداً ذو شأن في تركيز مركز الثقل في الكفة المرجوحة لنشر الأمن والاطمئنان واعادة الشعور بسعادة الراحة والاستقرار الى القلوب الواجفة القلقة الشعور . فالمجتمعات التي لايسودها عدل ولا يشرف عليها عادل هي أدعى الى الفناء المادي والمعنوي وذلك ليس بتسلط يد خارجية عليها فحسب وانما بتطاول بعض الافراد على البعض الآخر فيكون مثلهم كالنار يأكل بعضها بعضاً ان لم تجد ما تأكله ولهذا وغيره ولأبعد من هذا وذاك نجد القرآن الكريم لا يكتفي بتقرير العدل كمبدأ بيّنه ووضحه للناس بل سخر في سبيل تطبيقه والعمل به كل طاقاته وحمّل الظالمين مسئولية لاتطاق ثم رتب عليها انواعاً من العذاب والاهانات التي قد تلحق بالظالمين المنحرفين في الدنيا قبل الآخرة : فاقرأ إن شئت قول الله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) فبالله عليك أيها القارىء أصدقني ولا تكتمني فأنا وأنت وغيري وغيرك وإن اختلفنا أو اختلفا في بعض المفاهيم الاجتهاديه : أو لم تجد بنفسك استجابة لهذا الأمر الوارد في الآية الكريمة المذكورة ؟. ألم تتفاعل روحك مع هذه الدعوه الصالحة الخيرة ؟فيمتلىء قلبك ايماناً واعتقاداً بهذا المبدأ وتسليماً له ثم لا تلبث قليلاحتى تعمل في نشره وتدعو الى تطبيقه .

ثم اقرأ كيف ألزم القرآن الذين آمنوا جانب التمسك بهذا المبدأ لماله من أهمية حيث قال: يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنّكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا إعدلوا هو اقرب للتقوى : فالأمر في هذه الآية ليس إلا للالزام الذي يجب ان يحمل المسلمون المؤمنون أنفسهم عليهم مع المجاهدة والمصابرة وتحمل المخاصمة من الغير فان وقفوا وصمدوا ثم عدلوا كان ذلك

منهم اقرب الى التقوى ومن لم يتعظ ولم يسمع ولم يفعل فهو في عـــداد الظالمين الذين توعدهم الله تعالى في قوله (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء . وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل او لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) . وقوله تعالى (وأمـــا القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) إلى غير ذلك من الآيات الحاثة على اقامة العدل بين الناس .

ولقد حمل القرآن تبعية تبني هذا الحكم الى الحكام الذين هم أولى الناس به بصفتهم أولي الأمر والنهي والسلطان : قال تعالى : (ان الله يأمركم ان تؤدوا الآيات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وقال تعالى (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون ، ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون ، ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون فأنت ترى أيها القارىء ان الله صنف الحكام الى مراتب ثلاث : الصنف الاول وهم الكافرون أي المنكرون لحكم الله أصلاً : والصنف الثاني وهم الظالمون الذين عرفوا الحق ولكنهم جاروا فيه فكانوا ظالمين لأنفسهم بمخالفتهم وظالمين لغيرهم بتجاوزهم والصنف الثالث هم الفاسقون الخارجون على حدود الدين المتباهون فلا يستحيون ولا يتورعون من المجاهرة بتلك المعصية والمخالفة ، ونحن نوجه الى الحكام كلمة نصح بهذا الصدد فنقول لهم :انتم ميزان الله في أرضه فان عدلتم قومتم وأحسنتم وإن ظلمتم قوضتم وأسأتم ولكم في رسول الله أسوة حسنة في خطاب الله له (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) وفي خطاب الله لداوود عليه السلام (ياداوود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين

يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب).

قال الله تعالى : (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان : الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان أن لا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان .) (ثم انها ترمز الى نعمة الله تعالى في خلقه الانسان من طين يابس غير مطبوخ وخلقه الجان من لهب خالص لادخان فيه وترمز الى قدرته العظيمة التي بها ارسل المياه العذبة والمالحة في مجاريها أنهاراً على سطح الارض متجاورة متصلة الأطراف ومع ذلك لم تختلط فلا يبغي الحلو على المالح ولا المالح على الحلو ويخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ويجري السفن فوق البحار تظهر للرائي من بعيد كأنها الجبال قال تعالى (خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار : فبأي آلاء ربكما تكذبان) الى ان يقول (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان ، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام) ثم انها تشير الى القدرة العظيمة التي تحدى الله تعالى بها العالمين ، الانس والجن في ان ينفذوا من نواحي السموات والأرض كأن يخترقوا السماء من الأرض أو ان يخرجوا من جوانب الارض الى ما لا يحيطون به علماً أو صنعاً ويقول لهما لا تقدرون على الخروج من أمري وقضائي الا بقوة وقهر وأنتم بمعزل عن هذه القدرة وإلا لزم أن لا تكون نتيجة إيجابية لهذا التحدي وحاشا لله قال تعالى :(سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان ، يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ، يرسل عليكما شواظ من نار

ونحاس فلا تنتصران ، فبأي آلاء ربكما تكذبان).

ثم إن السورة في خاتمة المطاف تثبت النهاية الحتمية على كل من المجرمين والمؤمنين فالمجرمون الى الجحيم والمؤمنون الى النعيم وذلك في يوم تنشق فيه السماء فتكون في تصدعها وردة كالدهان أي كدهن الزيت في الذوبان من حرارة جهنم وعندئذ يُعرف المجرمون المعاندون بسواد وجوههم وزرقة عيونهم وما يعلوهم من الكآبة والحزن فتسحب الملائكة المجرمين من نواصيهم واقدامهم أي بشعور مقدمة رءوسهم مجموعة الى اقدامهم فتقذفهم في النار قال تعالى (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان ، يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام) وفي ذلك اليوم يعرف المؤمنون بنضارة وجوههم ويسعى نورهم بين أيديهم فيتنقلون من جنة مليئة بالاغصان والعروش الى جنة مليئة بأصناف الاثمار المألوفة وغير المألوفة يتناولونها من غير تعب ولا عناء ويتلذذون بطعمها وينتعشون بروائحها الطيبة الزكية يقال لهم هذا الاحسان الذي تشاهدونه ليس الا جزاءً لما كنتم تحسنونه من اعمال وأقوال في حياتكم الدنيا فاستجبتم لأمرنا وطاعتنا وكنتم صابرين في الفقر شاكرين في الغنى فاليوم نمدكم في الجنان بالفاكهة والنخل والرمان والخضرة الشديدة والعيون الفوارة بالماء العذب الفرات الذي لا ينقطع ولا ينضب معينه وبنساء حور مخدرات في الخيام أي في البيوت التي هي من لؤلؤ كما ورد في الاحاديث الصحيحة متكئين على الوسائد والفرش المرتفعة من الديباج ذات اللون السندسي الأخضر وعلى الطنافس وهي أبسطة لها أهداب رقيقة قال تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ، ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان ، فيهما عينان تجريان) إلى قوله تعالى (متكئين على فراش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان فبأي آلاء ربكما تكذبان ، لم يطمثهن انس

قبلهم ولا جان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ، كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان ، هل جزاء الاحسان إلا الاحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان) الى آخر السورة .

ملاحظة هامة جداً : يلاحظ القارىء لسورة الرحمن أو السامع لها أن آية فيها تتكرر بعد كل آية أو آيتين أو اكثر وهي قوله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقد لا تظهر لأول وهلة الحكمة من تكرار هذه الآية او فائدتها فاذا ما انعم النظر وسخر الفكر لأدرك بكل وضوح وجلاء أن تكرارها بعد ذكر كل نعمة تغاير النعمة التي ذكرت فيها من قبل وهكذا فيكون تكرارها لتنبيه الأنس والجن في عدم تنكرها لتلك النعم المتعددة ليعلم الأنس والجن أن لله عليهما نعما كثيرة لاتحصى كما أشار اليه تعالى في آيات من غير هذه السورة (وآتاكم من كل سألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار) على ان الآية التي كررت بعد ذكر كل نعمة بالاسلوب المعهود يشير الى ابدع تقرير يذكر المعترفين بتلك النعم ويوبخ الجاحدين على انكارهم وتكذيبهم كما يقول الرجل لغيره وقد أحسن اليه ثم أنكره وبارزه ألم أحسن اليك بأن خولتك في الاموال ألم أحسن اليك بأن أعطيتك كذا وكذا .

على أن هذا الاسلوب استعمله العرب في كلامهم واشعارهم ومنه قول المهلهل يرثي كليباً

على أن ليس عدلا من كليب إذا ماضيم جيران المجير
على أن ليس عدلا من كليب إذا رجف العصاة من الدبور

على أن ليس عدلا من كليب إذا خرجت مخبـــأة الخدور
على أن ليس عدلا من كليب إذا ما أعلنت نجوى الأمـور
على أن ليس عدلا من كليب إذا ضيف المخـوف من الثغـور
على أن ليس عدلا من كليب غداة تأثل الأمـــر الكبير
على أن ليس عدلا من كليب إذا ماخار جأش المستجـــير

الكلمات : التفسير

بحسبان : أي يجريان والضمير للشمس والقمر بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما لا اختلال فيه ولا اضطراب وبذلك تعلم الشهور والسنون والفصول ويعرف الحساب وتتنسق أمور الكائنات الأرضية وحسبان مصدر كالغفران أو هو جمع حساب كشهاب وشهبان.

النجم والشجر : النبات الذي ينجم أي يظهر ويطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق.

يسجدان : ينقادان لما يريد الله بهما طبعاً كانقياد الساجد لخالقه.

الميزان : يراد به معنيان الأول : أحكام الاسلام وطريقه وثانياً : الآلة التي تعرف بها مقادير الأشياء ليتوصل بها الناس في الارض الى الانصاف في المعاملات.

لاتطغوا : لاتتجاوزوا الحق في الميزان.

بالقسط : بالعدل بلا ظلم ولا غبن.

لاتخسروا الميزان : لاتنقصوا الموزون اذا وزنتم.

ذات الأكمام : أي الأوعية التي يكون فيها التمر وهو الطلع جمع كم بكسر الكاف أو ذات سبائب الليف وهي التي في أعناق النخل.

ذو العصف : أي التبن أو القشر الذي يكون على الحب وسمي عصفاً لعصف الريح به لخفته.

الآلاء : النعم الآلهية.

تكذبان : تكفران وتنكران.

من صلصال : من طين يابس غير مطبوخ.

كالفخار : كالخزف المجوف الذي طبخ.

من مارج : من لهب خالص لادخان فيه أو مم اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاخضر والاصفر الذي يعلو النار إذا أوقدت .

رب المشرقين : مشرق الشمس في الشتاء والصيف .

ورب المغربين : مغرب الشمس في الشتاء والصيف وفي هذا التدبير منافع عظمى للانسان والحيوان والنبات .

مرج البحرين : ارسلهما في مجاريهما .

لايبغيان : لايطغى أحدهما على الآخر .

له الجوار : السفن الجارية في البحار .

كالأعلام : كالجبال الشاهقة أو كالقصور .

ذو الجلال : ذو العظمة والاستغناء المطلق .

والاكرام : الفضل التام بالتجاوز والاحسان والانعام .

شأن : تدبير وتقدير .

سنفرغ لكم : سنراقبكم ونحاسبكم بعد أن أمددناكم بما يلزمكم ويكفيكم

أن تنفذوا : أن تخرجوا من ملكوت الله ومن فضائه .

لاتنفذون الابسلطان: السلطان معناه القدرة المتغلبة وهيهات لهم .

شواظ : لهب خالص من الدخان .

ونحاس : صفر مذاب وقيل هو الدخان الذي لا لهب فيه .

فكانت وردة : كالوردة في الحمرة والضمير يعود للسماء .

كالدهان : كدهن الزيت في الذوبان .

بسيماهم : بسواد الوجوه وزرقة العيون .

النواصي : مقدم الرءوس .

حميم آن : ماء شديد الحرارة .

ذواتا أفنان : أغصان أو انواع الثمار .

زوجان : صنفان صنف معروف وصنف غريب .

استبرق : ديباج غليظ .

جنى الجنتين : أي أدني ثمار الجنتين .

قاصرات الطرف : لاينظرن إلا الى أزواجهن .

لم يطمثهن : لم يفتضهن من قبل أزواجهن أحد أي هن أبكار : يقال طمث الرجل امرأته من باب ضرب وقتل أي افتضها وأصل الطمث الجماع المؤدي الى خروج دم البكر ثم أطلق على كل جماع وان لم يكن معه دم .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المجادلة

بين يدي السورة : إن لهذه السورة سبباً في نزولها وهو أن خولة بنت ثعلبة كانت متزوجة من أوس بن الصامت الأنصاري أخي عبادة بن الصامت فظاهر منها وكان الظهار في الجاهلية يوجب تحريماً مؤبداً فلما فعل أوس ذلك جاءت امرأته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن أوساً أكل شبابي ونشرت له بطني فلما كبرت ومات أهلي ظاهر مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأيتك إلا قد حرمت عليه ، فقالت يارسول الله لا تفعل اني وحيده ليس لى أهل سواه فراجعها رسول الله ﷺ بمثل مقالته فراجعته وكانت تشتكي الى الله فتقول اللهم اني اشكوا اليك حالي وانفرادي وفقرى وتقول اللهم ان لي منه صبية صغارا ان ضممتهم الي جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وفي حالة شكواها الى الله تعالى وبعد جدالها للنبي صلى الله عليه وسلم أنزل الله في شأنها هذه الآية مبطلا حكم الظهار المؤبد الذي كان في الجاهلية وموجباً على من حلف او ندم على مافعل ثم يريد العودة الى زوجته الكفاره وسنفصل حكم الكفارة عندما نتكلم عن مقاصد السورة قال تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزوراً وان الله لعفو غفور) ولقد جاءت تسمية هذه السورة موافقة لسببها فتكون كغيرها من السور التي لها حظ في سبب تسميتها مما ذكر فيها من موضوعات وأبرز مافي هذه

السورة هي قصة خولة ومجادلتها للنبي وشكواها الى الله تعالى ويلاحظ من آيات هذه السورة الطويلة النظم أنها مدنية وهي كذلك بدون خلاف .

جو السورة ومقاصدها : ان جو هذه السورة مشحون بالاحكام التي تتصل بصورة مباشرة بعلاقات الافراد فيما بينهم سواء من ناحية الاسرة التي هي المجتمع الأصغر ومن ناحية المجتمع الاكبر وصلته بالله تعالى وبرسوله وكيف ينبغي أن يكون ذلك المجتمع في آدابه العامة والخاصة .

فالسورة افتتحت بآية تعتبر الدعامة الأصليـــة في تثبيت أركان الأسرة من التصدع والانهيار فكم من امرأة كانت ستشقى نتيجة لغضبة جاهلية في يمين الظهار وكم من طفل وطفلة سيشردان ويفقدان عطف أبويهما وحنانهما والشعور بالسعادة لولا آية المجادلة التي أرست سفينة الاسرة بعد ان كانت مشرفة على الغرق والهلاك فأبطل الله سبحانه وتعالى ذلك القـــول الزور وتلك اليمين الباطلة مبيناً أن الزوجات لسن كالأمهات في التحريم ففي الأمهات علاقة نسبية وليس في الزوجات ذلك فمن حرم زوجته على نفسه حرمة أبدية كحرمة أمه عليه فهو مبطل في دعواه وبامكانه ان يعود لزوجته وتعود زوجته الى عصمته فاذا ما عزم على ارجاعها أو تم ارجاعها اليه بالفعل ووطئها وجبت عليه الكفارة وبعد ادائه للكفاره يمسها وتمسه ولقد جعل الله كفارة الظهار في ادائها ثلاثة أنواع مرتبة لاينتقـــل من النوع الاول الى الثاني ولا من الثاني الى الثالث الا بعد اثبات العجز .

فالنوع الاول تحرير رقبة والثاني صيام شهرين متتابعـــين والثالث

إطعام ستين مسكيناً فتحرير الرقبة من العبودية مقدم على الصيام اذا وجد الرق وفي حالة عدم وجوده أو في حالة وجوده ولم يكن لدى المكفر مال يتمكن فيه من تحرير الرقبة كأن كان فقيراً معدما فان كفارته تنصرف الى صيام شهرين متتابعين فان أفسد المكفر صيامه بعد شروعه في الكفارة

أعاده من أوله باتفاق الائمة وان افسده بعذر كالمرض والنسيان فقال مالك يبني على ما كان فيه وقال ابو حنيفة يبتديء وأما الشافعي فقد روي عنه القولان .

فان لم يقدر على الصيام لأعذار صحية كأن لايقوى عليه مطلقاً بحيث يضر به ضرراً ملموساً فعندئذ تكون كفارته إطعام ستين مسكيناً وتقدر قيمة الاطعام عند مالك بمُدٍ لكل مسكين وكذلك عند الشافعي لكل مسكين ولم تصح إلا باطعام ستين مسكيناً لكل مسكين مُدٌ فلا يجوز اعطاء ستين مُداً الى مسكين واحد عند مالك والشافعي : أما عند ابي حنيفة فجائز ويكون القوت من غالب طعام أهل البلد ولا مانع أن تقدر الضروره بقدرها والاعتبار في ذلك حاجة المسكين وقدرة المكفر على التمكن من الأداء .

هذا هو حكم الله تعالى في الظهار وكفارته على المظاهر فلا يعدل عنه ولا يتجاوز الى غيره والمنكرون له لهم عذاب أليم : قال تعالى :

(والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم) .

ثم ان الله تعالى يكشف في بعض آيات هذه السورة عن علمه في كل ما يحدث في السموات والارض وما سيحدث حتى انه يعلم مايحدث الانسان به نفسه لأنه أقرب الى الانسان من نفسه ودمه كما قال الله تعالى في سورة (ق) (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) فاذا كان يعلم مابين الانسان وضميره فانه يعلم ما بينه وبين غيره من بني الانسان فما من ثلاثة يتناجون الا هو رابعهم بالمشاهدة والمراقبة والاطلاع على أعمالهم وما من خمسة الا هو

سادسهم كذلك وما من عدد أقل من ذلك او أكثر الا هو معهم اينما حلوا ونزلوا ويخبرهم بما عملوه وسيحاسبهم عليه يوم القيامة إنه بكل شيء عليم .

ولقد كشف الله فعلا عن مناجاة اليهود والمنافقين لبعضهم بعضا بعد أن نهاهم عن مناجاتهم في معصية الله والرسول والاثم والعدوان ثم يعودون لما نهوا عنه مرة ثانية واذا جاءوا الى النبي ﷺ حيوه بغير تحية الله حيث يقولون له السام عليك أي الموت بدلا من السلام فيحييهم عليه السلام بقوله وعليكم فسمعتهم عائشة يوما فقالت بل عليكم السام واللعنة فقال رسول الله ﷺ مهلا ياعائشة ان الله يكره الفحش والتفحش فقالت أما سمعت ماقالوا قال أما سمعت ماقلت لهم اني قلت وعليكم قال تعالى (ألم تر ان الله يعلم ما في السموات ومافي الارض مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم ، ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) .

ثم ان بعض الآيات ترشد الى آداب المجالس في المجتمعات العامة وفي مجالس النبي ﷺ خاصة قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل لكم انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) والافساح يكون حيناً بالتخفيف وذلك بقلة المكث وتدرك ضرورته بحسن النظر وبداهة الحاضرة او بشدة الملاحظة ورهن الاشارة ويكون احياناً بتقدير واحترام الجاهل للعالم والصغير للكبير والقريب للقريب والبعيد للبعيد وبالاولى ان يكون من العالم للعالم ومن المؤمن للمؤمن لأن الايمان

نور والعلم حجة فاذا ما اجتمعا في رجل رفعه الله الى اعلى الدرجات لاسيما اذا كانا له مصدر قول طيب وعمل مثمر نافع .

وفي ختام السورة آيات تعرضت لحكم منسوخ وبيانات للارشاد أما الحكم الذى نسخ فهو تقديم صدقة لمن يريد مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم تعطى من الاغنياء الى الفقراء والسبب في ذلك كما قال ابن عباس هو ان قوماً من شبان المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي ﷺ في غير حاجة لتظهر منزلتهم وكان النبي ﷺ سمحاً لا يرد احداً فنزلت الآية مشددة في امر المناجاة وهي قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) ولقد عمل بهذا الحكم علي بن ابي طالب كرم الله وجهه روي انه كان له دينار فصرفه بعشرة دراهم وناجاه عشر مرات تصدق في كل مرة منها بدرهم ، وقيل لم يعمل به أحد الى أن نسختها الآية التي بعدها (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقة فاذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون) ولعل رأيك يكون من رأيي أيها القارىء في أن حكم الصدقة في المناجاة انما هو هو اشعار السائلين بالتزامهم حدود الأدب في المناجاة لكي يستعد السائل للمناجاة بدون خلل او اطالة وليس الغرض من ذلك الترفع والحرج في دفع المال كما علمت من أسباب نزول الآية ، أما البيانات التي أرشدتنا السورة اليها : منها :

التعريض بالمنافقين الذين تولوا قوماً من اليهود وقد غضب الله عليهم يسرون اليهم أقوالهم ويلتجئون اليهم ويجعلون الحلف بالله أمام المؤمنين وقاية لهم من القتل وهم يعلمون أنهم كاذبون أولئك الذين لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً يوم يحيق بهم ما كانوا يكذبون في نار جهنم خالدين فيها اولئك الذين استحوذ عليهم الشيطان فأصبحوا من حزبه وحزب الشيطان

هم الخاسرون وأما حزب الله فهم الغالبون ولا يوالون من حارب الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او عشيرتهم .

قال تعالى (ألم تر الى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ، أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون ، اتخذوا ايمانهم جُنَّة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين ، لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ، ان الذين يُحادُّون الله ورسوله أولئك في الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز ، لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) .

الكلمات : التفسير

تجادلك : تراجعك الكلام في ظهار زوجها منها . من المجادلة وهي المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصلها من جدلت الحبل إذا احكمت فتله .

تحاوركما : تراجعكما الكلام يقال حاورته راجعته الكلام وأحار الرجل الجواب رده وما احار جوابا : ماردده .

يظاهرون : يحرمون نساءهم كتحريم امهاتهم .

منكرا من القول : مخالفاً للشرع والعقل والطبع .

وزوراً : باطلا منحرفاً عن الحق .

تحرير رقبة : اعتاق رقبة .

يتماسا : يستمتع أحدها بالآخر .

يحادون : يعادون ويحاربون وأصل المحادة أن تكون في حد يخالف حد صاحبك فيكنى بها عن المعاداة لكونها لازمة للمعاداة .

كبتوا : اهينوا وخذلوا : يقال كبت الله العدو كبتاً ـ من باب ضرب ـ أهانه وأذله وكبته : كبه أي صرعه لوجهه .

أحصاه الله : أحاط بأعمالهم عدداً ولم يفته سبحانه وتعالى منها شيء والمراد احاط بها علماً .

النجوى : المخاطبة في الكلام سرا .

لولا يعذبنا : هلا يعذبنا .

حسبهم جهنم : كفى بجهنم مأواهم ونزلهم ومستقرهم .

يصلونها : يدخلونها ويقاسون حرها .

ليحزن : ليوقعهم في الحزن : والحزن الهم : يقال حزنه جعل فيه حزنا .

تفسحوا : توسعوا يقال فسحت له في المجلس أي رحب له عن

مكان يسعه .

انشزوا : ارتفعوا عن مواضعكم في المجالس للتوسعة على المقبلين فارتفعوا ولا تثاقلوا يقال نشز ينشز ونشز : من بابي ضرب ونصر - اذا ارتفع عن مكانه .

أأشفقتم : أخفتم الفقر يقال أشفق عليه اذا خاف عليه مع الشفقة .

تولوا قوماً : اتخذوهم أولياء .

غضب الله عليهم : وهو عدم الرضا والقبول والمراد بالمغضوب عليهم هم اليهود .

جُنة : أي وقاية يسترون بها انفسهم وأموالهم من القتل والضياع

لن تغني : لن تنفع بشيء ولم تدفع سوء .

استحوذ : استولى عليهم وغلبهم من الحوذ وهو ان يتبع السائق حاذيي البعير أي أدبار فخذيه فيعنف في سوقه : يقال حاذ الابل يحوذها أي ساقها سوقاً عنيفاً أو من قولهم استحوذ العير على الأتان أي استولى على حاذيها أي جانبي ظهرها ثم اطلق على الاستيلاء .

في الأذلين : أي في عداد أذل خلق الله وهم حزب الشيطان أما المؤمنون فلا يوادون إلا أحباب الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانسان

بين يدي السورة : لما كان الانسان قبل ايجاد الله له ليس شيئاً يذكر بالوجود ومر عليه زمن غير محدود لا يعلم الانسان عن عدم وجوده ولو قليلا في الوجود ولا هو يعلم بعد وجوده ماسيقضى به عليه خلال وجوده اذن فالنتيجة في نظر الانسان بنفسه باعتبار ما كان وسيكون مجهولة غامضه فلم يعلم الانسان اين كان ومتى يكون أو لا يكون كل ذلك من تقدير الله العزيز القادر الذي خلق الانسان في أطوار متعددة وتلك الأطوار تبدأ بالنطفة التي هي قليل من ماء الرجل . فسيستقر في رحم المرأة ويتطور ذلك الماء الى علقة وهي قطعة دم جامدة ثم تتطور العلقة الى مضغة وهي قطعة لحم صغيرة ومنها يخلق الله تعالى العظام ويكسو العظام الجوارح قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) أي باعتبار الأصل وهو آدم عليه السلام (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) أي رحم المرأة (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) ثم تكون نتيجة هذا لانسان بعد خلقه الموت سواء عمر أو لم يعمر ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) .

والسوره افتتحت باستفهام تقريري وليس حقيقياً ليكون أدعى الى حض الانسان في معرفة نفسه وذاته بحيث لا يتداخله الغرور ولا تأخذه الكبرياء كل مأخذ قال تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا ، انا خلقناه من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً

بصيرا) أي خلقناه من اختلاط ماء الرجل بماء المرأه ثم أخرجناه كامل الخلق لنختبره بقوله وعمله فيحسن الينا باطاعته لنا كما أحسنا اليه بعد ان رسمنا له طريق الحق والهدى وطلبنا منه اتباعه وبينا له طريق الضلالة وحذرناه منه فيكون مايفعله الانسان باختياره من خير أو شر قبل قضائنا له بذلك وبعد فعله باختياره يكون حكماً نافذا وهذا منتهى العدل قال تعالى (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما وكفورا) .

وعلى هذا المبدأ العدل تتقرر الشقاوة للخارجين عن حدود الله المرسومة وسنته التي سنها في ارسال الرسل والأنبياء وانزال الكتب السماوية عليهم ليكون الجميع هدى للناس وبينات فمن خرج عن اتباع تلك السنن أعد الله له جهنم يساق اليها بالسلاسل والأغلال واما من اتبعها فأولئك هم الأبرار لهم في الجنان العاليات كأس يشربون فيها الخمرة المحيية لا المسكرة المميتة ممزوجة بالكافور ذي الرائحة الطيبة تتفجر تفجيراً ذلك جزاؤهم لأنهم كانوا يوفون نذورهم لله في الدنيا ويخافون يوم الآخرة الذي يكون فيه كل سر شائعاً وذائعاً ويطعمون الطعام رغم الحاجة اليه . المسكين واليتيم والاسير قائلين لا نبتغي الا وجه الله فلا نطلب منكم جزاء ولا شكورا وإنما نخاف من ربنا يوماً شديد الوطأة فترجوا ان يحفظنا من شره فيجيئهم الخطاب بالضمان لهم من شر ذلك اليوم وانهم يأتون في ذلك اليوم وتعلو وجوههم النضرة ويمازج نفوسهم السرور ويدخلون جنة بما صبروا يلبسون فيها الحرير ويتكئون على الأرائك لايرون اثراً للشمس ولا للزمهرير وتجنى لهم القطوف لتكون بمتناولهم وهم جالسون تحت ظلال اشجارها ويأتي دور الشراب فيطاف عليهم بالاكواب التي في لونها كالفضة وفي صفائها كالبلور حيث يتناولون فيها شراباً مزيجاً بالزنجبيل ذي الرائحه

العطره ويطوف عليهم صغار الخدم المخلدون الذين في حسنهم وبياضهم كاللؤلؤ المنثور ، وإذا ما شاء الانسان ان ينظر الى نعيم دائم وملك كبير قائم فلينظر هناك وليمتع نظره بالثياب السندسية الخضراء والموشاة بالاستبرق يلبسها أولئك الأبرار وفي ايديهم الأساور من فضة يقال لهم هذا لكم جزاء لما قدمتم من عمل طيب وسعي مشكور .

روي ان سبب نزول قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً) وما بعده هو ان علي بن ابي طالب وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم كانوا صائمين فلما وضعوا فطورهم ليأكلوه جاء مسكين فرفعوه له وباتوا طاوين واصبحوا صائمين فلما وضعوا فطورهم ليأكلوه جاء يتيم فدفعوه له وباتوا طاوين واصبحوا صائمين فلما وضعوا فطورهم جاء اسير فدفعوه له وباتوا طاوين وعلى هذا فتكون السورة مدنية لأن علياً انما تزوج فاطمة بالمدينة وقيل ان السورة مكية وهذا لا يمنع أن يكون بعضها مدنياً والبعض الآخر مكياً قال تعالى (ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ، يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ، ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيرا ، انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا ، انا نخاف من ربنا يوما عبوساً قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الأرائك لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً ، ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ، ويطاف عليهم بآنية من فضة كانت قواريرا قواريرا من فضة قدورها تقديرا ، ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا عيناً فيها تسمى سلسبيلا ، ويطوف عليهم

ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلـــؤاً منثورا ، واذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملـكا كبيراً عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهورا إن هذا كان لـكم جزاء وكان سعيـكم مشكورا) وفي ختام السورة يؤكد الله سبحانه وتعالى لرسوله صـــدق نبوته وذلك بانزال القرآن عليه تنزيلا بواسطة الوحي تبعاً للحوادث والوقائع والضرورات ويواسيه بالصبر على ما يقوله الآثمون والـكافرون في حق الله والقرآن وفي حقه ويرشده الى مزاولة ذكره وتذكره عند طلوع الشمس وعند غروبها وان يقوم في الليل ساجداً ومسبحاً لأن من كان شأنه كذلك فهو يرجو رحمة ربه وينتظر لقاءه في يوم الحشر والنشر فيعمل له عمـــله ويسعى له سعيه .

وأما الـكافرون بالله وباليوم الآخر فأولئك الذين يحبون الحـــياة الدنيا فيعطون نفوسهم أهواءها ويعبثون فيها فساداً منكرين وتاركين وراءهم يوماً ثقيلا بحسابه وعقابه والله تعالى هو الذي خلقهم ويعلم متقلبهم ومثواهم وهو الذي اذا شاء أن يهلكهم ويأتي بخير منهم لفعل ولـكنه سبحانـــه وتعالى هو الحليم فيبعث الذكرى تلو الذكرى واضحة غير خافية في القرآن الكريم ومن شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا فان الله سبحانه وتعالى يهيىء له أسباب الوصول ويدخله في رحمته وأما الظالمون الذي يظلمون أنفسهم فلهم عذاب اليم جزاء بما كانوا يستكبرون قال تعالى (إنا نزلنا عليك القرآن تنزيلا ، فاصبر لحـكم ربك ولا تطع منهم آثماً او كفورا ، واذكـر اسم ربك بكرة واصيلا ، ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلا ، نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا ، إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ، وما تشاءون الا أن يشاء الله ان الله كان عليماً حكيماً ، يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليما

المكلمات : التفسير

حين من الدهر : الحين : الطائفة المحدودة من الزمان الممتد غير المحدود : والدهر يطلق على كل زمان طويل غير معين وعلى مده العالم كله .

النطفة : أي ماء الرجل وماء المرأة .

أمشاج : أي اختلاط ماء الرجل بماء المرأة يقال مشج بينهما من باب ضرب أي خلط ومزج وهو جمع مَشَجٌ أو مَشِجٌ كسبب أو كتف .

نبتليه : مبتلين : أي نريد اختباره بالتكاليف حين يتأهل لذلك .

هديناه السبيل : أي دللناه على مايوصله الى البغيـــة وذلك بانزال الآيات واعلان الدلائل في حالتي الشكر والكفر وكل ذلك بعد أن جعله سميعاً بصيراً يدرك بسمعه وبصره المسموعات والمشاهدات .

أغلالا : قيوداً تجمع أيديهم الى أرجلهم .

كأس : أي من خمر أو اناء فيه خمر واطلاق الكأس على الاناء حقيقة وعلى الخمرة مجاز .

مزاجها : والمزاج مايمزج به .

كافورا : ماء كالكافور في أحسن أوصافه .

يفجرونها : يجرونها ويتناولونها كيف شاءوا

مستطيرا : منتشراً غاية الانتشار.

يوماً عبوسا : تكلح فيه الوجوه لهوله.

قمطريرا : شديدا وكريها يقال : اقمطر يومنا اشتد ويوم مقمطر وقمطرير : اذا كان شديدا في العبوس : يقبض مابين العينين لشدته.

نضرة ، حسنا وبهجة في العيون والوجوه .
الأرائك : السرر في الحجال .
زمهريرا : برداً شديدا .
دانية عليهم ظلالها : قريبة منهم .
ذللت قطوفها : قربت ثمارها .
أكواب : أقداح بلا عرى فلا يحتاج عند التناول الى ادارتها .
كانت قواريرا : كالزجاجات في الصفاء .
قدروها تقديرا : قدر الطائفون بها شرابها على مقدار ري الشاربين من غير زيادة ولا نقصان وذلك ألذ وأشهى .
زنجبيلا : ماء كالزنجبيل في أحسن أوصافه .
تسمي سلسبيلا : توصف بغاية السلاسة والانسياغ .
ولدان مخلدون : غلمان دائمون .
لؤلؤاً منثورا : متفرقا غير منظوم .
سندس : ديباج رقيق .
استبرق : ديباج غليظ .
بكرة وأصيلا : وقت الشروق والغروب .
يوماً ثقيلا : شديد الأهوال .
شددنا أسرهم : أحكمنا خلقهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النبأ

بين يدي السورة : في الفترة التي بعث فيها رسول الله ﷺ وقام يدعو الى الله تعالى فيبشر المؤمنين بالله وشريعته وينذر المشركين به وبالبعث أي اليوم الآخر فلم يستطب الكافرون ذلك النداء وابتعدوا عما يدعوهم اليه محمد ﷺ فمنهم من جحد ما ندبهم اليه وقال (إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) ومنهم من أرتاب فيه وقال (ماندري مالساعة أن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين) فراحوا يتساءلون فيما بينهم سؤال استهزاء وإنكار ، فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله (عم يتساءلون ، عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون) .

فلقد بدأ الله سبحانه وتعالى هذه السورة باستفهام فيه التشنيع لهم والانكار عليهم فكأن الله يقول عن أي شيء يسأل هؤلاء الجاحدون بعضهم بعضا وفي هذا الاستفهام وابهام المستفهم عنه إشعار بفخامة أمره وتشويق للسامعين الى معرفة شأنه فبينه الله تعالى بقوله (عن النبأ العظيم) أي يتساءلون عن الخبر العظيم الشأن الذي جاء به محمد ﷺ ونطق به القرآن . ولقد سميت بسورة النبأ لأن آياتها تحدثت عنه بالدليل والبرهان والحجة الداحضة فكانت كغيرها من السور التي لها الحظ الأكبر في تسميتها مما ذكر فيها .

جو السورة ومقاصدها : نزلت هذه السورة في مكة ولذلك فان آياتها قصيرة النظم وصغيرة الحجم تنبع من خلال كلماتها الدعوة الى وحدانية الله وعدم الاشراك به والايمان بيوم الحشر وهي في جوها اللاهب

مشبعة بروح الوعد والوعيد ومليئة بالبراهين والحجج حتى يخيل الى قارئها أو سامعها أن الساعة قد قامت وان الناس بعثوا من قبورهم ووردوا على ربهم أفواجاً وأن السماء قد تشققت لنزول الملائكة منها وهذا ما يشير اليه الله في سورة أخرى (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) وأن الجبال قد سيرت في الجو على هيئتها بعد تفتتها حتى ليظن من يراها انها جبال وليست بجبال وانما هي غبار يتكاثف ويتراكم قال الله تعالى (إن يوم الفصل كان ميقاتاً يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً وفتحت السماء فكانت أبوابا ، وسيرت الجبال فكانت سرابا إن جهنم كانت مرصادا) وأما تصوير السورة للوعيد الذي سيلاقيه المنكرون للبعث والجاحدون بوحدانية الله تعالى فليس هناك صور تعرض أعظم من الصور التي ابرزتها هذه السوره حيث صورت أن جهنم تنتظر أولئك الجاحدين المنكرين فهي ترصدهم باللحظة والدقيقة فهي لهم وهم لها لا يصرفون عنها ولا تصرف عنهم فهي مرجعهم واليها مآبهم ماكثين فيها لا يذوقون فيها شرابا طيباً ولا لطافة في الجو الذي هم فيه وانما يشربون الماء الحار الذي يقطع امعاءهم ويجعل الصديد يسيل من جلودهم بدل العرق الذي من شأنه أن يتصبب من الأعضاء عند الحر وهذا كله جزاء من الله مقابل لأعمالهم السيئة الناجمة عن اعتقادهم السيء في حق الله والبعث وكل أحكام الشريعة المحمدية فانهم كانوا يكذبون بكل آية من القرآن وكان ذلك محصياً عليهم في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة كما قال تعالى في سورة الكهف (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا ولا يظلم ربك أحدا) وقال في هذه السورة (إن جهنم كانت مرصادا ، للطاغين مآبا ، لابثين فيها أحقابا لايذوقون فيها برداً ولا شرابا ، إلا حميما وغساقا ، جزاء وفاقا انهم كانوا لايرجون حسابا ، وكذبوا بآياتنا كذابا ،

وكل شيء أحصيناه كتابا) وعندها يقال لهم (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) .

وهنا جاء دور المؤمنين بالله وما أنزل على رسوله محمد ﷺ وكانوا يثقون أن لهم البساتين التي ينبع ويجري فيها الماء والتي فيها الاشجار والأثمار الغريبة والرياض النضرة والأزاهير المنعشة والتي فيها الفتيات الطاهرات وقد بدا ثدي كل منهن للنهود وهن في سن واحدة وحجم واحد كضلوع الصدر ويتناولون فيها الكأس المترعة المليئة بالشراب المنعش دون أن يسمعوا فيها الكلام اللغو المسيء والمزعج والذي لا قيمة له ولا الكلام الكاذب وذلك كله فضل من الله لأنهم اهل له لما كانوا يعملون من عمل خير واحسان .

قال تعالى : ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا ، وكواعب اترابا ، وكأساً دهاقا ، لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا ، جزاء من ربك عطاء حسابا) .

أما التهديد المقرون بالادلة والحجج لأولئك الكافرين المنكرين فهو يظهر واضحاً وذلك باستخدام أدوات الزجر السابقة لفعل المضارع المسبوق بسين الاستقبال مما يدل دلالة واضحة على الوعيد الذي أعد لهم في المستقبل اذا هم لم يرجعوا عن غيهم وعنادهم وانحرافهم فلم يكن أبلغ من حجة خلق الارض ممهدة وسهلة ليمشي الانسان في سهولها ووديانها وليسخرها في طلب معاشه بعد سعيه فيها وقد بدت فيها الجبال كالأوتاد ارساء لها من الميد والاضطراب : ثم لم يكن أعمق نظرا لقوم يتفكرون ينظرون ويسمعون من جعل النوم راحة للانسان بعد تعب كان لحق به في النهار وهو جاهد في تحصيل معاشه فالنهار يكشفه والليل يستره وكذلك رفع السموات السبع الشديدة المحصنة وفيها الشمس المضيئة ثم لا يكاد ينصرف النظر عن تسخير السحاب في انزال الماء الطهور منه بكثرة ودفقان فيخرج الله سبحانه وتعالى بقدرته منه سائر أنواع الحبوب والنبات والاشجار

الملتفة على بعضها قال تعالى (كلا سيعلمون ، ثم كلا سيعلمون ، ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا ، وخلقناكم أزواجا ، وجعلنا نومكم سباتا ، وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا ، وبنينا فوقكم سبعاً شدادا ، وجعلنا سراجاً وهاجا ، وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ، لنخرج به حباً ونباتا ، وجنات الفافا) .

الكلمات : التفسير

عن النبأ : عن الخبر العظيم الشأن الذي جاء به محمد ﷺ ونطق به القرآن .

مهادا : فراشا موطأ كالمهد لتمكينكم من الاستقرار والتقلب في انحائها : والمهاد : مصدر بمعنى مايمهد وجعلت به الارض مهادا مبالغة في جعلها موطئاً للناس .

أوتادا : كالأوتاد كما يرسى البيت بالأوتاد لئلا تعصف به الرياح جمع وتد .

أزواجا : مزدوجين ذكراً وانثى ليتأتى التناسل ويحفظ النوع .

سباتا : أي قطعاً للاعمال من السبت وهو القطع يقال سبت الشيء سبتا قطعه .

لباسا : ستراكما يغشى اللباس لابسه ويستره .

معاشا : وقت معاش يسعى فيه الناس لتحصيل معيشتهم .

سبعاً شدادا : سبع سموات قويات محكمات لا يتطرق اليهن فطور ولا شقوق على مر الدهر .

سراجا وهاجا : مصباحاً زاهرا مضيئاً وهو الشمس .

وهاجا : بالغا في الحراره من الوهج وهو الحرارة من بعيد ومنه توهجت النار توقدت والشمس جامعة بين الاضاءة التي اشير اليها بالتعبير عنها بالسراج وبين الحرارة التي أشير اليها بوصفه بالوهاج .

من المعصرات : من السحائب الماطره التي تتقاطر بالماء كأنها تعصر عصرا

ثجاجا : منصباً بكثرة يقال ثج الماء - من بـــاب رد - اذا انصب بكثرة وثجه صبه كذلك ، ومطر ثجاج : شديد الانصباب .

حباً ونباتا : الحب مايقتات به الناس كالحنطة والشعير ، والـــنبات ما تعتلف به الدواب كالتبن والكلأ .

الفافاً : ملتفة .

الفصل : الجزاء والحساب .

ميقاتاً : موقوتا أي مرجعاً معيناً ينتظرهم .

ينفخ في الصور : يعلن بالبعث من القبور

أفواجاً : امماً مع كل أمة إمامها كما قال تعالى (يوم ندعو كل أناس بامامهم) .

وفتحت السماء : شقت وفرجت لنزول الملائكة .

سرابا : أي صارت كالسراب بعد تفتتها .

مرصاداً : معدة ومهيأة .

مآبا : مرجعاً ومستقرا .

لابثين : ماكثين .

احقابا : دهراً بعد دهر . جمع حقب .

حميما : أي ماء كالحميم .

وغساقا : وهو ما يسيل من الجلود من صديد وقيح .

جزاء وفاقا : أي جزاء مماثلا لما يستحقون من اعمال كانوا يعملونها

أحصيناه : حصرناه بدون زيادة ولا نقصان في كتاب .

مفازا : نجاة من العذاب .

حدائق : بساتين فيها ماء وأشجار مثمرة ورياض وازاهير جمع حديقة وسميت بذلك تشبيها لها بحدقة العين في الهيئة وحصول الماء فيها .

وكواعب : جمع كاعب وهي الفتاة التي تكعب ثدياها أي استدارا مع ارتفاع يسير وذلك يكون عند البلوغ : يقـــال

كعبت الجاريه (من باب دخل) بدا ثديها للنهـــود فهي كعاب وكاعب .

أترابا : أي في سن واحدة تشبيها للكواعب في التماثل والتساوي بالترائب التي هي ضلوع الصدر .

وكأساً دهاقا : أي مترعة مليئة يقال دهق الحوض وأدهقه ملأه وأصله من الدهق وهو ضغط الشيء وشـــده باليد كأنـــه لامتلائه انضغط .

لغواً : أي كلاماً زائداً فضولياً قبيحاً .

عطاء : إحساناً وتفضلا .

حسابا : كافياً مصدر أقيم مقام الوصف من قولهم أحسبه الشيء إذا كفـاه .

الروح : جبريل عليه الصلاة والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (عبس)

بين يدي السورة : ان اسم هذه السورة مأخوذ من نفس الموضوع الذى تحدثت فيه بدأ وهو موقف انبي ﷺ من عبد الله بن أم مكتوم الاعمى عندما جاء النبي ﷺ وهو مشغول بوفد قريش الذي هو من أشرافهم وكان النبي ﷺ حريصاً على إسلام قريش فبينما هو مع رجل من عظمائهم قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل عتبة بن ربيعة وقيل أمية بن خلف إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم فقال يارسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم شيئاً عن تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاعمى قطع كلامه فعبس وأعرض عنه وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قول الله الذي فيه العتاب اللطيف للنبي ﷺ طالباً منه أن يتوجه بقلبه ونظره الى من جاءه يطلب منه الموعظة والذكرى وأن لا يلتفت بكليته الى الاغنياء فقط لأنه غير مسئول عن عدم تزكيتهم اذا هم لم يسعوا لذلك أما الذي يأتي طالباً التزكية وهو يخشى فلا يجوز الانشغال عنه بغيره وإن كان زعيما وغنياً .

ولقد جعل الله هذا العتاب للنبي ﷺ في القرآن تذكرة له لكي لايعود الى مثل العمل الذي نزل من أجله العتاب وليكون القرآن الكريم الذي ينزل بمثل هذه المواعظ تذكره لجميع المؤمنين المسلمين خاصة ولكل الناس عامة ليتأدبوا بأدبه وليتمسكوا بتعاليمه فهو منسوخ عن اللوح المحفوظ في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي ملائكة برره أطهار .

قال تعالى (عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى ، وما عليك

ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى ، فأنت عنه تلهى ، كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، بايدي سفرة ، كرام برره) .

جو السورة ومقاصدها : إن هذه السوره مكية فلم تحرم آياتها من روح الثورة العقائدية التي من شأنها أن تقدم وتؤخر في المواعظ والبيانات والصور التي هي حقائق في المستقبل القريب واتي هي وقائع في الماضي والتي لم يدركها الانسان إلا بالتأمل والتفكير والتبصر والتدبير فالسورة تحث الانسان على ان يفكر دون تنكر للواقع ولا جحود للحق لأن بانكاره وجحوده لذلك يعتبر محروماً من روح العدالة مطروداً من رحمة الله مستأثراً بالجهل والغباوة والعمى فما الذي يمنع الانسان من ان ينظر مم خلقه الله حتى يصل الى معرفة نفسه فاذا ما علم أنه مخلوق من نطفة ثم قدر تكوينه العضوي والشكلي في أطوار أي حال بعد حال حتى أخرجه كامل الصورة تام الأعضاء ثم يسر له سبيل الرزق والحياة ودله على الايمان بالعقل والقرآن حتى اذا ماانتهت مدة حياته أماته فأقبره ثم بعد ذلك يوم القيامة يحشره ومع هذا كله فانه لا يعتبر ولا يأتمر فيؤدي حمد النعم وشكر الكرم لله سبحانه وتعالى بل يبقى كافراً لتلك الأنعم .

قال تعالى : (قتل الانسان ما أكفره من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره ، كلا لما يقض ما أمره) .

ثم إن الله تعالى في الآيات الأخيرة يدعو الانسان الى ان يمعن بنظره وهو يأمره أمراً في ان يفكر في طعامه الذي يأكله فيتغذى بمواده الدهنية والسكرية والنشوية فهل كان من تدبيره أم تدبير أمثاله فان مجرد نظرة منصفة متفحصة عادلة تثبت أن الله سبحانه وتعالى هو

الذي صب الماء من السماء صباً في الأرض فشقها شقاً بالحب والعنب والقضب أي العلف والحدائق الغليظة الاشجار الكثيفة الأوراق وهو الذي أنبت المرعى والكلأ وكل ذلك متاع للانسان ينعم به وللأنعام التي يسخرها لخدمته ولكن الانسان لا يقبل الموعظة ولا الحسنة ويبقى منكراً مستنكرا لكل دواعي الجميل والاحسان حتى إذا جاء يوم القيامة ويظن أن والده ووالدته وزوجته وأبناءه واخواته واخوته يسعفونه أو ينصفونه وإذ بالجميع يفرون منه فرارهم من الأسد أو الأجرب ويا ليت الأمر كذلك بل الساعة أدهى وأمر فان لكل امرئ شأناً يشغله عن غيره فلا يلتفت أحد الى احد وتظهر الوجوه المشرقة الضاحكة المستبشرة التي كان اصحابها يعمرون قلوبهم بالايمان والاسلام وتبدو الوجوه المغبرة التي تغشاها الظلمة التي كان أصحابها يكفرون بالله ورسوله ويعصون الله ما أمرهم به قال تعالى : (فلينظر الانسان الى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الارض شقا ، فانبتنا فيها حبا ، وعنباً وقضبا ، وزيتوناً ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا متاعاً لكم ولأنعامكم ، فاذا جاءت الصاخة ، يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وابيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفره ، ضاحكة مستبشرة ، ووجوه يومئذ عليها غبره ، ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجره) .

الكلمات : التفسير

يزكى : يطهر في نفسه وفي قوله وعمله بعد سماعه للموعظة .

استغنى : أي اكتفى بالذي هو عليه عن الذي عندك فلا يلتفت اليك .

تصدى : أي تتعرض بالاقبال عليه والاصغاء لكلامه وأصله تصدد من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك : يقال داري صدد داره أي قبالتها فأبدلت الدال حرف علة للتخفيف .

تلهى : أي تُعرِضُ عنه وتتشاغل بغيره يقال لهي عنه وتلهى سلا عنه وترك داره .

مرفوعة : ذات منزلة رفيعة .

مطهرة : اي طاهرة في حد ذاتها ولا تمسها إلا أيدي طاهرة .

سفرة : الملائكة الذين جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله جمع سافر بمعنى سفير أي رسول وواسطه : أو هم كتبة من الملائكة ينسخون الكتب من اللوح المحفوظ جمع سافر أي كاتب يقال سفر الكتاب يسفره كتبه ومنه السفر للكتاب وجمعه اسفار .

بررة : أتقياء ومطيعين جمع بر .

قُتل الانسان : طُرد أو عُذب .

ما أكفره : ما أشد عناده في كفره وذلك يظهر في انكاره للحق والواقع .

فقدره : فهيأه لما يصلح له فأتم خلقه وتكوينه على مراحل من نطفه ثم من علقة ثم من مضغة .

السبيل : طريق العيش والكسب والمعاش .

فأقبره : جعله ذا قبر توارى فيه جيفته تكرمة له .

الكلمات : التفسير

أنشره : بعثه وحشره بعد موته .

فلينظر : فليتأمل بكل حواسه .

صببنا الماء : أنزلنا الماء .

شققنا الأرض : اخرجنا منها النبات والحب والعنب .

قضباً : ما تأكله البهائم من علف .

حدائق غلبا : بساتين ملتفة أشجارها على بعضها .

وأبّا : الكلاء والمرعى أو هو التبن خاصة .

الصاخة : الداهية العظيمة وهي القيامة من صخ بمعنى أصاخ أي استمع .

مسفرة : مضيئة ومشرقة من أسفر الصبح إذا اضاء .

مستبشرة : مسرورة .

غبره : غبار بحيث تجعل الوجوه كالحة .

ترهقها قترة : تغشاها ظلمة وسواد أو ذلة وشدة من الهم يقال رهقه أي غشيه وقيل : الغبره والقتره بمعنى واحد الا ان الغبره ما انحط من الغبار الى الارض ، والقتره ما ارتفع منه الى السماء .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة « التكوير »

بين يدي السورة : تكاد هذه السورة تخص بذكر القيامة وبيان أماراتها ففي أول آية من آياتها تصوير عظيم للشمس في تكويرها عندما تقوم الساعة ولهذا سميت (بالتكوير) ولما كانت الشمس أضخم الأجرام السماوية ابتدأ الله تعالى بها ثم بالنجوم ثم بالجبال لأنها بارزة في الارض بروزاً فهي تلفت النظر عندما تسير .

ولقد أشارت الى أهم ما سيكون من اسئلة توجه يوم القيامة الى اصحاب العلاقات الخاصة فيما كانوا يتصرفون من اعمال ظالمة لا تقل عن اعمال الوحوش بل تزيد وذلك كتوجيه السؤال الى البنت المدفونة في التراب وهي حية أمام من ارتكب تلك الوحشية والهمجية بأي ذنب قتلت مع أنها لم ترتكب ذنباً ولا اثماً فهي لم تبلغ حد الذنب والاثم فيكون اعنف سؤال وأشده لأولئك المجرمين الظالمين .

ثم إن في السورة نوعاً مخصوصاً من القسم الذي استأثر الله به وهو من حقه دون غيره من خلقه سنتكلم عنه وعن بقية المواضيع عندما نتكلم عن جو السورة ومقاصدها .

جو السورة ومقاصدها : يظهر من جو هذة السورة المليء بالصور الهائلة لقيام يوم الساعة والمواقف العنيفة بالنسبة الى المخلوقات في ذلك اليوم ثم بالنسبة الى مهاجمتها للكافرين المناوئين لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم

وشخصه الكريم أنها مكية فالسورة أبانت اول مشهد يدل على قيام الساعة وذلك بتكوير الشمس اي بلفها لفاً بحيث يذهب ضياؤها ويزول جرمها وكذلك النجوم تنطمس معالمها وتغور في جواهرها والجبال تسير فتمر مر السحاب والنوق العشار التي مر على حملها عشرة اشهر تعطل فتهمل وتصبح هائمة مشردة والوحوش تحشر من أوكارها وتخرج من أجحارها في ذهول عما تقتضيه طبائعها من التوحش والتعدي لشدة الاضطراب والفزع والبحار كأنها تشتعل بالنيران واللهب حتى لايبقى فيها قطرة من ماء والنفوس تقرن بالارواح أي يقرن الله الروح بالجسد ويجاء بالمدفونة فتسأل عن ذنبها أمام من ارتكبوا في حقها هذه الجريمة النكراء قبل أن تذنب وهي في سن براءتها ويؤتى بالصحف المطوية وفيها إحصاء عمل كل انسان فتفتح وعندها تقلع السماء فتزول من عالم الوجود فتظهر الجحيم بأوارها وسعيرها وتبدو الجنة بنعيمها وقربها وفي ذلك الوقت تعلم كل نفس ماقدمت من اعمال في دنياها فلا غطاء ولا خفاء .

ثم في عجز السورة يقسم الله تعالى بالجوار السبع وهي الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والمشتري والزهرة التي تخنس في جريانها أي تتقهقر فيكون النجم في البرج ثم يكر راجعاً وهي جوار في الفلك والتي تكنس في ابراجها أي تستتر ويقسم سبحانه وتعالى بالليل المدبر ظلامه أو المقبل وبالصبح الذي تبلج على أن القرآن الكريم قول نزل بواسطة رسول كريم وهو جبريل صاحب المكانة الرفيعة والمنزلة العظيمة عند الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم المصاحب لمن تخاطبهم الآيات والذين ينعتونه بالجنون بعدما ما رأى جبريل من ناحية المشرق والمغرب في حراء فكان يتلقن منه القرآن تلقيناً فيبلغه الناس بلا ضن أي بخل ولا رجم بالغيب ثم تشير الآيات الى ان القرآن ليس بقول شيطان مسترق للسمع من الملأ الأعلى حتى يقول مشركوا قريش وغيرهم انه كهانه فاذا كان من

عند الله نزل بواسطة جبريل على محمد الأمين فبلغه بدون زيادة ولا نقصان واذا لم يكن هو من قول الشياطين فماذا يقول المشركون في حقه وإلى اي مذهب يذهبون في حقه إنهم لا يستطيعون غمسه ولا عيبه في شيء لأنه ذكر للعالمين لمن يلتمس الاستقامة ويرجو الهداية .

الكلمات : التفسير

كورت : أزيل نورها بعد انبساطه وانتشاره ، واصل التكوير التلفيف على جهة الاستدارة .

انكدرت : انقضتْ وتناثرت يقال انكدر إذا اسرع وانقض ، أو تغيرت وانطمس نورها من كدرتُ الماء فانكدر : جعلته كدرا اي مائلا نحو السواد والغُبرة .

سيرت : أزيلت عن اماكنها من الأرض او سيرت في الجو كما قال تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) .

العشار : جمع عُشراء كنفساء وهي الناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر .

عطلت : اهملت فتركت بلا راع كأنها غير موجودة .

حشرت : جمعت من اوكارها وقيل حُشرت اهلكت من قولهم حَشرت السنة مال فلان أي أهلكته .

سُجرت : أحميت بالنار حتى تبخرت مياهها من سجر التنور أحماه .

زُوجت : أي قرنت الارواح بالابدان أو أتى الله بالذكر والانثى .

سعرت : أوقدت ايقاداً شديداً للكفار .

ازلفت : ادنيت وقربت بحيث يراها المتقون

بالخُنَّس : كُركع جمع خانس من الخنوس وهو الانقباض والاستخفاء ، يقال خنس ابهامه خنوساً قبضها .

الجوار : من الجري وقد تطلق على الكواكب وعلى كل من يجري بسرعة .

الكُنَّس : كرُكع ايضاً جمع كانس من كنس الظبي دخل كناسه أي بيته الذي يتخذه من اغصان الشجر لأنه يكنس

الرمل حتى يصل اليه .

عسعس : من الأضداد أي أدبر ظلامه أو اقبل .

تنفس : أضاء وتبلج وأصل التنفس خروج النفس من الجوف فجعل الروح والنسيم الذي يقبل باقبال الصبح نفساً له .

مكين : ذي مكانة رفيعة .

صاحبكم : من الصحبة والمقصود به محمد عليه الصلاة والسلام .

بضنين : ببخيل أو بمترجم ومتكهن .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (المطففين)

بين يدي السورة : لقد كان السبب في نزول هذه السورة رجل في المدينة يقال له أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص . ونزول هذه السورة في المدينة يشعر ان أهلها كانوا أشد الناس فساداً في هذا المعنى فأصلحهم الله تعالى بهذه السورة ، هذا وإن كان السبب في نزولها بواحد كما روي فالعبرة لعموم اللفظ وليس لخصوص السبب والقرآن الكريم تشريع عام وإن كان ينزل على حسب الوقائع والحوادث او بسبب أفراد أو جماعات وطالما هو حريص على سعادة الافراد والجماعات فصلاح الجماعة في إصلاح الفرد وتكون النتيجة اذاً واحدة وإن إشارة الآية في توجيه المسئولية والانتقام الى المطففين وهو لفظ صيغته الجمع يدل الى ماذهبنا اليه كما وأن الكلام عن المطففين وهو اهم ماابتدئت به السورة كان سبباً هاماً في تسميتها به .

جو السورة ومقاصدها : لقد قيل إن هذه السورة مدنية اعتماداً على ما اثبتناه من سبب في نزولها ولكن الذي رجح عندي أنها مكية وذلك لأسباب أولاً قصر نظمها وثانيا ثورتها على الفجار المنكرين ثالثاً : وصفها لمقاعد المكذبين ووصفها لمقاعد المؤمنين وهذا لايمنع أن يكون الرجل الذي نزلت في حقه السورة رجلا مكياً أو مدنيا .

والسوره في مطلعها تشن أعظم هجوم على نوع من الناس مخصوص بخيانة مخصوصة وجريمة اجتماعية محزنة لقد مردوا عليها دون أن يحكموا

ضميراً أو وجداناً أو ان ينظروا الى من يتعاملون معهم بعين العطف والرأفة وهم أولئك الذين يبخسون الناس في كيلهم وميزانهم فاذا ما اكتالوا على الناس أخذوا فوق مالهم من حق بحكم الشراء وغيره وإذا ما كالوهم أي كالوا لهم المكيل أو وزنوا لهم الموزون للبيع ونحوه ينقصون في الكيل والوزن بحيث يخسرون الكيل والميزان وهم لا ينظرون الى المستقبل الذي يبعثون فيه ذلك اليوم العظيم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين قال تعالى (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ، ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) .

ثم ان السورة تزجر وتردع الفجار وهم الذين يتنكرون للحق ومنهم المطففون وتؤكد لهم أن سجل أعمالهم مخطوط في كتاب اسمه سجين لايغادر صغيره ولا كبيرة إلا أحصاها فيه تكشف الحقائق وترفع البراقع وعندئذ يحل العذاب في الكاذبين المكذبين بيوم النشور أولئك المعتدون الآثمون الذين يقولون عن القرآن الكريم إن هو إلا أساطير الأولين وما ذلك إلا لأن الكفر استولى على نفوسهم وغطى قلوبهم وغشى أبصارهم فهم عن رؤية ربهم محجوبون ومصيرهم الى نار الجحيم يصلونها يقال لهم هذا الذي كنتم به تكذبون .

وأما كتاب الأبرار ففي سجل واضح ومرفوع لايشهده إلا من سبق قربه وأبطأ بعده عن الله سبحانه وتعالى فهو مع الأبرار في جنات النعيم يتكئون على أسرة تعلو وجوههم سيما النضرة والنور والبهجة والسرور ويشربون من ماء مطيب بالمسك ممزوج بالرحيق وهو ماء عين في الجنة يعمل له العاملون ويتنافس فيه المتنافسون وهم يضحكون من الكافرين

المجرمين لأنهم كانوا في الدنيا يضحكون من الذين آمنوا ويصفونهم بالضلال المبين ولذلك فقد جوزي الكافرون بذلك نتيجة لما كانوا يعملون في الدنيا مع المؤمنين .

قال تعالى (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين ، واذا رأوهم قالوا إنّ هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين ، فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون ، هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) .

الكلمات : التفسير

ويل : هو واد سحيق في جهنم وقيل إنه كلمة عذاب ووعيد : وهو في الأصل مصدر لافعل له من لفظه مثل وَيْح ولايثنى ولايجمع .

المطففين : هم الذين يبخسون الناس حقوقهم في الكيل والوزن جمع مطفف من الطيف وهو التافه القليل لأن مايبخسه المطفف شيء نزر حقير .

اكتالو : أخذوا من الناس مالهم قبلهم من حق بحكم الشراء ونحوه.

يستوفون : لأنفسهم فيكتالونه منهم وافياً وافراً .

كالوهم . أي إذا كالو لهم المكيل أو وزنوا لهم الموزون للبيع ونحوه ينقصون في الكيل أو الوزن يقال كاله وكال له ويقال خسر الميزان وأخسره نقصه .

كتاب الفجار : مايكتب فيه من أعمالهم السيئة .

سِجِّين : وصف من السجن بمعنى الحبس مصدر سجنه يسجنه سجناً أي حبسه أطلق على هذا الكتاب لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم وقيل هو شر موضع في جهنم.

كتاب مرقوم : كتاب بين الكتابة من رقم الكتاب إذا أعجمه وبينه أو مُعَلَّمٌ يعلم من رآه أنه لاخير فيه من رقم الكتاب إذا جعل له رقماً أي علامة يعرف بها .

أساطير الأولين : ماسطره السابقون في كتبهم من الأباطيل والخرافات .

ران على قلوبهم : غلب وغطى على قلوبهم ماكسبوه من اعمالهم السيئة يقال ران ذنبه على قلبه رينا وريونا غلب عليه وغطاه وكل ماغلبك فقد ران بك ورانك وران عليك .

الأرائك : الأسِرَّة في الحجال ، أي البيوت المزينة .

نضرة النعيم : بهجة التنعم .

من رحيق مختوم : من خمر طيبة بيضاء ولذيذة أوانيها وأكوابها بالمسك مختومة .

مزاجه من تسنيم : أي مزاج ذلك الرحيق ماء من عين في الجنة منصب من علو اسمها التسنيم وهو مصدر سنّمه إذا رفعه لأن شرابها أرفع شراب في الجنة يشرب منه المقربون .

يتغامزون : يحركون أطراف عيونهم غمزاً ولمزاً على الذين آمنوا .

ثُوِّبَ : جوزيّ الكفار ثواب ما كانوا يفعلون بالمؤمنين في الدنيا : والتثويب والاثابة : المجازاة يقال ثوبه وأثابه إذا جازاه وأكثر مايستعمل في الخير على أن المراد به في هذه الآية التهكم عليهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (البروج)

بين يدي السورة : سورة البروج هذه نزلت في تثبيت المؤمنين ووعدهم بالجزاء الأوفى فيما إذا صبروا على مايلاقونه من أذى المشركين وهي تكشف لهم عما ناله المؤمنون السابقون من أذى العتاة الظالمين ليردوهم عن الايمان فكان الايمان سلاحهم والصبر زادهم فمنهم من قضى نحبه ومنهم من راح ينتظر ولم ينحرفوا قيد أنمله وما بدلوا تبديلا .

ولقد ابتدئت السورة بالقسم والمُقسمْ به الذي هو السماء ذات المنازل والطرق الاثني عشر التي تسير فيها الكواكب واليوم الموعود الخ ..

وسميت هذه السورة بالبروج أخذا من المقسم به الموصوف بذات البروج وهو أبرز مافيها .

جو السورة ومقاصدها : نزلت هذه السورة في مكة وهذا مايظهر من آياتها في دعوتها واسلوبها .

فالآيات الأولى هي عبارة عن تأكيد بالقسم على أن كفار مكة ملعونون أي مطرودون من رحمة الله وخيره وأنهم لايصرفون عن جزائهم وعذابهم في نار جهنم كما جوزي وعذب أصحاب الأخدود الذين ورد عن النبي ﷺ في حديث طويل خبرهم هذا معناه : أن ملكاً كافراً اسلم أهل بلده فأمر بالأخدود فخدّ في أفواه السكك وأضرم فيها النيران وقال من لم يرجع عن دينه فألقوه فيها ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام ياأماه اصبري فانك على الحق فان هؤلاء وأمثالهم من كفار مكة الذين

أرادوا أن يبتلوا المؤمنين في دينهم وإيمانهم لهم عذاب الحريق المشتعل عند الله تعالى قال سبحانه :

(والسماء ذات البروج ، واليوم الموعود ، وشاهد ومشهود ، قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد ، إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق إن الذين آمنـــوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير) .

ثم إن الآيات في عجز السورة تؤكد أن أخذ الله اذا أخذ لابد واقع فهو قادر على كل شيء طالما بدأ الخلق أول مرة ثم هو يعيدهم إليه مرة ثانية كما وتخبر عن الجموع الطاغية من الأمم الخالية بقيادة فرعـــون وثمود عندما خرجوا على الانبياء والسنن التي رسمها الله تعالى في خلقه فكانت آخرتهم خسارا وعاقبتهم دمارا وكذلك شأن المكذبين من الكافرين من زعماء مكة وأكابر مجرميها سيحل بهم ماحـــل بالذين من قبلهم فان الله من ورائهم محيط فليفعلوا ما شاءوا وليكذبوا القرآن فالقرآن مصون ومحفوظ ومقدس في لوح محفوظ لايبدل فيه شيء . قال تعالى :

(إن بطش ربك لشديد ، إنه هو يبدىء ويعيد وهو الغفور الودود ، ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد ، هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب ، والله من ورائهم محيط ، بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) .

الكلمـــات : التفســـير

ذات البروج : أي المنـازل والطـــرق الاثني عشر التي تسير فيهـا الكواكب جمع برج وهـــو القصر العـالي : شبهت بالقصور لنزول الكواكب بهـا كما ينزل الأكابر والأشراف بالقصور .

اليوم الموعود : يوم القيامة الذي يحشر الله الناس فيه .

وشاهد ومشهود : الشاهد هـــو الله تعـالى أو يراد به مطلق شاهد من الملائكة أيضاً أو العمل الذي كان يقوم به كل مخلوق والمشهود هـو كل واحد من المخلوقات وما كانوا يعملونه بعد بيانه لهم دون غموض .

أصحاب الأخدود : الذين شقـوا الخنـدق سواء في الأمـم السـابقـة لافتتان المؤمنين وألحق بهم كفار مكة باللعن والطرد .

فتنـــوا : امتحنـــوا .

الحريـــق : نوع من العذاب تشتد فيه النار وتقذف بالحمم .

البطـــش : الأخذ بقوة وعنف .

الودود : كثير المحبة لمن أطاعه .

المجيـــد : العظيم في ذاته المقدس في صفاته .

الجنـــود : الجموع الباغية الطاغية .

والله من ورائهم محيط : أي مطوق عليهم لايخرجون عن قدرتـــه ولا ينفردون في أمرهم من دونه .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (الأعلى)

بين يدي السورة : افتتحت هذه السورة بتوجيه الأمر الى النبي ﷺ في أن ينزه الله سبحانه وتعالى العلي الأعلى عن كل مالايليق بقدسية اتصافه وقداسة صفاته فهي على هذا تدعو إلى أن يترفع المؤمنون والمسلمون اقتداءً بالنبي ﷺ عن كل ماتدنى إليه أعداء الله من أقوال عليه اعترافاً منهم له بألوهيته وربوبيته التي بها خلقهم وسخر لهم كل شيء في الوجود ولقد بات فرضاً على كل مؤمن ومسلم أن ينزه الله ويقدسه عن تلك الأوصاف التي يدعيها الملحدون والفاسقون في جنب الله فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ولقد سميت هذه السورة بالأعلى لورود قول الله تعالى فيها (سبح اسم ربك الأعلى) .

جو السورة ومقاصدها : إن جو هذه السورة مكي وهي على قصر نظمها وضآلة آياتها فقد أدت الأغراض المطلوبة التي قد لا تتأدى في كلام أكثر وثورتها زاخرة بمعانيها الفائضة فلم تقل بياناً أو تأثيراً عن غيرها من السور المكية حتى الطويلة النظم :

فهي في مستهل آياتها أشارت إلى تنزيه الله الذي خلق كل موجود فسواه على مقتضى ابداعه وإتقانه والذي قدر كل شيء بعظيم حكمته والذي هدى إلى الخير وأخرج من الأرض الكلأ والنبات بعد موتها ثم جعل

ذلك الكلأ والنبات بعد اخضرارهما يابسين جافين اسودين من القدم والعتق ومرور الزمن : قال تعالى : سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى ، والذي أخرج المرعى ، فجعله غثاءً أحوى) . ثم إن الآيات في قلب السورة تجعل كل مانزل من القرآن الكريم على قلب محمد ﷺ سبباً أساسيا في هداية الناس إلى الصالح والنافع فلا يجوز إهماله ولا نسيانه إلا إذا كان النسيان عن غير قصد أوتلهٍ عنه فيكون إنساء من الله بمشيئته وقدرته ومن يخرج عن هذه التعاليم والحدود فان الله يعلم السر والجهر ويعلم الصدق والمكر ولما كان القرآن سبباً للهداية فان الله يأمر نبيه بأن يصدع بآياته ويذكر الناس بها فلربما نفعت الذكرى ولا شك بأن الذين في قلوبهم خشية الله سيزدادون خشية وأما الذين في قلوبهم النفاق والشقاق فلا يتقبلونها أولئك كتب عليهم أن يَصلَوا النار الكبرى لايموتون فيها ولا يحيون بل هم في أعظم حالة سيئة بين الموت والحياة .

أما من زكىّ نفسه أي طهرها من الشرك والعناد الشخصي واستمع إلى مواعظ القرآن الكريم فأتمر بأمره وانتهى بنهيه فأقام الصلاة وسعى لها سعيها وذكر اسم ربه في وقت فراغه ولم يؤثر الأولى على الآخره بل آثر الآخرة على الأولى فهو السعيد الذي اتبع ماأمر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الموافق لما جاء في الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى مما يثبت أن الشرائع السماوية مجمعة ومتفقة على النافع والصالح في العقيدة والأعمال .

قال تعالى : (سنقرئك فلا تنس إلا ماشاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ، ونيسرك لليسرى ، فذكر إن نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى

ويتجنبها الأشقى ، الذي يصلى النار الكبرى ثم لايموت فيها ولا يحيى قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقي ، إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف ابراهيم وموسى) .

المكمات : التفسير

سبح : نزه وقدس أسماء ربك عن كل مالا يليق بها من تأويلات زائفة .

فسوى : خلق الأشياء كلها فجعلها سواء في الاتقان والاحكام (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت) .

قدر فهدى : جعل الأشياء مقادير مخصوصة في أجناسها وأنواعها وأفرادها وصفاتها وأفعالها وآجالها فوجه كل واحد منها إلى مايصدر عنه وينبغي له طبعاً واختياراً ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات .

أخرج المرعى : أنبت ماترعاه الدواب أخضر غضاً ورطبا .

غثاء : يابساً جافاً والأصل فيه البالي من ورق الشجر ومنه غثاء السيل .

أحوى : أسود من القدم والعتق من الحوة وهي السواد الى الخضرة أو حمرة تضرب إلى السواد ، وصف به الغثاء لأن الغثاء إذا قدم وأصابته المياه اسود وتعفن فصار أحوى .

سنقرئك : سنتلوا عليك القرآن على لسان جبريل فتحفظه ولا تنساه .

لليسرى : للأمر اليسر الذي نريده للناس بلا حرج ولا مشقة ولا تكلف .

تزكى : تطهر من كل الأرجاس والمعاني القبيحة فأصبح نامياً في ايمانه نقياً في نفسه .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة « الغاشية »

بين يدي السورة : افتتحت هذه السورة باستفهام أريد به التعجب من حديث القيامة والتشويق الى استماعه . ولقد سميت هذه السورة بالغاشية لذكرها فيها كغيرها من السور وسميت القيامة بالغاشية لأنها تغشى الخلق بأفزاعها وتجللهم فتعمهم .

جو السورة ومقاصدها : هذه السورة مكية فهي في اسلوبها المكي تثبت صوراً متعدده ومشاهد مختلفة تكون بادية يوم القيامة فهي في تصويراتها تقرب الحقائق التي يزعم المنكرون أنها ضرب من الخيال ففى ذلك اليوم يخبر الله نبيه أن وجوها تبدو وعليها سمة الذلة والخزي والهوان تقبل على النار لتعمل عملاً فيه النصب والتعب وذلك بشتى انواع العذاب وألوانه وهي تسقى بعد عطشها الشديد من عين آنية أي حارة بلغت أعلى درجات الحرارة ولا يذوق اصحاب تلك الوجوه إلا الطعام من النار الذي يشبه الشوك وهو امرٌ من الصبر وانتن من الجيفة لا يسمنهم ولا يغنيهم من جوعهم واولئك هم الذين خرجوا على امر الله واعرضوا عن آياته وعبادته فشغلوا بمفاتن الدنيا وزخرفها فلم يتذكروا الله او يذكروه ، قال الله تعالى (هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة ، تصلى ناراً حامية ، تسقى من عين آنية ، ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع) .

وبالمقابل فقد تعرضت السورة لعرض صور عن الوجوه الناعمة المشرقة بالضياء والنور الراضية المرضية لما قدمته من سعي في اطاعة الله واكتساب رضاه فأولئك في جنة الفردوس العالية لا يسمعون فيها كلام لغو أو إفتتان فيها عين جارية بالماء السلسبيل وفيها السور المرتفعة بدون ركائز او دعائم والاكواب التى يشربون فيها

الماء ، وفيها الوسائد المنسق بعضها فوق بعض والفرش الفاخرة العريضة المتناثرة في كل موضع ومكان حيث لاحد لذلك ولا نهايه في ملك الله العظيم .

قال الله تعالى (وجوه يومئذٍ ناعمة ، لسعيها راضية ، في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية ، فيها عين جارية ، فيها سرر مرفوعة ، واكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة) .

وفي عجز السورة : تدعو آياتها الناس الى التفكير فيما خلق الله من ابل ضخمة وسماوات مرتفعة وجبال منصوبة وارض مبسوطة فان كل ذلك يسترعي نظر الرجل العاقل المفكر فيستدل بخلقها على قدرة الله التى لاتحد ولا توصف ويتوصل بها الى عبادته كآله واحد لا شريك له فمن لم يتعقل ويتدبر فليس الرسول عليه بمصيطر يأخذه بالسلاسل والاغلال الى مثل ذلك التفكير والتدبير وانما الرسول يذكر الناس بالقرآن ويدعوهم به الى عبادة الله وليس عليه عقاب من شذ وانما عقاب المتخلفين في الايمان ودواعيه على الله تعالى يوم يرجعون اليه فرادى ويحاسبهم على ما كانوا يفعلون ويفترون .

قال الله تعالى (افلاينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت ، والى الارض كيف سطحت ، فذكر إنما انت مذكر لست عليهم بمصيطر ، الا من تولى وكفر ، فيعذبه الله العذاب الاكبر ، إن إلينا ايابهم ، ثم إن علينا حسابهم) .

الكلمات : التفسير .

غاشية : من غشيه الأمر : غطاه .

عاملة ناصبة : عاملة في ذلك اليوم عملا في النار في النصب والتعب من جرٍ للسلاسل وحمل للاغلال .

عين آنية : بلغت أناها أي غاية حرها .

من ضريع : هو شجر في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة واشد حرارة من النار .

ناعمة : ذات بهجة ونضارة من النعومة او متنعمة في الجنة من النعيم .

لاغية : اي لالغو فيها .

اكواب موضوعة : كيزان لاعرى لها موضوعة بين ايديهم أو على حافات العيون للشرب بها .

ونمارق مصفوفة : وسائد صف بعضها فوق بعض أو الى جانب بعض فوق الطنافس للاتكاء عليها جمع نمرقة وهي الوسادة الصغيرة .

وزرابي مبثوثة : بسط عراض فاخره ، اوهي الطنافس التي لها خمل رقيق اي هدب لطيفه موزعة في كل مكان اوفي المجالس .

سطحت : جعل لها سطح لامكان الاستقرار عليها وهذا لاينافي القول بأنها قريبة من الكرة الحقيقة لمكان عظمها .

إيابهم : رجوعهم بعد الموت : مصدر آب إذا رجع .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (الضحى)

بين يدي السورة : لقد كان السبب في نزول هذه السورة هو قول المدعين من قريش عندما أبطأ الوحي اياما قد ودع محمداً ربه وقلاه فأنزل الله تعالى (والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وما قلى) .

ولقد سميت بسورة الضحى لأن الله اقسم فيها بوقت الضحى لظهور نوره وعدم خفائه ليشير الى ان ما أنزل على رسوله من وحي بيّنٌ ظاهر وواضح كوضوح نور الشمس في ضحاها حيث يكون النور فيه اقوى من كل الاوقات واقسم بالليل ليشير الى ان مادعاه كفار مكة على الرسول من اقوال هو في كذبه وعدم أحقيته كالليل المستور بالظلام وفي السورة مواساة للنبي ﷺ وتخفيف عليه من حدة مادعاه الاعداء .

جو السورة واهدافها : بينما كانت قوة الايمان بالله تهيىء جيوشها وتعدها لتجنيد الدعوة الآلهية في مكة واذ بقوة الكفر والالحاد تعد العدة لمقاومة تلك الدعوه السماوية ففي اول نزول الوحي على النبي ﷺ وبعد فترة وجيزه من نزوله ادعى اهل الكفر والالحاد ان محمداً ﷺ بات بعيداً عن ربه محروماً من وحيه ولكن الله تعالى كذبهم في دعواهم الظالمه المظلمة التي هي مجرد ادعاء باطل مثبتاً ان الله لم يقله ولم يودعه وأن دعوته التي هي في احكامها وفي الوقت الذي نزلت فيه كالشمس في وقت ضحاها

وأن الله أعد لنبيه في الآخرة مالم يعده لأحد غيره من الانبياء والمرسلين والخلق أجمعين فأعطاه من جملة ما أعطاه الشفاعة العظمى في الناس كافة هذا بالرغم من انه تكفل به في الدنيا فآواه وهو يتيم وهداه بعد ان وجده الضالون اضلاله واغناه بعد ان كان فقيراً ذا عائلة ولم يغنه في المال فقط وانما اغناة في النفس فكان على خلق عظيم .

ثم في عجز السورة بعد ان ذكره الله بنعمه عليه المتعددة أوصاه ان لايقهر يتيماً ولا ينهر سائلاً وان يتحدث دائما بأنعم الله عليه وان يشكره عليها وليس هذا إلا تعليماً لنا نحن لنتأسى بهذا النبي الكريم ولنجعله قدوتنا في كل شيء .

الكلمات : التفسير .

الضحى : وقت ارتفاع الشمس واشراقها وقوتها فيه .

إذا سجى : خيم واقبل بظلامه .

وماقلى : وما هجرك وتركك وابغضك .

يتيما : حين مات ابوك ولم يخلّف لك مالا ولا مأوى من اليتم هو فقدان الابوين أو أحدهما .

فآوى : فضمك اليه وتكفل بك فهيأ لك من كفلك جدك ثم عمك .

ضالا : لاتعرف للحق مدخلا كما قال تعالى (ماكنت تدري ما الكتاب والايمان) .

عائلاً : لامال لك وأنت بحاجة الى النفقة والانفاق .

عصمة الرسول في القرآن

لو فكر الانسان ملياً في سر هذا الكون الخطير لعاد الى حظيرة العقل مستسلماً لخالقه وصانعه ومبدعه في كل تصرفاته فيه . فهو فلك ضخم فيه النجوم هي الأمم التي تظهر وتغيب ، وفيه الشمس والقمر بمثابة الرسول والنبي والليل والنهار يتعاقبان وبتعاقبها تتعاقب الشعوب والأمم فكان لا بد لكل امة من رسول او نبي لينير الطريق ويهدي الى سواء الصراط المستقيم لكي لا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة .

ومن عظيم رحمته وإتقان حكمته كان يبعث الرسول او النبي في الوقت المناسب والظرف الحرج ويجعل فيه الكفاءة التامة في تمثيل مجتمعه تمثيلاً يتلاءم في الجبلة والبيئة العلمية فموسى عليه السلام جاء في زمن شاع فيه علم السحر ولذلك كانت معجزاته في نظر امته تعتبر سحراً وكذلك عيسى عليه السلام جاء في زمن انتشر فيه علم الطب فأعطاه الله تعالى القدرة على إحياء الموتى وإبراء الاكمه والابرص باذنه . وهكذا كان شأن كل رسول أونبي يدعو الى توحيد الله ومعرفته بالبراهين والحجج التي يفهمها قومه فكان لزاما عليه ان يتقيد بالدائره التي رسمت له دون ان يتعداها او يتخطاها فلم يكن لأحد من الرسل والانبياء ان يتوسع في مجال الحكم والبرهان نظراً لما تدعوه مصلحة المجتمع من ضرورات الا النادر الذي لا يذكر لأن الشرائع السماوية السابقة كانت مقصورة على اصحابها فلكل امة شرعه ومنهاج ينتهي بانتهائها ولهذا السبب ذاته لم تكن الشرائع السابقة عامة اي صالحة لكل زمان يليها بل هي مخصوصة لامة بعينها بخلاف الشريعة الاسلامية فانها عامة اي صالحة لكل زمان ومكان حتى ينتهي هذا الكون الى الفناء فتقوم الساعة وبها يحكم وليس بغيرها ويؤيد قولنا ماورد عن النبي ﷺ

من اثر حيث قال (أعطيت خمساً لم يُعطَهن أحدٌ قبلي وعدَّ منها قوله وكان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة) وبدليل قوله تعالى (قل ياايها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً ، ولهذا المعنى الخاص بها اعتبرت ناسخة لكل الشرائع السماوية السابقة وصالحة لكل الازمنة والامكنة التي تليها فهي مرنة تتسع احكامها للحوادث المتجددة وتتناسب مع الظروف وتتكيف مع المكان ولم تكن ضيقة المحيط كما يتهمها بعض المتزمتين الذين يريدون من ادعاءاتهم تضليل العالم المتدين بالاسلام ليغرسوا في نفوس ابنائه حب الكراهية له والكفر به وبتعاليمه البناءة التي جذبت اليها قلوب العالمين خشية من خطره الداهم الذي يقف في وجوههم فيسد عليهم ثغرات وفجوات لايمكنهم من النفوذ اليها . وفي ذلك ضغط على الحريات الشخصية الانطلاقية التي لم تكن إلا ليستمتع بها عن طريق غير خلقي وانساني مع ان هذه النظرة قاصرة ومريضة سقيمة اذهلها الحقد المتأصل منذ قرون في نفوس معينة وأرهقها الحسد المستوطن في اشخاص مختلفين في اتجاهـــاتهم متفاوتين في معلوماتهم متباينين في مبادئهم وفي حاضرهم فقد يجتمع الرجل الحزبي مع الرجل الحزبي الآخر مع اختلافهما في المذهب والاتجاه على تحطيم كل فكرة تنسب الى الدين لأن الدين في نظر الشيوعي مثلا افيون وفي نظر القومي خرافة وفي نظر البعثي أسطورة . فهـــم متفقون مجمعون على ابطال حجة الدين ولكنهم يختلفون كل الاختلاف في مبادئهم الحزبية واتجاهاتهم السياسية .

والفرق بين مبادىء الدين ومبادىء مخالفيه . ان الاولى تشريع ودعوة لعموم الناس للوصول بهم الى تحقيق مصلحة عامة . واما الثانية فتخدير للرأي العام للوصول الى مصلحة شخصية ولو انها قامت بشكل جماعي . فالرسول كانت تقوده المبادىء السماوية وهو مؤمن عن علم بأحقيتها وعدالتها وسلامتها من كل نقص او تحيز لجهة فرديـة وفي نفس الوقت هـو قائد مكلف في ايصالها الى الناس جميعاً فلو كانت هي التي تقوده فقط بالمعنى

الأول لأثرت فيه مبادىء الزعماء من الجاهلين وغيرهم فمتى استقام المبدأ لم يعد للرجال أي اعتبار لاحتمال أن يتنكروا له في يوم من الأيام وتنكرهم له ليس معناه طعنا في المبدأ ذاته وهذا المعنى مايفهمه في أيامنا هذه مع الأسف الشديد أغلبية شبابنا المثقف فيطعنون في الدين بطعن الرجال أو يطعنون الرجال بطعن الدين والثاني لايصح أن يوجه الى الاسلام لأنه تخطٍ جائر لاحظ له من العدل والانصاف ولا التأمل والتفكير .

وقد يذهب بعض الناس بناء على ماذكر الى أنه يسري على الرسول ﷺ إذا لم تكن للرجال قيادة المبادىء مايسري على غيره من الانحراف والتجني على المبادىء نفسها وأعتقد أن هذا النظر لا يصدر عن رجل درس القرآن دراسة تمحيصية بعقله وقلبه لأن الرسول معصوم من الانحرافات والضلالات التي يجوز وقوعها على الانسان أو يمكن حصولها منه . لأن الرسول وإن كان بشراً الأمر الذي لاشك فيه إلا أنه ليس كالبشر فيما اتصف به وكلف فيه وأوحي اليه وهذا مايجعله مترفعاً عن كل خطأ وانحراف بشهادة القرآن الكريم وقد علل لذلك بقوله (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما) . وهذا استدراك بمثابة الاستثناء لاسيما وقد سبقه نفي ففيه من التأكيد البليغ مايفي بالمقصود ويكفي المطلوب على أنه ﷺ غير البشر في مهمته وعصمته لأمرين : الأول : لأنه رسول الله وهذا من مستلزماته العصمة التي يمتاز بها عن البشر كرسول وإلا لم يكن هناك ثمة فرق بين الرسول وغير الرسول وكان مثله كغيره في كل تصرفاته وشئونه فاذن لِمَ جعله الله شهيداً وبشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً ليشهد عليهم بما يشهد به على نفسه من أخطاء ؟ أم ليبشرهم بخلاف ما جاء من أجله أو لينذرهم بما لا ينذرون

به أو ليكون لهم سراجاً مطفوء غير منير ؟. فاذا أثبتنا له الخطأ سواء في تبليغ الرسالة أو أداء الأمانة بالنسبة الى الناس والى خالقه الأمر الذي يوجب الشك في عدم أداء الرسالة على الوجه الأتم من قبله : فان قيل لنا إن معنى العصمة أن لايقر على خطئه لأن لايخطىء : نقول فما معنى قوله تعالى (والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى « الى قوله تعالى » مازاغ البصر وما طغى) فالضلال يراد منه الخطأ بمعنييه : المقصود وغير المقصود : ويكون المعنى أي ماأخطأ صاحبكم في تبليغكم مايراه وينزل عليه والغواية معناها الزيغ والانحراف أي وما انحرف في عقيدته وسعيه فالله سبحانه وتعالى نفى عنه لونين مما يجري على الناس من فعل ثم نفى عنه مايجري عليهم من قول . حيث قال : وما ينطق عن الهوى أي عن رغبة جسدية أو نفسية بلا تعهد وحي أي اصدار الأمر الصائب وفعل الأحسن . لأن الوحي تعليم من الله لرسوله وإذا كان المعلم هو الله فكيف يخطىء المُعلَّم .

الأمر الثاني : وهو أن الله تعالى وصف رسوله بأنه خاتم النبيين ومن متممات معنى الختم الكمال التام والعصمة المطلقة وإلا لزم أن يأتي بعده نبي يكمل مالم يتمه هو ، والله سبحانه وتعالى شهد بكمال دينه في حياة رسوله بقوله (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) .

هذا ومما يؤيد العصمة للرسول عليه السلام من الخطأ والانحراف قوله تعالى حينما خاطبه بقوله (ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لايهدي القوم الكافرين) أي يعصمك من أن تطول أيدي أعدائك إليك فلا

ينالونك في سوء مادي ينتظرونه فيك كأن يقتلوك أو ينتصروا عليك فالذي عصمه من أذى الناس ألا يعصمه في شيء هو من مستلزمات النبوه عقلاً وعرفاً وهو الخطأ والانحراف ونحن نعلم أنه عليه السلام عصم من الانحراف قطعاً فلم يعلم عنه ﷺ أنه سجد لصنم أو شك في ربوبية الله قبل النبوة فلم يكن له كغيره من الخطأ والانحراف والضلال المبين وإذا ثبتت له العصمة قبل النبوة فمن الأولى أن تثبت له بعد النبوة وما تكلم به أحد أدعياء العلم والأدب في كتابه (محمد : الرسول البشر) على عدم عصمة النبي ﷺ قبل النبوة وبعدها فهو هراء إن دل على شيء فانما يدل على عدم استيعابه للنصوص أولاً : وعلى عدم تأمله : ثانياً ولو كان العلم يأتي جزافاً لادعاه الجاهلون . فليس الكاتب الذي يكتب كثيراً ولا يعي مايقول ليملأ الصفحات ولكن الكاتب الذي يدرك مايكتب ويعي مايقول ولو كان قليلاً .

من معاني العيد في الدين

عندما يريد الكاتب استعراض معلوماته في بحث من الابحاث العلمية . أو موضوع من الموضوعات الاجتماعية فانه يرجع الى جعبته الثقافية أولا ثم الى البيئة التي تضفي على ذلك البحث أو الموضوع بعض المفاهيم العامـــة التى قـــد تطغى أحياناً أو غالباً على مفهومه الخاص الذي يوسم أو يتصف به ولذلك نجد كثيراً من الالفاظ التي وصفت في أصلها لمعاني متعددة تأخـذ اتجاهاً واحداً يسيطر على بقية الاتجاهات الاخرى فيكاد يمحوها من سجلات العلوم أو ينسيها من عالم التفكير ، ونريد أن لا نذهب بعيداً فنأخذ مثلاً لما نقول كلمة (العيد) ومما لا يخفى على المطلعين أن لهذه الكلمة معاني عدة قد لا يستطيع أحد حدها أو ضبطها لانها قابلة للزيادة والنقصان على حسب الظروف التي تمر فيها من ضروب وعوامل متباينة الآثار . وقبل أن نتعرض لبيان معانيها نريد أن نبين مفهومها عند عامة المسلمين وفي المجتمعات الاخرى . إن كلمة العيد في حد ذاتها كلمة مأخوذة من مادة (العَود) والعود في الاصل هو العيادة على اطلاقها أي تشمل زيارات الافراح وزيارات الأتراح ولكن العرف الاجتماعي العام أكسبها مفهوم الزيارات في الافراح خاصة في زمن معين ومخصوص وفي الواقع إن لهـــذا المعنى حظه الاكبر من مفهوم لفظة العيد وكان الى جانب هذا المعنى يجب على المسلمين أن يراعوا المعاني الاخرى التي يطويها ذلك اللفظ بين برديه لكي يعلم المسلمون ان العيد لم يكن فقط لاعلان البهجة والسرور وضياع الاوقات بشتى انواع اللعب دون أن يلتفتوا الى المعاني الجوهرية فيه التي تُكون منهم مجتمعاً متكافلاً ومتراصاً وأمـــة متماسكة متحابة لا تخدعها مظاهر الحياة ولا تلهيها مسارحها المزينة وبهارجها الزائفة الزائله .

إن المسلمين على فهمهم هـذا لا يكادون يدركون من حكمـة العيد الشيء القليل ولا من فوائده ما يمكن الاتجاه اليه والسبب الوحيد في ذلك انصرافهم كلياً الى المظاهر البراقة وتمسكهم بالقشور دون اللباب تمسكاً لا تنفصم عروته ولاتجزأ وحدته لأن متاع الدنيا وزينتها أقرب مايكونان من الانسان الضعيف فتظهر الدنيـــا لنفسه الأمارة بالسوء بأجمل مظاهر الزينة والفتوة فتجذبه اليها بحيث لاتترك له مجالاً من مجالات الآخرة يساهم فيه مساهمة كاملة إلا من عصم الله فهي تبـــدو له دائماً وأبـداً كالمحتال بمظهر المحسن الشريف الناصح ثم لا تلبث أن تجعله عبداً لها بعد أن كان حـــراً فتنقله من النعيم الى الجحيم وإني وصفتها ووصفت أتباعـــها بهـــذه الأبيـات :

إنمـا الدنيا حيـاة تعب ... مالها قطعاً لعمري من صديق
فهي كالمحتال تبدي جودها ... بخسيس تجعل الحـــر رقيق
أيها العاقل فاحذر بطشها ... وابتغ الأخرى تكن فيها طليق

ونحن إذا حكمنا فانما يكون حكمنا على الأكثريـة الغالبة من المسلمين لان القليل لا يأخذ اعتبارية الحكم ولقـد نشأ عن اقبال المسلمين على الدنيـا ومباهجها أن تمسكوا بمـا لا يمت الى الدين بصـلة باسم الدين وهذا أشد وأنكى : اذ أن ما ليس من الدين يدخل في حظيرته وينسب اليه عن طريقه وإن كثيراً من الظواهر الاجتماعية في الاعيـاد يعزيها اصحابها إلى الدين وإن من أبرز هذه الظواهر استعداد الرجال والنساء قبل حلول العيد بأيام الى اقامة المآتم المؤذية للاموات والاحياء فيقتل النسوة أنفسهن ويلطمن خدودهن بين قبور الموتى ليؤذين الاموات والاحياء معاً . أما الأحيـاء فيتأذون من تلك المناظر السيئة المؤلمة وأما الاموات فيشعرون بثقل المسئوليات

والتبعات لأنه ورد في الآثار النبوية لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الميت يعذب في قبره بما نيح عليه وعن أبي هريرة رضوان الله عليه أن رسول الله ﷺ قال : لا تصلي الملائكة على نائحة ولا مرنّه : أي النائحة التي ترفع صوتها . هذا وناهيك ما يظهر في تلك الحالات والمواقف من العورات المحرمة وانتهاك للقيم الاخلاقية وتدنٍ في المعنويات الانسانية وكل هذه الاعمال دعوة الى الجاهلية التي نهى رسول الله ﷺ عنها ليشعر من يفعلها بأنه ليس من المسلمين وأنه لا يمت الى محمد بن عبد الله بصلة . عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ليس منـــا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعـوى الجاهلية . فمن علم بهذا الحديث ثم تناساه ولم يعمل به فهو على ضلال مبين وإن لم يعلمه فهو لا يهمه السؤال عنه أو عن حكمه في قليل أو كثير بمقدار ما يريد ان يشبع نفسه أمانيها في الهوى حتى أصبح قول الله معطـلاً في مسلمي هذا القرن وهـو (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) على أن أسلافنـا رضي الله عنهم وأرضاهم كانوا يتحملون مشقة الأسفار وعناءها ويتكبدون المصاريف الضخمة فيحجون من قطر الى قطر ومن صقع الى صقع من أجل ان يتفقهوا في مسألة أو يستفتوا في حكم من الاحكام . أما وان المواعظ والارشادات والاحكام تلقى كل صبـاح ومساء بل في كل ساعة في حلقات المساجد ويوم الجمعة من فوق المنابر على رؤوس الاشهاد ويحذر الخطباء والمدرسون من كل انواع البدع والضلالات والزيـغ والانحرافات ويبينون ما امر الله به وينهون عما نهى الله عنه . وكأن هذه المواعظ والبيانات لم تكن لتستقر في الاذهان لان الناس اعتادوا على ان يحضروا المساجد بأجسامـهم لا بأرواحهم وتفكـيرهم . وبأنظارهم لا باسماعهم فهـم يبصرون ولا يسمعون او يسمعون ولا يعون أو يعون ولا يفعلون فهم على هذا كالانعام بل هم أضل سبيلا .

ألا ترى معي أيها الاخ المسلم أن اوضاع المسلمين اليوم على شفا حفرة من النار وأن اعمالهم تهددهم بالويل والثبور .؟؟ أما ترى معي أيها الاخ المؤمن ان المسلمين اصبحوا في عدم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر يدخلون تحت قوله تعالى (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) ، أليست أعيادنا في هذه الايام للمأكل والملبس ومعرض للتباهي والمفاخرة .؟؟ نعم ان الاعياد في نظر المسلمين اليوم مآكل وملابس . فمن اكل اللحوم والحلويات ولبس الديباج والجوخ فهو في عيد واما من أكل الفول ولبس نسيج الخزل فهو في تعاسة وشقاء . لقد خسىء أصحاب المفاهيم المقلوبة . ان العيد ليس بهذا ولا بذاك وإنما العيد هو مشاركة الشعور للشعور وهو حمد وشكر لله وعطف وبر واحسان للبؤساء والمحرومين .

ان العيد تواضع وتذلل لله وزلفى وعبادة وتقرب الى الله تعالى . ان العيد كما قال رسول الله ﷺ (ليس العيد لمن لبس الجديد ، إنما العيد لمن خاف يوم الوعيد) فمن اراد ان يفطن بهذه المعاني فليتذكر التكبير يوم العيد عند ذهابه الى المسجد وفي المسجد وعقب الصلوات يتجلى له كل ما اسلفناه ولوحنا به من معاني العيد وإن قول رسول الله ﷺ في بيان تشريع يوم عيد الفطر السعيد وعيد الاضحى ليؤيد ما ذهبنا اليه من معانٍ خالدات حيث تتجلى حكمة المشرع وعظمة الدين الحنيف في البداية والنهاية وفي الاصل والفرع :

روى أبو داود عن أنس قال (قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : ما هذان اليومان .؟؟ قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أبدلكما خيراً منهما ، يوم الاضحى ، ويوم الفطر) .

واعياد المسلمين اثنان ثالثهما عيد يوم الجمعة الذي يتكرر في كل أسبوع واما العيدان فلا يكونان الا في كل عام مرة ولكل عيد خصوصياته وفوائده واحكامه . فالعيد الذي يلي رمضان وصف بالفطر لانه يكون عقب الصوم مباشرة فهو أول يوم يفطر فيه المسلمون بعد انهائهم شهر رمضان ووصف بالعيد الأصغر لأنه يليه العيد الأكبر وهو يوم الحج الأكبر لان فيه أذاناً من الله لكل المسلمين في أقطار العالم لتلبيه دعوته سبحانه وتعالى في أداء مافرض على القادرين منهم وفيه يجتمع الأسود والابيض والهندي والحبشي والحاكم والمحكوم والرفيع والوضيع يؤدون مناسكهم ويكبرون الله على ماهداهم ويشهدون منافع لهم دينية ودنيوية ويتداول أولوا الأمر والشأن منهم فيما يتعلق بأوضاع المسلمين العامة والخاصة وليتعارفوا ويتعاونوا على البر والتقوى . فهو مؤتمر عالمي اسلامي ضخم لايتسنى لأي مؤتمر عالمي ودولي أن يصنع صنيعه أو أن يحبك مثله من جمع أفراد تناءت ديارهم واختلفت جنسياتهم وتباينت لغاتهم . هذا فضلاً عن أن الناس تعودوا حضور هذا المؤتمر بوازع العقيدة والايمان ولكن هل عقل المسلمون حكمة هذا المؤتمر وعملوا له وحققوا الاهداف الجوهرية التي أرادها لنا الشارع ؟. أقول وأنا أرى أحوالهم إنهم لم يدركوا الحكمة وإن أدركوها ولكنهم لم يعملوا بها فهاهو الحج ينعقد في كل عام وينفضُ ولا آثار تعقبه فينصرف المسلمون وعلى رأسهم رؤساؤهم وملوكهم ثم يعودون من حيث أتوا لايحفظون إلا أسماء الامكنة ووسائل المواصلات وتقلبات الجو من حرارة وبرودة : فلا يحدثك الحاج عقب زيارته إلا عن ركوبه الباخرة أو الطائرة وما شاهده من رسوم للأطلال وآثار للامكنة ومشاهدة للبر والبحر والفضاء .

وهكذا أصبح الحج واصبحت الاعياد طقوساً شكلية يقضيها المسلمون بدون تدبر ولا تمعن .

حيوية الاسلام في المجتمعات

فكما تهور بعض الناس في عدم رفع العصمة عن الرسول عليه السلام تهور فريق آخر في عدم صلاح الشريعة الاسلامية لهذا القرن الذي عرف بقرن المدنية والنور والحضارة والتقدمية . وكيف يتلاقى على زعمهم جديد مع قديم فالأول قشيب والثاني بالي كالحي والميت لايستويان مثلاً مدعين أن الشريعة الاسلامية لاتتبلور مع التطور في سائر معاني التقدمية الاباحيه والتقدمية الصناعية العلمية والعلمانية ، ومن أجل هذا يتهمون الدين بالرجعية لأنه يحافظ على قيمه الجوهرية التي لاتتغير بتغير الملوك والمشرعين لأنه عدل السماء الى الأرض ، وتشريع الخالق الى الخلق وهل من المعقول والمنطق أن يكون هذا الدين الحنيف عجينة تكيف على حسب أهواء أناس مستغلين ومنحرفين أم من المرونة في شيء أن يعبث به أطفال مراهقون لم يبلغوا سن الرشد والوعى إن هذا لشيء عجاب بل إن هذا لمحض افتراء ومجرد هراء : إن الشريعة الاسلامية لم تكن في يوم من الأيام آلية تحركها يد جاهل ملوثة بل ولم يكن الاسلام مفهوماً كالمفاهيم التي يحملها أدعياء المدنية الحديثة والحضارة التقدمية المزعومة المزيفة ولم تكن دستوراً كالدساتير الموضوعة من قبل الناس ، ولما كانت كذلك فهي لاتتأثر بما تتأثر به الشرائع والقوانين الاخرى من هزات أو أعاصير ولا تتزعزع أبداً ولا تتزحزح أمام أناس راحوا يطعنونها من خلفها في ظروف لها ملابساتها ويتهمونها بما ليس منها وفيها ويذيعون ويشيعون عدم صلاحها وإصلاحها حتى أدخلوا الى أذهان البسطاء والسذج من أبناء هذه الأمه فكرة جمودها وركودها بألسنة تلفظ السم في الدسم وبأسلوب مريء وليس

لهم من ادعاء الا أن يقولوا ان الاسلام لايساير ركب الحضارة التقدمية التي ينطلق بها الزمان في كل مكان فهو لم يسمح للمرأة مثلاً أن تخرج من بيتها كما تتمنى وتهوى متزينة مغرية غيرها عارية تجلب الفتنة لسد مسافات نائية بأذن زوجها أو من غير إذنه لتقابل صديقا أو صديقة في حديقة من الحدائق او في سينما أو في شارع ، ولم يفسح المجال لأصحاب الأمراض الوجدانية أن يعيثوا في الارض فساداً وينهشوا أعراض الناس كما تنهش الكلاب بعضها ويلعبوا بمقدرات الحرائر كما تخيل لهم نفوسهم القاصرة عن الادراك الصحيح ويتحكموا في حقوق العباد على حسب مصالحهم الذاتية النفعية لا المصلحة العامة ولكن صدق الشاعر الاسلامي حيث قال في رده على رجـــل يشبه أولئك المدعين المتهجمين على الاسلام وأتباعـــه .

قد قام بالاسلام يطعن ساقط ... لايسأل الاسلام عن أمثاله
وأراد إلقاء العيوب بأهـــله ... ويبين جهل المرء من أقواله
ماكان للدين الحنيف مساوىء ... ياأيها الضليل في أفعـــاله

اجل لقد وقف أمثال ذلك الخادع الماكر في وجه الاسلام لأنه متمسك بالرذيلة والاسلام متمسك بالفضيلة والفضيلة متمسكة به . وعدا هذا وذاك فان اعـــداء الاسلام تغالو في تحاملهم عليه فقالو ان الاسلام لايستطيع ان يكون أمـــة ذات اقتصاديات واسعة تشق طريقها كبقية الامم الراقية ان شرقيـة كانت أو غربية لأن الاسلام لايأمر اتباعه الابمراسيم الصلاة والزكاة وهي في نظرهم طقوس دينيه لا اثر لها ولا تأثير ولم يأمر الا ببنـاء الزوايا لضرب الدفوف وفتح أبواب التكايا لجعل المسلمين جميعهـم كالعجزة ولتعليمهم انواع الكسل وضرب الخنـــوع والذلة ولم يأمر الاسلام بشيوع التعامل في الفائدة التي من شأنها أن تنهض بأقتصاديات أضعف امة فتجعلها في مصاف ارقى الدول المادية . وتجاهلوا ان التعامل بالربا الذي حرمه الاسلام

لم يحرمه الا لحكمة عميت عنها أذهانهم وأبصارهم أو تعامت وفائدة جلت عن ادراكها عقولهم هي في صالح المجموعة وليس في صالح الفرد لأن هذا التعامل يزيد في أصحاب الثروات الضخمة ويرفع من مستوى الرأسماليين فيأخذ من مال الفقير وأصحاب الدخل المحدود الى مال الغني ليزيده أضعافا مضاعفة بدون تعب ولا مشقة وبدون حق ولا جدارة وإنما باستثمار رءوس الاموال . والاسلام الذي عُرفَ بعدالته ورحمته وشفقته لايريد ان يعلم الناس أنواع الاستغلال وألوان التواكل والكسل وذلك برصدهم اموالهم في البنوك يستثمرون بها أموال غيرهم بدون سعي يبذلونه او جهد يقدمونه . ومن المعلوم أن البنوك شركات يعود نفعها على اصحابها ومن يتعاملون معهم والى جانب اولئك قسم كبير من ابناء الامة كما هو في مصر وغيرها مثلاً محروم من التمتع بلقمه العيش . فلو تنازل الرأسماليون عن جزء من طمعهم وجشعهم واستمعوا لأمر الاسلام في عدم التعامل بالفائدة وسخروا اموالهم للتصنيع والمشاريع الاقتصادية الاخرى لارتفع المستوى العام ونهضت الامة نهوضاً شاملاً ولشعر الجميع بالسعادة والهناء وهذا الذي سماه الاسلام في تشريعه بالتعاون ودعا اليه جميع الطبقات ليكمل بعضها بعضا بحيث تكون وحدة تامة في كل شيء : قال تعالى (وتعاونوا على البر التقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) فالشريعة الاسلامية جعلت التعاون بين افرادها هو المبدأ الاساسي والفعال في تكوين وحدات الشعوب والاوطان . ولذا تجد الآية الكريمة تحث المؤمنين على التعاون في فعل الخيرات العامة والخاصة وهي تشمل المشاريع كانشاء المدارس العلميه والنظرية وكتكوين شركات صناعية لتشغيل عدد كبير من العاطلين وكالمساهمة في مشاريع الري والزراعة وكالبذل في سبيل الذود عن استقلال الأوطان والانفاق على المستضعفين . وهكذا فان التعاون على اقامة مجتمع قوي وصحيح في الاسلام متسع لأبعد الحدود والغايات التي لايتصورها أعداء الاسلام في دساتيره ووفرة سبله واتساع

دائرته . اما ان يكون التعاون على اساس نفع شخص بعينه أو دفع فئة معينة دون فئة فهو تعاون فيه محض الاستغلالية وهو يؤدي بلا شك الى امتياز بين الافراد في المجتمع الواحد وهذا التمييز يؤدي بطريقة الى ايجاد بذور الكراهية والتفرقة في صفوف الامة الواحده الامر الذي يفكك عرى المجتمع ويأخذ به إلى هوة التزحلق والانهيار ولذلك بني الاسلام الحنيف وحدته الكاملة الشاملة على التعاون الفردي المتسلسل حتى يشمل جميع ابناء المجتمع ففسح المجال أمام الفرد في ان يتمتع بجانب من الحرية ولكن شريطة ألا يطغى فينسى جانب مجتمعه في مده . بما يلزمه لاسعاده . فاذا ماقررنا معاملة الفائدة في البنوك أبحنا للفرد الرأسمالي أن يتحكم ويستغل اقتصاديات الأمة فينعم وحده بالثروه ويشقى غيره بالقلة والفقر والفاقه وهذا هو الاثم والعدوان فان سكوتنا عليه اثم وتركنا لاجراء عمليته عدوان على حق الغير . قد يقول المروجون لنظرية البنوك ان عدم التعامل بالفائدة يؤدي الى توقف الوحدة الاقتصادية في البلاد ولان حركة الاسواق لاتكون الا بواسطة التعامل في البنوك . ولكن هذه دعوى مطليه بدعاية مغرية كبرى ليعود نفعها لصالح اولئك المستغلين وهي حجة واهية في الواقع ونفس الأمر لأنه من السهل إيجاد الحلول المرضية لاستقراض المال أو التعامل بالسندات الرسمية كأن تكون مؤسسة مالية رصيدها من الرأسماليين كل على حسب مايملك وتشرف على هذه المؤسسة الحكومة نفسها وتضيف اليها موازنتها السنوية وتأخذ من مجموع مال المؤسسة رواتب الموظفين نسبياً عن طريق قانون الزكاة بالمائة اثنان ونصف على ان لكل عضو الحق في سحب المبلغ الذي أودعه دفعة واحدة أو دفعات ثم يرصده مرة ثانية : وهكذا تؤمن المصالح التجارية ويعود ربح الاموال بنسبة طردية على المالك والصانع والعامل وتكون الارباح موزعة على حسب توزيع المهمات في الاعمال لأن الرأسمالي في هذه الحال يضطر الى أن يفكر في عمل اجتماعي عام يعود نفعه على جميع

الأفراد كما يتسنى للحكومة أن تحقق مشاريعها التي تحيي وتنعش رعاياها في استعمال أكبر كمية من ذلك الرصيد لان الغرض الذي يرمي اليه الاسلام من تحريم الفائدة هو ايجاد تعاون بين الذين يملكون والذين لا يملكون فاؤلئك يربحون ويكسبون وهؤلاء يعملون بأجورهم فيعيشون وبهذا يصبح الاسلام غير محارب للرأسمالية ولم يمنع التعاونية الاشتراكية وهذه النظرة من الاسلام نظرة سامية غير محرجة ولا مضيقة وفيها ارضاء وتنشيط لجميع الطبقات لأن ليس من الطبيعي الممكن أن يسوى بين كافة الطبقات من توزيع للأموال إذ في المجتمع الذكي والغبي والنشيط والكسول والصادق والكاذب والخائن والأمين والعاقل والمجنون والعالم والجاهل والمحافظ والمفرط وهكذا لو شاء الله لجعل الناس على نظام التساوي ولايعجزه ذلك الا ان السر في هذه الحياة ان يكون فيها خادم ومخدوم وغني وفقير لأن كل هؤلاء يتفاوتون في الملكات والذكاء والاستعدادات وكل منهم يكمل عمل الآخر ثم انه قد يكون الفقير في الآخرة منعماً أكثر من الغني اذا كان صابراً فيخرج من امتحانه في الدنيا بتفوق فالدنيا ميدان تسابق في السعي والطاعة لكل من الغني والفقير وهكذا قضى الله تعالى بعظيم حكمته أن يتعاون الناس في بناء مجتمعاتهم فيساهم كل واحد منهم بقدر مايستطيع من العمل ويتحمل مسؤلية ماعنده من المواهب قال تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم إن ربك سريع الحساب وانه لغفور رحيم) واللفظ عام يشمل المال والجاه والعلم والذكاء الخ .. ثم بعد هذا كله يحمل أدعياء التقدمية حملتهم الشعواء على المسلمين يتهمونهم بالتواكل ليتهموا الشريعة الاسلامية بأنها توجههم نحو ذلك رجماً بالغيب أوعمداً للتشويش والشغب وعلى ماأعتقد إن خلصت نواياهم فانما يقصدون

صنفاً معيناً من المسلمين في بعض عهود استبداديه استعمارية كان من صالحها السياسي أن تغري بعض الضعفاء والسذج من المسلمين أو الاكثرية الساحقه منهم بمظاهر تعبدية تقطع صلتهم بها عن حقيقة السعي والتماس العمل اللذين من شأنهما رفع المعاش الدنيوي واستكمال لباس العزة والكرامة ونشر شمس الحرية في ربوع البلادالاسلامية العربية لتقودهم كما يقود الراعي غنمه في ارض مرتعه مخصبة فالقطيع يأكل وهو يمشي ولكنه لايدري الى اين المسير والى اين تنتهي به الحال ، وهكذا كان المسلمون في ابان العهد التركي والعهـــود المظلمة الاخرى وكل ذلك دخيل على المسلمين وليس من الاسلام في شيء والأنكى أن تلك العهود كانت تقنع المسلمين البسطاء في قوالب الكلام ووسائل الدعايات المغرية بأن ماتأمرهم وما تدخله عليهم هو الاسلام الصحيح : قد يقال أن فكرة الزهد في الاسلام حقيقة مقررة دعا اليها الرسول ﷺ في كثير من اقواله وأفعاله ومعنى هذا أن الاسلام يعودهم على القناعة في ذلك ليبعدهم عن روح الطمع والطموح ويمرنهم على حياة التقشف فلا يطمح المسلم لأكثر من لقمة عيشه فلا يعتد في ألوان الطعام ولايسكن في بيوت محفوفة بالحدائق الغناء والأنهار الزرقاء لأن في ذلك إسرافاً وبطراً وهو مدعاة الى جلب المفاسد ولكي لاتجمح النفوس الى الشر يجب ألا تباح وسائل الرغد والتنعم وليأكل المسلمون خبز الشعير ويسكنون الكوخ المزق وليدفنوا الذهب والفضة في باطن الارض كما كانوا يفعلون سابقاً فيحرم منها الاباء والابناء معاً بل المجتمع الاسلامي كله ان هذه المفاهيم كانت تصدر الينا من اعداء الاسلام باسم الاسلام : ان الاسلام لم يمنع المسلمين من أن يتنعموا بكل ماأحل الله سبحانه وتعالى لهم شريطة ألا يتغالوا فيبلغون حد السرف الذي يؤثر على اقتصادياتهـــم ويصرفهم عن الجوهر الى العرض وهو الانغماس الفاحش والاعتماد الـــكلي على مثل تلك الكماليات مخافة أن تنقلب معزتهم الى مذلة وقوتهم الى ضعف ولكي لايلتفتوا بكليتهم الى العرض تاركين وراء ظهورهم الجوهر الحقيقي قال

تعالى (ياليها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا الله إن كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولاعاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم) فليس اصرح من هذه الآية الكريمة في تكذيب من نسبوا الى الاسلام التهم الباطلة المارة الذكر فهي نص على الاباحة المطلقة في اكل الطيبات وقال تعالى (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون) إذاً فهل بعد هذا الايضاح من دعوى يسمع إليها فيما ينقله أعداء الاسلام فالله سبحانه وتعالى حرم الخبائث وأحل الطيبات ، وأحاديث الرسول ﷺ تلتقي مع ما أشارت إليه الآيات الكريمة قال عليه الصلاة والسلام (كلوا واشربوا من غير اسراف ولا مخيلة) فهو عليه الصلاة يبيح ما أباحته الآيات من غير تبذير ولا مباهاة ، ولقد أشار الله تعالى في سورة الاسراء يخاطب الرسول الكريم ليتعلم وليستفيد المسلمون (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) وقال تعالى : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا ، ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيراً بصيرا) ويفسر قوله تعالى في سورة الفرقان في وصفه لعباد الرحمن (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) فلقد جعل الانفاق بلا تبذير ولا تقتير حلاً وسطاً بين الانفاقين المذكورين ، فالتبذير يأخذ الى ضياع النفس والمال معاً ، والتقتير يأخذ الى الشح والشح مهلك في حد

ذاتـــه . ومن مثل هذه الابواب يلج اعداء الاسلام لينفثوا سمومهـــم فيقولون الاسلام يحرم وسائـل الراحة كالـكهرباء والسيارات والغسالات والثلاجات وغير ذلك من المخترعات اتي لم يعلمها الله سبحانه وتعالى لخلقه إلا ليعملوا بهـا ويسخروها مالم يقترفوا بواسطتها محرماً لأن في استعمالها راحة لبني الانسان من عناء ومشقة يجهدان واذا نحن لم نعتقد ذلك فكأنما نقول ان ما خلقه الله تعالى في هذا الكون وما سخره لنا من مخلوقات وموجودات ليس لخدمة الانسان ، وهـذا فهم سقيم وجهل مطبق لأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الشمس والقمر والليل والنهار والبحار والأنهار والسهول والجبال والوديان إلا لتسهيل مهمة الانسان التي أوجده الله تعالى من أجلها ليسخرها في حياته وصولاً الى الغاية التي طالبه الله سبحانه وتعالى بهـا في قوله : (هو الذي جعل لـــكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) وقال تعالى : (الله الذي خلق السموت والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ماسألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار) ومعنى هـــذا أن كل المخترعات النافعة المسهلة على الانسانية مهامها والمخففة من عنائها وأتعابها سواء منها ماظهر وما سيظهر في المستقبل القريب والبعيد انما هي من نعم الله تعالى على هـــذا الانسان الذي تعهده الله بالعنايـــة والرعاية فعلمه مالم يكن يعلم من قبل وكل الذي ذكرناه يعتبر من باب اباحة استعمال الاشياء، وأما ما كان من باب العمل والاختراع فالاسلام يحث أتباعه على أن ينقبوا في البلاد ويسخروا عقولهم للابداع فيما تصنعه لهـــم قدرة الله تعـالى من مؤهلات يستخدمونها في صالحهم ومصالحهم لتكون

حصناً للانسانية ودرعاً للبشرية من آفات وانتقاميات وهو دائماً يوجههم نحو القوة والعزة ويعدهم للحياة العلمية الكريمة ليكونوا قادة عادلين . قال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) فالعمل ليس مقصوراً على عبادة الله تعالى فقط كما يفهمه البعض بل المقصود منه ما يصلح أمر الدين والدنيا معاً بدون اقتصار على أحدهما دون الآخر ويفسر هذا قوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) وهل بناء المستشفيات لاسعاف المرضى واقامة دار المبرات لانقاذ المحرومين المعدمين عمل دنيوي محض أم يشترك فيه الأمران الدنيوي والأخروي ؟؟ وهل تعاطي الانسان أنواع البيع والشراء أمر دنيوي أم يشترك فيه الأمران ؟؟ وهل اختراع الطائرات والدبابات والصواريخ الموجهة والقنابل الذرية اذا استخدمت لقمع الظلم البشري وارساء سفينة العدل والدعوة الى الله أمر دنيوي أم يشترك فيه الأمران ؟؟ نعم إن في ذلك كله يجتمع فيه أمر الدنيا والدين وصلاحهما معاً فاختراع الطائرات وغيرها واستعمالها في دفع اعتداءات موجهة أمر يفرضه الدين دفاعاً عن النفس والحرمات الانسانية والقيم المعنوية قال الله تعالى يخاطب المؤمنين ويحثهم على الاستعداد (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) دون أن يحدد القوة في بيان أنواعها وامكانياتها بل فتح لهم مجال الاستعداد على مصراعيه حتى يكونوا دائماً في تفكير وعمل دائب لا يقفون عند حد بل ليتفننوا كما يتفننن غيرهم وليحرروا أفكارهم من ربقة الاستبطاء والركود لان في الاستعداد معنى القوة والعزة والكرامة والحرية للمؤمنين وفي حالة عدم الاستعداد تكون المذلة والاهانة والتقهقر والضعف والمؤمن القوي دائماً وأبداً خير من المؤمن الضعيف . قال عليه الصلاة

والسلام (المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف) ويقصد بالضعيف الذي يستكين ويستسلم فيه ثم ينسب ذلك الى الأقدار الجارية التي ليس للانسان له فيها أي تأثير وهذه مفاهيم يتسلح بها المتسكعون القانعون بلقمة العيش المتواكلون الذين هم عالة على الاسلام والمسلمين .

دوافع الهجرة وآثارها

يا هجرةً قد ذكرتنا مجدنا ... بالله عودي فالليالي خاليه
ماذا جنى الإسلام في أيامه ... ثمراً سوى ثمراتك المتتاليه

تعال معي أيها القارىء لأبعثك حياة جديده تذوق حلاوتها وتتذوق لذة معناها السامي الذي يحلق بروحك الى عالم ملائكي ويسمو بأعمالك الى عالم الخلود لتلتحق بالسلف الصالح من الجدود الذين قدروا الحياة فقدرتهم فجاءت لهم الدنيا طائعة وراغمة حيث سخر لهم كل ما فيها يروحون ويغدون في مشارقها ومغاربها على حسب ما يعلمون لا ما يشتهون لأن العلم بالشيء على وجه صحته لا يدعو إلى أخذه عن طريق الشهوة وإنما عن طريق الرغبة وفرق بين الرغبة والشهوة . فالشهوة مصدرها الهوى ومآلها الشر ، والرغبة مصدرها العلم ومآلها الخير ، وما أجمل العلم اذا قرن برغبة العمل . وأنا أريد أيها القارىء الكريم أن أرغبك في قراءة العلم الذي تستطيع بواسطته أن تشق طريقك معبداً ومستقيماً لا التواء فيه في هذه الحياة الوعرة طريقها والشائك مسلكها . كما أريد أن أملي عليك حديثاً ربما أملاه عليك غيري فتعرض لبيانه قلما ولساناً تكلم عنه كحادث تاريخي سرد فيه الاخبار التاريخية كما حصلت ووقعت على أن ذلك ليس بالصعب على كل قارىء أن يتناوله من صفحات كتب السيرة وغيرها من مراجع التاريخ لأن مثل تلك الحوادث الهامة وذات الشأن لا يستفاد من قراءتها على الوجه الأتم ما لم تكن محوطة بعناية الكاتب ومكللة برعايته وذلك في تقرير نتائجها وتفسير اسبابها ومناقشة موضوعاتها ثم بيان أسرارها من الناحية العلمية .

والاخلاقية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والدينية . الخ ....
فالغرض الأساسي من الكلام عن حادث له أثره وقيمته في الوجود الانساني وذلك كحادث الهجرة مثلاً هو تقرير نتائجه وبيان فوائده وأسباب دوافعه وهـذا يحتاج الى مثل ما لوحت اليه في مطلع حديثي هذا من العنايـــة والرعاية والى السير في موضوعه سيراً منظماً يخرج القارىء بخلاصة أفكار وجملة مبادىء تدفعانه الى تحقيق ما علمـــه وفهمه وعندئذ تحصل الثمره المطلوبة التي هي وجود الروح الحيوية في الانسانية الكاملة فتعوده الصبر في الملمات والنوائب وتدربه على تخريج الأمور تخريجاً معقولاً ومقبولاً وتحرره من كل قيد تقليدي وأعمى .

ولقد كان بحق حادث الهجرة الكريم انقلاباً شاملاً على الاوضاع المنحرفة في العالم كله قديمه وحديثه فلقد نهض بسابقها وسينهض بلاحقها . لقد كان الذرة الاشعاعية التي أنارت للانسانية المتخبطة طريقها في الحيـاة على نظرية السلام والاطمئنان وليس على نظرية المكر والخـداع في السلب والنهب والتهديم كما يفعله اليوم ساسة الغرب وزعماؤه . فالهجرة من حيث هي كحادث تاريخي لا أشك فيه وأما من حيث هي كحدث عالمي انقلابي أجزم فيه بأكثر مما لا أشك فيه اذ الجزم غـير الشك ولو كان مسبوقاً بالنفي وعلى هذا يتقرر لدى كل عالم ومتعلم أن الحدث أشمل وأعم من الحادث اذ ليس كل حادث حدثاً وإنما كل حدث فهو حادث فيكون الحـدث أشمل وأتم في خلق ما هو مفقود وقد يكون المفقود أجل وأعظم من الموجود أو مساوياً له على الأقل لأنـه السبب في تدعيمه . فالهجرة حـدث قبل وجوده . كان الرسول ﷺ سالكاً في دعوته الى الله تعالى طريقة السر والتكتم وناهجاً سبيل العطف واللين والرحمـة والتواضع والبيان في الحجة وفي ذلك الحين كان كل شيء مقرراً ومعلوماً من حيث العقيده والايمان فكانت الآيات

المكية الكريمة القصيرة النظم تنزل فتشرح فكرة الايمان والعقيدة شرحاً شافياً لا غموض فيه مدعماً بالحجة المنطقية ومنددة في الاصنام والشركاء وترتب الجزاء بالاحسان على الوصف الاول وبالعقاب على الوصف الثاني . فالفكرة بالدعوة الى الله تعالى موجودة قبل الهجرة ومن أجل تحقيقها كانت الهجرة التي ثبتت استقرار الوحدانية في نفوس المشركين المناوئين دفاعاً عن زعاماتهم وخوفاً من انهيار قيمهم الذاتية التي كانوا بواسطتها يتملكون ويملكون ويسلبون ويمنحون ، ويقتلون ويشردون ، ويرحبون ، ويخيفون ، دون أن يقف أمامهم مستفهم أو يحاسبهم محاسب . فمن أجل قمع ذلك لاقى الرسول عليه السلام كل مشقة وعناء وصبر على كل إهانة ومهانة وعندما وصل الأمر الى تعقيد الفكرة بينه وبينهم حاولوا أن يتخلصوا منه عليه الصلاة والسلام فأجمعت القبائل على قتله شريطة أن يكون دمه موزعاً عليها كلها فأوفدت كل قبيلة مجرماً من مجرميها وبيتوا أمرهم على تحقيق اجرامهم سراً ولكن الله سبحانه وتعالى الذي عصم نبيه من الناس بقوله (والله يعصمك من الناس) لا تخفى عليه خافية فأوحى الى نبيه بالهجرة الى المدينة لأمر كان سبباً في انطلاق الدعوة من ضيق الى أوسع ومن أخص الى أعم من حيث تثبيت روح الايمان بالله والاعتقاد بالدعوة ومن حيث تطبيق الأحكام التي نزلت بها الآيات المدنية الطويلة النظم فيما بعد فنتائج الهجرة من الناحيتين الدينية والاجتماعية تتلخص في أمرين وذلك في ناحيتين : فمن الناحية الدينية أولاً قد ثبتت العقيدة في نفوس الناس . ووسعت نطاق الدولة الاسلامية ثانياً في كل شيء يعود نقصه عليها .

وأما من الناحية الاجتماعية : فيكفي أنها خلصت المجتمعات من العبودية الممقوتة والامبراطورية الفردية أولاً وعملت على تنوير العقول وتبصير أصحابها وإعطائهم الحق كله في مزاولة اعمالهم بصفة مشروعة وحرية تامة غير منقوصة ثانياً .

وأما تأثير الهجرة من الناحية الخلقية فهي أكثر من أن تسمو بالانسان الى الصدق والاخلاص فقط بل هي الدرس الذي أملى على كل فرد فكرة التفاني الخالص من أجل تحقيق فكرة عادلة ودعوة سماوية ناسخة لغيرها كالنصرانية واليهودية . فلقد صقلت الطباع وهذبت النفوس وطبعت الناس بطابع الفضيلة من حيث المعاملات فحاربت الغش وطاردت النفاق وأبطلت التسول ومحقت الخداع ، ولذلك لم نجد بين صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين وغيرهم منافقاً أو مخادعاً أو خائناً أو غاشاً بل على العكس كلهم على الصدق طبعوا والاخلاص والتفاني جبلوا وللطهارة والعفاف التزموا ولأمر الله ورسوله امتثلوا ، وعلى تحمل المشقة والمصائب في سبيل الله صبروا .

وأما تأثير الهجرة من الناحيتين السياسية والاقتصادية : فهو يتجلى في تنظيم شئون الدولة العامة والخاصة . فلقد استطاع الرسول ﷺ بحسن سياسته أن يجعل بينه وبين يهود المدينة معاهدة باسم دولته حتى إذا ما نقضوها عمل على انزال العقاب فيهم ولقد تم له ذلك وأجلاهم عن المدينة وهذا عمل سياسي ودبلوماسي .

ومن جهة أخرى فقد استطاع الرسول عليه السلام وصحبه الكرام أن يوطدوا دعائم الدولة الاسلامية على اساس من القوة المادية والحربية . فلقد وفق الرسول عليه الصلاة والسلام بحكمته الرشيدة ورجاحة عقله الى ضم المهاجرين والأنصار وربط بينهم برباط الأخوة الاسلامية فتعاون الجميع على تكوين وحدة اقتصادية أدت في نتائجها الى ايجاد وحدات من الجنود غزت المشركين على مقربة من المدينة بادىء الأمر كما حدث في غزوة أحد وبدر وغيرهما فانطلقت الدولة الاسلامية منذ ذلك الحين انطلاقتها التوسعية فتوالت انتصاراتها وتوسعت فتوحاتها بعد عودة الرسول ﷺ الى مكة ظافراً قاهراً واستسلم زعماؤها اليه وفي مقدمتهم أبو سفيان الذي أعلن اسلامه بين يدي

النبي ﷺ على أبواب مكة ، والشيء الذي يجب أن نتصدى لذكره في هذا الموضوع هو أن الرسول عليه السلام استطاع أن يخلق وحدة اقتصادية قامت على اساس التعاون الأخوي في العقيدة أدت في نتيجتها الى ايجاد قوة في توسيع نطاق الدولة الفتية ويعتبر الرسول عليه السلام هو الممثل الأعلى للدولة الاسلامية في السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية على رأس مجلس شوروي ، ومن هنا نعلم أن الدين لاينفصل عن الدولة إذ المفروض في الدولة أن تكون تابعة للدين وليس الدين تابعاً للدولة تبع تعليق لاتشريف وتبع عمل لا قول وانك أيها القارىء الكريم ستجد الكلام عن هذا الموضوع في بحث اسلوب القتال في الاسلام في آخر كتابنا هذا قد فصلنا فيه بعض التفصيل بما يفي حاجتك ويكفيك مؤونة الاطلاع على غيره . وكل الذي أحب أن الفت اليه الانظار وأوجه إليه القراء الكرام هو أن على كل مسلم أن يأخذ من حدث الهجرة عبرة وعظة ودرساً يحفظه في الأخلاق والفضيلة وأن يعتبرها الدستور الصحيح لكل أعماله الخاصة والعامة في حياته وأن يتمثل بها التمثيل الصحيح في كل النواحي التي أحدثتها هي سواء في نفوس المؤمنين أو أوضاع الدولة الاسلامية الداخلية والخارجية .

ومن المؤسف أن تمر هذه الذكرى كموسم عادي لايلتفت الى معناه ولا يفهم في مغزاه .

فلسفة الصوم بين الروح والمادة

لم يكن للانسان من سلاح يستطيع به الوقوف أمام رغباته النفسية وشهواته الجسمية سوى السلاح الروحي الذي يخفف من ثوران الجسم ويعدل من غرائزه ويوقف نزوات النفس عند الحدود التي رسمها الدين الحنيف وتبنتها الفضيلة .

ولقد أثبتت التجارب العملية أن وسائل الكبت وعوامل القوة والارهاب لم تخفف من ارتكاب الجرائم الكبيرة حتى ولا الصغيرة إلا النادر اليسير نظراً للمقومات الغذائية التي يقوم بها الجسم تقويماً صحيحاً :

وبما أن المقومات الاساسية للجسم هي الأطعمة التي تدور خلاصاتها بواسطة الدم الى جميع الأعضاء فهي خطر على صاحبها لأنها تحمل مواد الغرائز الحادة والأصيلة في الجسم بالنسبة لغيرها .

فدافع الحب عن غريزة أصيلة في الانسان لا يمكن تجاهلها أو القضاء عليها ، لأنها الغريزة الجنسية التي أوجد الله سبحانه وتعالى منها النوع البشري ، ولو انقطعت أو عمل الانسان على قتلها أو إضاعتها لما توالد الناس واذاً لانتهى بهذا الكون الى الخلو من جنس البشر : قال تعالى :

(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وقال تعالى (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديرا) .

وإذا كان الأمر كذلك فانه لايستغنى عن غريزة التوالد التي يكون

بواسطتها إشباع دافع الحب لأنها مخلوقة مع صاحبها ولا يستطيع أن يشبعها الا عن طريق مشروع رسمه الدين أو تبنـــاه مجتمعه له الذي يعيش في وسطه فانه لابد لذلك الانسان من أمرين لا ثالث لهما .

الأول : أن يلتزم جانب الصبر في عدم ارتكاب أي محظور استجابةً للدين وحفظاً لأعراض الناس وحرماتهم الانسانية وهذا ما يسمى (بالكبت) الا أن مصدره الايمان بالله تعـــالى والخوف منه ولا يكون إلا عند المؤمنين .

الثاني : أن يبيح لنفسه اعراض الناس فيفترسها استجابة لغريزتـه الحيوانيـة وشهوته البهيمية ، فلا خلق يردعه ولا حياء يوقفه وهـــذا ما يسمى (بالاباحية) .

وكلا الرجلين غير مرتاح ، أما الاول فانـه يقاوم رغباته الطبيعية بقسره وعنته لها وصبره عليها متحصناً بالايمان بالله ومتدرعاً بالصبر وفي هذا قوة ارادة قلما توجـد في انسان اللهم إلا من عصم الله ، والرجل الذي أباح لنفسه ما حرم الله فهو غير مرتاح أيضاً لأنـــه يشعر بتحمل المخالفة وثقل المسئولية وفحش الجريمة التي ارتكبها في اتيانه ما حرم الله عليه ولربما أدى ذلك الى حمل شيء منه لأول وهلة وفي هـذا قتل معنوي لكل من الرجل والمرأة ولقد صورت هـــذا القتل في أبيات تحت عنوان (الشهوة المحرمة) :

إن الملذة في الحياة كثيرة ... لكنها أثرٌ يزولُ بسرعةِ
فاذا أتتك رأيتها كعروسة ... زفت إليك بلحظة وتولتِ
حتى اذا ما ملت مالت كلها ... بجنودها فتاكةً واستولتِ
وقضت على معناك أول فعلها ... وأتت على الجسم القوي فأبلتِ

إياك لا تتلبسن فانهـــا حيوان لؤمٍ ثم نار الحرقةِ
وازهدْ بها فالزهد خير وسيلةٍ في دفع كل أذيةٍ ورزيةِ

ونحن بعد هـــذا نلتمس الحل الوسط الذي يصير فيه الانسان معتدلاً في غريزتـه قوياً في محاربة شهواته متمسكاً بايمانه ويقينـه وعزيمته جانحاً نحو العفة متجهاً نحو الفضيلة ومتزناً في حركاته وكل تصرفاته .

فلقد فتش علماء الطب عن علاج مادي كما فتش علماء النفس عن علاج روحي معدل للغرائز دون أن يصاب من يستعمله ان كان مادياً بعقم مؤقت أو دائم ، وإن كان روحياً بمرض نفساني مجسم ، فلم يجدوا سبيلاً لذلك كالصوم الذي كتبـه الله تعالى على الأمم السابقة من قبلنا ثم فرضه علينا لنفس السبب وهو تقوى الله في جميع غرائزنا وكافة أعمالنـا . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياماً معدودات) ووجه الحكمة في فرضية صوم رمضان ، هو أن البطن تصوم عن الطعام وبصومها تصوم الأعضاء التي لهـا مهام في أداء ما تطلبه الغرائز فيحصل هناك تعادل أو تقابل . فكلما قل الطعام قل داعي الغريزة واشتد . والله سبحانه وتعالى يعلم ما في الانسان من لحـــم ودم ويعلم ما يحمله ذلك الانسان من أمانة ضخمة عجزت عن حملها الجبال والسموات والأرض ، وهو الحكيم الذي لا يشرع الا ويعلم حكمـة تشريعه في خلقه إن نفعاً وان ضراً وحاشاه أن يشرع ما فيه ضرر لعباده .

والمتأمل في سر حقيقة الصيام تأملاً عميقاً مع تتبع المعلومات التي يتكون منها الجسم من مقومات تمده بكل ما يلزمه يجـــد أن أمر الله في مشروعية الصيام تطبيب للروح والجسم معاً وانقاذ لهما فترة من الزمن قـد تفعل فعلها في البقية الباقية من زمن الانسـان في عامه الذي يصوم فيـــه شهر رمضان أو على الأقل فهي تؤثر تأثيراً معقولاً ملحوظاً بعض الشيء .

فالصيام وقاية وحماية من كل الأمراض الجسمية والروحية فهـــو يعقم الأجسام من جراثيم يجلبها اليه تعاطي ماحرم الله عليه ، وهو يصرف عنه سموم ماتتركه فضلات الطعام المتراكمة في الجهاز الهضمي التي تنتشر في الدم فتؤثر على بقية جميع الاعضاء فتضعفها :

وهو أي الصوم مجدد لنشـاط كل عضو يريد أن يمارس عمله الطبيعي وهـــو حماية للقيم الروحية الانسانية من أن تتدنى الى مرتبة الحيوانية الدنيئة : فهـــو يسمو بالأرواح والأجسام الي عالم الملائكة والأنبياء فيجنب الناس خطر السطو والاجرام ويهذبهم تهذيباً نفسانياً ومادياً : وصدق رسول الله ﷺ حيث أشار الى هذا المعنى بقوله مخاطباً الشباب (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة(١) فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانـــه له وجاء) أي وقاية من كل شر ومعصية وصدق عليه السلام عندما أشار الى المعني الثاني بقوله (من لم يدع قول الزور والعمل بـه فليس لله حاجـة في أن يـدع طعامه وشرابه) وصدق باشارته في قوله (صوموا تصحوا) فهو يوجه الى اصلاح الجسد في الصيام والى أمراض الجلد وغيرهـا وللصوم فوق ذلك كله اتجاهات سامية جليلة الشأن رفيعة القدر لها تأثير في ميادين الأخوة والتزام الصلات المختلفة بين بني الانسان قد لاتخفى على المتبصرين بمبادىء الدين الحنيف وفقنا الله جميعاً الى فهم أسرار تشريعاته .

(١) الباءة : هي القدرة على الزواج ويكون ذلك بتحمله لمسئوليات الزواج كاملة .

تحريم القمار والخمر في الشريعة

ان الشريعة الاسلامية الغراء لم تحظر على المجتمعات الانسانية شيئاً ما الا لحكمة معنوية أو حسية ولقد جرت عادة هذه الشريعة أن تؤيد كل حكم يحمل الخير والنفع الى الناس ولو كان ذلك الحكم متبعاً في الجاهلية الأولى لأن الادلة النقلية والبراهين العقلية قامت على أنها كانت دائماً وأبداً تتحرى العادات والاحكام التي تضمن للبشرية سعادتها وهناءتها وتحفظ لها حقوقها كإغاثة الملهوف وحماية الجوار ، وإكرام الضيف ، وصلة الرحم ، وأخذ الدية ، ونصرة المظلوم ، وصيانة الأعراض ، وعطف الكبير للصغير ، واحترام الصغير للكبير .

ولو رجعنا إلى الحياة الجاهلية وكشفنا النقاب عنها ثم عدنا بنظرة الى الحياة الاسلامية لوجدنا أن كثيراً من العادات التي شاعت في الجاهلية حرمها الاسلام لذاتها ، لما فيها من الدناءة والقذارة . كما حرم البعض الآخر لما ينشأ عنه من ضروب الفوضى والنزاع بين الأفراد . ولما يترتب عليها من نتائج فردية واجتماعية سيئة . ومن عادات الجاهليين التي حرمها الاسلام اللعب بالميسر (القمار) مع أنه كان عادة متأصلة شاعت بين أغنياء الجاهليين ويعتبرونه مفخرتهم لأنه في زعمهم ضرب من ضروب القدرة والكرم وكانت طريقتهم فيه : أن يجتمع الموسرون ويشتروا جزوراً يقسمه الجزار الى عشرة أجزاء ثم يجاء بالقداح (السهام) وتوضع في خريطة (منطقة) مع رجل منهم ثم تخرج على أسمائهم ، فمن ربح أخذ نصيبه

من الجزور . وتصدق به على الفقراء ، ومن لم يربح دفع ثمن الجزور . وما من شك في أن تخصيص هذا المال باسم الصدقة باطل لأنه مال الغير . وكثيراً ما نشأت وتنشأ عن هذا القمار العداوات التي لا حد لاضرارها وقامت الخصومات المؤدية الى سفك الدماء وانتهاك الحرمات وقطيعة الأرحام ولهذا كله نجـــد القرآن الكريم يصرح بأن الميسر إثم كبير وضرر عظيم وهو وان كان موجهاً في تلك الايام في الجاهلية الى نفع الفقراء إلا أن اثمه اكبر من نفعه قال تعالى (يسألونك « أي يا محمد » عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما اكبر من نفعهما) .

فمناط الحكمة في التحريم مبني :

أولاً : على ما ينشأ عن الميسر من عـــداء وبغضاء بين المقامرين أنفسهم وقد يتعدى الى غيرهم الى حد بعيد قد لا يتصوره انسان عاقل ومدرك دفاعاً عن المال والرابطة العائلية والقومية .

ثانياً : لأن في القمار استيلاء على أموال الناس بغير حـــق ولا طريق مشروع حتى أن الكرم الذي يأتي عن طريق الميسر لا يسمى كرماً وإنما الكريم الذي ينفق من ماله الذي اكتسبه بجهوده وعرق جبينه عن طواعية ونفس رضية خيرة .

وينبغي علينا أن لا نذهب بعيداً عن واقع مجتمعنا الحاضر على ما فيه من انهيـــار اقتصادي وتأخر حضاري بالنسبة الى الدول الأخرى في مضمار التصنيع والتقدم الفكري لنحكم على أنفسنا . هل القمار اذا أبيح فينا يجعلنا ننهض نهضتنا الوثابة ونتقدم تقدمنا الاقتصادي السريع ونحن لا نزال على أبواب نهضة بدائية ؟؟ أم يرجع بنا الى الوراء أشواطاً ؟؟

ولو نحن ناقشنا هذه النقطة الحساسة عملياً على ضوء العقلية المفكره والواقع الذي نحن فيه لحكمنا بالدليل القائم على أن القمار مدعاة الى الشر والتواكل والتكاسل والتخاذل في كل شيء وعلى الأخص يكاد يكون سبباً مباشراً في ضياع ثروتنا المحلية المنتجة في شتى الميادين ، لأنه يصرف الكثير من أصحاب المواهب عن الانتفاع بمواهبهم المجدية والنافعة للانسانية وبتعميم القمار وانتشاره يكثر اليأس ويسود التشفي وتعمم استباحة اموال الناس ودمائهم وأعراضهم في سبيل الحصول على ما يسلب من المقامرين ، هذا عدا عما يجلبه القمار من تشريد للعوائل الآمنة السعيدة .

وأما الخمر فان أبلغ تعريف لها في بيان خبثها على حقيقته هو قول الرسول ﷺ (اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر) أي مجلبة لكل خبث ومذهبة لكل نفع ومضيعة للكرامات والقيم وسالبة من أولى الأحلام أحلامهم . وهذا أثمن ما يملكه الكائن البشري في وجوده إذ بزواله يختل توازنه ويتحطم ميزانه حتى يصبح خيالاً بهيكل انسان لا يستمتع بلذة العقل ولا الفهم ، وينعدم شعوره بأدنى قيمة أو تقدير لنفسه وتموت حيويته وتفقد انسانيته ويصبح عالة على غيره ويبتلى المجتمع بأمثاله . وهو الذي يقضي على أسرته ويشرد أفرادها فتعيش في يتم وبؤس وحرمان . وعدا عن هذا كله فان الخمرة تجعل من جسم شاربها موطناً لسائر الأمراض والعاهات .

فلقد أجمع علماء الطب والأخلاق على أن الانسانية لم تصب بضربة أشد من ضربة الخمر .

فلو أحصي عدد الوافدين الى المشافي في العالم من مرضى في القلب إلى مرضى في الجهاز الهضمي الى مرضى في الجهاز العصبي العقلي لهالنا ذلك الرقم المرتفع الناجم عن

معاقرة الخمر الخبيثة ولو أردنا أن نحصي أسباب الجرائم التي تحدث في العالم لأدركنا عن يقين أن في مقدمتها الخمر التي هي مفتاح كل شر .

ولقد أدرك الاسلام خطرها في الأفراد والمجتمعات فحاربها على اختلاف أنواعها بشتى الوسائل والأساليب ، واعتبر كل مسكر خمر وكل مسكر حرام وذلك لوجود العلة التي هي الاسكار في مخامرة العقل فهي تضرب خماراً على العقل فتصدر أعمال من يتحساها على غير وعي ولا هدى : واعتبر الدين معاقر الخمر مرتكباً وأوجب عليه الحد أي ضرب ثمانين سوطاً بعد أن ينزع عن ثوبه توزع على جسده كله :

ولقد حمل الاسلام الحاكم مسئولية إقامة الحدود ومنها حد الخمر ليتأدب بالمرتكبين بقية أفراد المجتمع الذين تدعوهم الشهوة الى ارتكاب هذه المخالفة ، فلا يبيحون لأنفسهم معاقرة ما حرم الله لكي لا يضيعوا عقولهم وأموالهم ولا يجلبوا الى مجتمعاتهم الويل والثبور والأرزاء ، ولقد اكد الاسلام في حرمة الخمر فنظر اليها كمصدر للخطر أو كالوباء السريع الانتشار فحظر على الانسان المسلم أن يحملها أو أن ينظر اليها أو ان يتاجر بها :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (أتاني جبريل فقال : يامحمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها والمحمولة اليه ، وبائعها ومبتاعها ، وساقيها ومسقاها) وكل هذا خشية من التلبث بها لأنها سريعة المسرى مريئة المجرى ، ومن الصعب إن لم نقل إنه من المستحيل هجرها بعد شربها :

والذي يتناول الكأس الأولى يتناول سمه بيده ليقضي به على زهرة حياته :

ولقد رحم الله الانسانية بتحريمه للخمر ، ففي الفترة الأولى من

الاسلام أنقذ الله مجتمعاً جاهلياً كانت الخمر فيه كالجزرة الكبيرة القاطعة والمشوهة وكان ذلك المجتمع بحق هو البيئة الموبوءة في سائر الأمراض والعاهات بل كالسجن الواسع الذي يأوي اليه المجرمون بالعشرات والمئات.

وعندما أدرك الاسلام خطر الخمر في إدمان الجاهليين في شربها عمد الى خطة تربوية في تحريمها على مراحل : إذ ليس من السهولة ابعادهم عن معاقرتها بعد أن أمعنوا في شربها بحيث كانت تقدم في مجالس أفراحهم وأتراحهم وطعامهم وشرابهم .

وبعد ظهور الاسلام : اتجه الناس نحو الهدى والرشاد وأصبحوا يدركون مايعرض عليهم إما عن طريق الايمان المطلق أو مع الدليل والحجة والبرهان .

وكان الكثير من الناس يسألون النبي ﷺ عن حكم الخمر والميسر مستفتين فنزل قول الله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) فهو سبحانه وتعالى في هذه الآية أراد أن لا يفاجئهم دفعة واحدة بتحريم الخمر لكي لا يصابوا بنكسة تردهم اليها ردة أبدية ولكن كشف لهم عن آثار منافعها القليلة وآثار أضرارها الكثيرة الكبيرة فاصبحوا أمام دليل واقع لايستطيعون نكرانه أو تجاهله الأمر الذي حملهم على كرهها بعض الشيء .

ثم عندما بدت آثار أضرارها وخاصة في الصلاة أنزل سبحانه وتعالى تحريمها عندما يريدون الصلاة حيث قال (يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) وكانوا بالفعل أدركوا حقيقة هذه اللفتة الكريمة في مواضع كثيرة في الصلاة : فابتعدوا عن شربها عندما يريدون الصلاة .

ولا يخفى ان في استعمال هذه الخطة المسوقة باسلوب الاقناع تارة وباسلوب

التأثير تارة أخرى كان أكبر الأثر في محاربتهم للخمر تدريجياً الى أن نزل قول الله الشافي في تحريمها بعد أن نضجت في أذهانهم فكرة ضررها وتأثيرها على الجسم والعقل معاً (يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) فما كان جواب المؤمنين إلا أن قالوا (انتهينا يا رب انتهينا يا رب) وأراقوا قدور الخمر في أفواه السكك لانهم كانوا يدخرونها في الدنان كما يدخرون طعامهم وشرابهم .

وهكذا فقد انتصر القرآن في اسلوبه على قوة الشهوة ودافع النفس وتغلب جانب الهوى في الانسان المعاقر المدمن للخمر .

الخمر داء لا دواء فيها

لقد فهمنا من النصوص المشار الذكر أن الخمر لا تجلب الا الأمراض ولقد ثبت ذلك طبياً والاحصاءات العلمية لا تدع مجالاً للشك :

فاذا كانت في حد ذاتها مرضاً أو جالبة للمرض فكيف تكون في يوم من الأيام دواء وشفاء ولقد تلاقت أصول الشريعة الاسلامية بما أثبته الطب الحديث في هذا المضمار . فالاسلام منع أن يكون المحرم دواء لاعتبار أن المحرم خبيث في ذاته فلا يصح دواء .

وهذا ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام (إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء ، فتدووا ولا تتداووا بحرام) وقال عليه الصلاة والسلام للسائل الذى سأله عن الخمر فنهاه عنها فقال الرجل إنما

أصنعها للدواء ، فقال ﷺ (إنه ليس بدواء ولكنه داء) رواه مسلم واحمد وأبو داود وقال ابن مسعود رضي الله عنة في شأن المسكر (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم) .

مقاطعة مجالس الخمر

إن المسلم الفاهم لدينه وأحكامه لا يسمح لنفسه أن يغشى مجالس الخمر ولو لم يشربها لأنه بمشاهدته للخمر يرتكب ذنباً وإثماً وبرضائه عن شربها يرتكب إثماً وذنباً آخرين .

عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة تدار عليها الخمر) . لأن المسلم مطالب بأن يغير المنكر اذا رآه مهما كان شأنه فان لم يستطع ازالته فعليه أن يحاربه وذلك بتركه له وأهله .

روي عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، أنه كان يجلد شاربي الخمر ومن شهد مجلسهم ، وإن لم يشرب معهم . ورووا أنه رفع اليه قوم شربوا الخمر ، فأمر بجلدهم فقيل له إن فيهم فلاناً وقد كان صائماً فقال ابدءوا به أما سمعتم قول الله تعالى (وقد نزّل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم) .

واجب الدولة في مكافحة القمار والخمر

اذا كان من واجب الفرد أن يدرك مضار الخمر والقمار فيتجنبها لما يتركانه من آثار سيئة في نفسية الفرد والمجتمع ولما يورثانه من آلام وأتعاب ، فان من حق الأمة على الحكومة أن تدرك خطورة ما يصنعه

القمار في أبناء الشعب وما تجره الخمر من مصائب وكوارث ، لأن الدولة هي المسئولة عن رعاية الحق العام وهي الأداة التي بواسطتها تحقق للأمـــة حياة كريمة وتجنبها ما يضر بها وذلك بالسهر والمراقبة .

فاذا كان واجب الحكومة أن ترعى ناحية الصحة والاسعاف في وزارة الصحة والاسعاف فما بال هذه الوزارة لا تكافح الخمر وقد ثبتت أضرارها الصحية ، فهـــا هي حانات الخمر مفتحة الأبواب في كل شارع يغشاها كل يوم عشرات المواطنين ثم نشاهـــدهم في الشوارع وقد أضاعوا عقولهم وفقدوا أثمن ما لديهم ، أوليست الحكومة هي المقصرة في حـــق هذا الشعب وأفراده ؟؟ أوليست هي التي تشجع باعطائها الرخص لبائعي الخمر على شربها ؟؟ والى الآن لم أستطع أن أفسر اباحة المسئولين بـــل تشجيعهم لفتح مثل تلك الحانات الـــتي في صباح كل يوم تعمل على قتل العقلية والمواهب في عدد كبير من أبناء هذه الامة ، فهل بعد هذا يؤدي المسئولون واجبهم في مكافحة الخمر والقمار ..؟؟

اسلوب القتال في الاسلام ودعوته الى السلام

تمهيد للبحث

اذا قيست الامور بنتائجها أو قدرت الرجال بأعمالها أو قورنت الاديان بمبادئها ، فما من شك أن الاسلام ورجالاته أسمى وارفع من أن تقاس تشريعاته العامة والخاصة على تشريعات غيره ، وهو أعلى وأجل من أن تقارن رجالاته وعظماؤه برجالات غيره من أصحاب المبادىء الاخرى ، لأن هذا ما يشهد به القرآن الكريم على سبيل القطع المطابق للواقع الذي لا يحتاج الى دليل أو برهان .

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ويتبين لنا ذلك في نصين :

أما الأول : فقوله تعالى (إن الدين عند الله الاسلام) وقال تعالى في آية أخرى يقطع بها شكوك من تحدثه نفسه باتباع غير الاسلام (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال تعالى يشهد بكمال الاسلام وصلاحه (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) :

ففي الآية الاولى تصريح بين لا غموض فيه مؤكد بعامل من عوامل التأكيد في أن الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده هو الاسلام ليبين لمن يوسوس له شيطانه أو ترديه نفسه المتهوسة في التزام دين من الاديان السابقة وفي التصريح نفسه معنى تضمنته الآية يشير إلى أن هذا الدين كملت مبادئه ، وأحكمت تعاليمه ، واتسعت آفاقه ، ووسعت معالمه في الزمان والمكان والسكان فهو كامل في ذاته ، قوي في أحكامه ،

واسع في كل تشريعاته ، وهو متسع لأن يجابه عويص المشكلات فيحلها ويقضي عليها بأساليب جذرية متعددة مناسبة لاشين فيها ولا حرج ولا تضييق ولا عرج قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) .

وأما الثاني : فقوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع نباتُه ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما) ، فصفات كهذه تمثلت في رجال يعتنقون ديناً ويلتزمون مبدأ لايقبل عقل ولا يسلم منطق انزلاقهم في مهاوي الضلالة والانحلال ولا يتصور تزحلقهم في أعصابهم وقوة إيمانهم فهم لا شك خير رجال لخير نبي ، فلم يعرف أن أتباعاً احاطوا نبياً من الأنبياء أو رسولاً من الرسل كإحاطة أتباع محمد عليه الصلاة والسلام لمحمد ، فهم بايعوه على الموت قبل الحياة وعلى الجهاد والصبر بلا سأم أو ضجر ولا خوف أو وجل ، وعلى الفقر بلا غنى وعلى الرضا بلا تنزط ، وعلى السمع والطاعة بلا انشقاق وعلى السير في ركاب الدعوة بلا نفاق ، وعلى التفاني في سبيلها حتى يرفع الله أعلام نصرها في مشارق الأرض ومغاربها وحتى يصل عدلها ورخاؤها وأمنها أطراف المعمورة ويعم وجه البسيطة وأعظم شاهد على هذا ما نقله الصحابي الجليل أبو الوليد عبادة بن الصامت الانصاري الخزرجي رضي الله عنه الذي كان أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة والذي شهد مع الرسول عليه السلام المشاهد كلها قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لاننازع الأمر أهله ، وعلى

أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم : رواه البخاري ومسلم فكان مثلهم في تقرير نتائج أعمالهم كزرع أخرج فراخه وأمده بالاعانة والقوة حتى أصبح قادراً فاستقام على أصوله لاتؤثر فيهم همزات الشياطين ولا وخزات المعتدين الكافرين لأن ايمانهم ارتكز على قاعدته فامتدت جذوره الى كل شعيرة من شعيرات أجسامهم فسرى الايمان في اعضائهم مسرى الدم فترعرع ونما حتى أصبح فيهم كلاً لا يتجزأ وجوهراً لازما لايتخلى عنه ولا يتهاون فيه فهو عندهم كالروح للجسد بل هو أشد لأن الايمان هو المهذب للروح ولأن الايمان هو يبعث في الروح دواعي الخير ويستأصل منها بواعث الشر ولأن الايمان هو الذي يجعلها تحمل معاني الانسانية الكاملة وترتدي لباس الوقار والجلال والعطف واللين وتبتعد عن السطوة والقسوة وتقف عند الحد الذي رسمه لها الدين بلا تعد ولا تخط ومن هنا كان الايمان أثمن وأنفس من الروح : فروح بلا إيمان كمعدن ثمين تأكسد بعامل من عوامل الطبيعة المفسدة له فأذهب بريقه وشوه منظره إذا رآه الناظر وهو لايعرفه على حقيقته أهمله وبتوالي الزمن عليه يتآكل ذلك المعدن ويصبح أثراً بعد عين ، والروح بلا إيمان تسيطر عليها عوامل الفتنة والأذى فتقضي عليها حيناً بعد حين . ومن هنا كان لابد للنفوس من الايمان قبل كل شيء حتى إذا ماصقلها بعوامل الخير والاحسان والنبل بدا انتاجها الطيب وظهر أثرها في ميدان السعي والعمل .

ولا أريد أن أذهب بعيداً فأشرق أو أغرب في هذا المجال لأنه باب أوسع من أن يكتب وأكبر من أن يختصر وكل الذي أريد أن أقوله (إن ديناً كالاسلام تكفل الله سبحانه وتعالى بحسن كماله هو دين لايتسرب الى أحكامه النقص ولا يحتاج الى تعديل أو تنقيح لأنه قانون السماء الى الأرض ودستور الخالق الى الخلق ، وهو من صنع من

أحكم هذا الكون فهو الناموس القديم والمبدأ القويم الذي لاتبلى جدته ولا تزول معالمه بزوال زمان أو مكان ، فكل من يرى فيه الجور كان جائراً على نفسه وليس عليه ، وكل من يعتبره مكرهاً للناس لا متسامحاً فهو جاهل او متجاهل غير منصف له ، وكل من يغمزه أو يلمزه بما لا تهوى نفسه أو بما لايوافق شيطانه فهو ناقد مغرض ينقاد خلف شخصية ضعيفه لا يأتمر بأمر دعوة نبيلة ولا يبتغي أو يلتمس غاية شريفة مجيدة ولا يطمح الى مثل عليا) .

الاسلام يدعو الى تكوين مجتمع صالح

لم يقم الاسلام إلا على بناء فيه اسعاد الفرد لتكوين مجتمع صالح وما بعث الله تعالى رسول الاسلام إلا بعد أن عمّت الضلالة ، وشاعت الفاحشة وذبحت الفضيلة ، واقتنيت الرذيلة ، وقتلت النفس التي حرم قتلها ، ووئدت البنت الصغيرة بلا ذنب ولا سبب :

ويحسن بنا ونحن في هذا المقام أن نذكر أبيات من قصيدة نظمتها في مولد الرسول ﷺ تصور لنا تصويراً دقيقاً المجتمع الذي وجد فيه الرسول عليه السلام ثم تصف لنا شخصيته الفذه وما يتمتع به من مواهب وهبات وما يستحقه من ضروب التقدير والاحترام وكيف استطاع أن يجمع الايمان في قلوب الملحدين ويجعلهم يحوطونه والدعوة الاسلامية بأرواحهم وما ملكت ايمانهم :

أتى والجاهلية في ظلام ... وكل الناس في هذا سواء
يعانون الجهالة والرزايا ... فرافق في حياتهم الشقاء
أباحوا حرمة كانت حراماً ... فراحوا يعبثون بها وجاءوا

اقاموا للدماء قناة ظلم ... فكم قتل الرجال الأبرياء
وكم وقعت حوادث في أساها ... تصدع من اقامتها الحياء
وكم وقعت ضحايا قبل حلم ... بلا ذنب وعاه الأدعياء
فلا قانون يحفظهم ولكن ... تفرد في الحقوق الأقوياء

★ ★ ★

على همجية الفحشاء شبوا ... وشابوا ليس ينفعهم دواء
وعاشوا في الحياة مراض روح ... بلا روح لأن الشرك داء
فقد جعلوا إلههم هواهم ... وهم في كفرهم هذا هباء
لقد عبدوا الحجارة واستهانوا ... بأمر العقل وهو لهم بناء
أيجعل عاقل تمراً إلهاً ... وعند الجوع يأكل ما يشاء
لقد ضلت عقولهم فضلوا ... عن الهدي الصحيح وذا غباء
لقد ضلوا وما علموا بهذا ... ولكن رحمةً نزل الشفاء
فمنَّ الله بالعدنان طه ... سراجاً ساطعاً فيه اهتداء
فكان الفجر شق ظلام ليلٍ ... طويل فيه غنى الأغنياء
وأشرقت الضحى من بعد فجر ... بتشريع سما فيه القضاء
أفاق الناس من نوم عميق ... على عدل به ملىء الفضاء
على توحيد رب الناس فرداً ... توجه في القلوب الأصفياء
لقد طرحوا التمائم واستهانوا ... بأصنامٍ رماها الأتقياء
وقاموا حول طه في صفوف ... معززةٍ تسورها الاخاء
ومن أجل السلام لقد تفانوا ... بأرواحٍ تقدمها السخاء
فقامت دولة الاسلام فيهم ... على ضعفٍ يقويها البناء
نشاط واجتهاد بل سباق ... وإقدامٌ عظيم بل فناء
لقد عرفوا الجنان لهم جزاء ... فحق لهم من الله العطاء

★ ★ ★

رسول الله أنت نفخت فيهم شجاعتك التي فيها المضاء
لقد ربيت جيلاً كان فخراً واجيالاً وانت لها اللواء

فمجتمع هذه حاله لا يتركه الله سبحانه وتعالى بلا منقذ ولا مسعف يتيه في غياهب الظلمة ويهيم في متاهات وعرة لا يعرف فيها ربه ولا نفسه وقد جرت سنة الله الكريم ان يبعث النور بعد الظلام ، وأن ينزل الغيث بعد الجدب ، وبعد ان تمخضت الأيام بالحوادث والمسئوليات الجسيمة والمآسي المؤلمة من الله سبحانه وتعالى على الناس بصفوة رسله وخلاصة أصفيائه واحبائه محمد ﷺ بشيراً ونذيراً ومنقذاً ، وأنزل عليه الكتاب المنير فرسم لهم الطريق ، وانتهى بهم المطاف الى اقرار توحيد الله بالالسن والى استقراره في اعماق الصدور ؛ لان السمو النفساني والجسماني لا يكمل في انسان الا به ، ولقد جمع عليه السلام البطون والافخاذ والقبائل والشعوب تحت راية قول الله تعالى : (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) ..

ولم تكن لتقف دعوة الرسول عليه السلام عند الكلام بدون حمل الناس على اتباع الأصلح وما ينفعهم حساً ومعنى بالقول والعمل رحمة بهم ورأفة عليهم . لأن من طبيعة النفس الميل الى كل عبث ولهو والاقبال على كل شهوات البطن والفرج ، ومعنى هذا أنه كان لا بد للدعوة الاسلامية من أن تخرج من حيز المقال الى حيز الاعمال لتنقل المجتمع من التحلل الذي أجهده سنين طويلة ، وأعصر عديدة الى حياة سعيدة كريمة والى مجتمع فاضل ينفض عنه غبار الكسل ويغسل من أثوابه ادران البطالة ويطرح الخرافات التي طغت على العقلية التي من شأنها ان تنير الطريق للانسان وتوجهه نحو المثل العليا فلا يتوجه الى حجر يجعل منه اليها يعبده

ولا الى قطعة حجرية نحتها بيديه ليؤلهها وهو يعلم انها لا تضر ولا تنفع لأنها من صنع يده والصانع دائماً وأبداً أعقل واقوى من المصنوع ،ولكن الجهل في حقيقة الموجد الاول القادر الصانع المبـــدع ، والانغماس في جو مليء بالحيوانية المفترسة أعمى بصائرهم قبل ابصارهم ، لان العمى الحقيقي هو عمي البصيرة وليس عمى الباصرة كما اشار اليه تعالى (انها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) .

رسالة محمد صلى الله عليه وسلم انسانية واخلاقية

لما كان الدين الاسلامي صاحب دعوة فلا يقف مكتوف الايدي تجاه مجتمع انحرف في سلوكه الاجتماعي وضل في طريقه الديني إلا ان ينشله من ضربات الامواج التي تتقاذفه والتي اغرقت الكثير منه والتي كادت أن تقضي عليه ، لان رسالته انسانية قبل كل شيء ودعوته أخلاقية سامية ، ونظرته الى الناس نظرة عطف ورحمة وبر واحسان :

فأول دعوة دعا اليها تلك المجتمعات المتحللة : هي الدعوة الى الايمـان بالله وحده رباً وبمحمد رسولا وبالاسلام ديناً : بأسلوب فيه الوعـــد قبل الوعيد حيناً وبأسلوب فيه الوعيد قبل الوعد حيناً آخـــر : حتى اذا ما سحروا ببلاغة القرآن وفصاحته ، وأرعدوا بشدة انذاره وتبين أنه لهم الحق من عند الله آمن من آمن عن بينة قبل الهجرة وكانوا آنذاك قلة الى ان اصبحوا كثرة كاثرة بعدها لان الهجرة لم تكن الا وليدة ضغط المنحرفين في خروجهم عن جادة الحق والصواب محاولين التهديم من بنـــاء الاسلام ليعودوا الى ضلالهم القديم وزعاماتهم الفارغة الجائرة التي كانوا بواسطتها

يسفكون الدماء وينهشون الاعراض ويأكلون أمـــوال المساكين والضعفاء ويضيعون حقوق المجتمع قوة واقتداراً .

ولما كانت الزعامات رغبات محضة في الشر قام متبنوها بتشكيل عصابات ونسج مؤامرات مهمتها القضاء على الدعوة الاسلامية وصاحبها وذلك بمحو تعاليمها وبعثرة جنودها وأتباعها ، تلك المبادىء الانسانية الانسانية والاخلاقية الـــتي أطفأت نار الفتنة الـــتي اذكاها الملحدون من غير أن يفرضـــها الاسلام بدون مـــبرر ولا يرى الاسلام موجباً لاقامـــة حرب الا في حالات ثـلاث :

١) الدفاع عن العقيدة او النفس .
٢) الحفاظ على اقامة العدل ودفع الظلم .
٣) القيام بارساء سفينة الامن والاستقرار .

وهذا كله من أجل ان ينعم الناس بحيـاة سعيدة ويسود الهـــدوء ويستقر السلام في أطراف الجزيرة العربية وفي كل الاقطار الاخرى فيستعمل كل انسان حقه برغبة دون رهبة وبجرأة دون خشية وباقدام دون حذر ، ذلك لان استعمال الحريات الممنوحة للانسان في حقوقه المصونة له في الاسلام أمر طبيعي لا يختلف فيه اثنان ، وتعليل ذلك هو أن مهمة الاسلام تكوين حضارة روحية ومادية شريطة ان لا تطغى المادة على الروح فتفقد الرحمة من القلوب والشعور الحي في الوجدان ولكن لكي تكون القيادة لـــلروح والمادة تبع لها وعلى هذا المبدأ نشأ محمد ﷺ وله دعا ولذلك كان متسماً بأكمل مظاهر العفة الروحية والجسدية فلم تكن زعامته مادية ولا نبوته استغلاليه فلقد عاش مسكيناً . ومات مسكيناً . وهو الذي كان يدعو ربه لاستحسانه ذلك بما اثر عنه (اللهم احيني مسكيناً . وأمتني مسكينـاً . واحشرني في زمرة المساكين) وكيف لا يسجل له ذلك بمداد من ذهب ونور وهو

الذي عرض عليه ربه بواسطة جبريل ان تكون له جبال مكة ذهبا فأبى فتغنى بذلك العالم كله بفلاسفته وعلمائه وشعرائه وخطبائه ولقد وفق الشاعر وأجاد عندما وصفه في قوله :

جاءت له الدنيا فأعرض زاهداً ... في عفة بالنفس كانت منبعاً
لم يرض مكة جوهراً فلأنه ... يبغي من الاخرى المكان الارفعا
ماجر أثواب الحرير وما مشى ... يختال بين الناس حتى يفزعا
هذا ولم يظهر طوال حياته ... بالتاج من فوق الجبين مرصعا
من ألبس الدنيا السعادة حلة ... من بعد ما شقيت وصارت مرتعا
فبدت بثوب ناصع ومطرز ... فضفاضة لبس القميص مرقعا
وهو الذي لو شاء نالت كفه ... المن والسلوى اليه لأسرعا
فالله قد اعطاه تكريماً له ... كل الذي فوق البسيطة اجمعا
لم يبغها ملكاً عضوداً بل دعا ... كل الخلائق لا تكونوا امعا
لاتهملوا عمل الفضيلة واسمعوا ... لله لا لسواه أفضل من دعا

بهذه الدعوة المترفعة عن الغلو والعلو المادي وبتلك الخصال الحميدة والفعال السديدة كانت تسير مواكب الرسول عليه السلام متقدمة في مضمار رسالتها تدعو الى اسعاد البشرية وتدفن كل حرب تشن في مهدها بالطرق الدبلوماسية السلمية حقناً للدماء وحبا في استقرار الحياة وانتشار الامن واقامة العدل .

والتاريخ نقل الينا كثيرا وكثيراً من الانباء والروايات والحوادث مايؤيد هذا الاتجاه . وليس احسن من القرآن الكريم في اثبات هذه الروح في الرسول ﷺ مبينا السبب الوحيد في ارساله وقد حصر بيان ذلك السبب بأداة من أدوات الحصر فقال (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وفي لفظ هذه الرحمه معاني جميع الرحمات الشاملة للدين والدنيا

والآخرة ، ولول رحمة تجلت فيه عليه الصلاة والسلام : العطف . وثانيها: الصبر . وثانيها : الدعاء . فكان من حقه عليه السلام أن يعطف عليهم لانه رحمة لهم وفي معنى الرحمة فيه من العطف ما فيه ، وكان من حقه عليه السلام ان يصبر عليهم لأنهم جهلة ، ومن أراد ان يرحم فعليه ان يصبر ، وكان من حقه عليه السلام ان يدعو لهم بعد مطاردتهم له وايذائهم اياه لأن الرحمة أعم واشمل من أن تقبل التشفي او الانتقام فهو النعمة العظمى والرحمة الكبرى فانه كان يتنقل على قدميه من بيت الى بيت ومن بلد الى بلد ليبلغ رسالة ربه وليدخل نور العقيدة الى القلوب فتهتدي في ظلمات الكفر والتهور الخلقي والانساني ، فيلاقي كل اهانة ويتقبل كل مهانة لأنه رحمة ، ولأنه شاهد ومبشر ونذير وداع الى الله باذنه وسراج منير : فهاهم أهل مكة يشهدون برحمته وهم القساة العتاة الطغاة ويعترفون بتسامحه وبلين جانبه : ويهللون ويكبرون لدعوته ويستسلمون لقيادته الحكيمة الرشيدة ويصرحون بأخوتهم له يوم عاد الى مكة بعد ان اخرجوه منها عاد منتصراً لا غازياً ولا عاتياً ولا باغياً : ولكن عاد وهو يدفع كيداً لحق به الى المدينة بعد خروجه من مكة فلم يشعروا بنبله في مغادرته وطنه بل زادهم ذلك العمل السلمي المتواضع في بادىء الامر ضغينة وحقدا : فأرسلوا الغزو تلو الغزو الى اطراف المدينة لأن عداءهم عن حسد وكل العداوات قد يرجى ازالتها الا عداوة من عاداك عن حسد : ان العداء الذى كانوا يحملونه في قلوبهم عداء مذهبي قبلي فاضطر الرسول ان يدفع أذىً وجه اليه والى أصحابه فقابل الغزو بالغزو في بدر وأحد وغيرهما من المواقع المشهودة وما زال ينتقل من نصر الى نصر حتى عاد الى وطنه الاول مكة مسترداً لا غازياً : وهنا تتجلى رحمة الرسول عليه السلام في

قوم أخرجوه من بيته ووطنه واعدوا كل عدة ليقتلوه ويبتوا كل شر له وتطاولوا عليه بلسان لا نظافة فيه ثم يقف عليه الصلاة والسلام في باب الكعبة المشرفة ووقفت أمامه عصابات البغي والاجرام ، والقتل والتشريد كأنهم فوق رءوسهم الطير فيقول لهم : ماظنكم أني فاعل بكم ؟. قالوا أخ كريم وابن أخ كريم : فقال عليه السلام : (إذهبوا فأنتم الطلقاء) فالرحمة لاتكون رحمة إلا في مثل هذه المواطن والرحيم لا يكون رحيماً إلا إذا استعمل رحمته في مثل هذه المواقف ، والعفو لا يكون عفواً إلا عند المقدرة .

وإن مظاهر رحمته عليه السلام لتتجلى في دعائه لمن كانوا يؤذونه ولمن كانوا يقابلون خيره بشرهم ، ومنهم أهل الطائف الذين قابلوا درر دعوته المرصوفة بحجارة مرصوصة قاصدين إيذاءه وإهانته وإثارة غضبه لعله يقلع عن دعوته ويغير اتجاهه فلا يتبنى رسالة الحق والسلام فيصبح واحداً منهم ، يخوض مع الخائضين ، وينتهك الحرمات مع المنتهكين ، ويأكل حقوق الضعفاء والمساكين مع الآكلين ، ولكنه عليه الصلاة والسلام لم يكن ذلك الضعيف في ربه ، ولا الملتوي في مبدئه ، ولا المعوج في سلوكه ، حتى يتخلى عن أداء واجبه في الدعوة وتبليغ الرسالة ، ولم يكن ذلك اللجوج الجاهل ولا الأحمق المتعالي ولا بذي صرعة : فلقد أبان وكشف في كل مواقفه عن إيمان قوي وعقلية ضخمة وشخصية جبارة في الصبر والأناة والرفق ، فلم تجتمع هذه الصفات لنبي قبله ، فهو الذي لم يقف من قومه موقف اليائس الضجر ، فلم يقل ماقاله سيدنا نوح عليه السلام لقومه بعد أن ملهم واستنفذ طاقاته فيهم الى أن بلغ حد الياس داعياً عليهم ، ناعياً سوء أفعالهم وأحوالهم ، فنقل لنا كتاب الله

حكايته معهم ، وأقواله لهم في سورة « نوح » (إنا أرسلنا نوحاً الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ، قال ياقوم إني لكم نذير مبين) الى قوله (قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ، فلم يزدهم دعائي إلا فراراً ، وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واستكبروا استكباراً ثم إني دعوتهم جهاراً ، ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا ، فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً) فلما أعرضوا عن الحق وأهملوا نداءه فيهم المدعم بالحجة والواقع (قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً ، ومكروا مكراً كُباراً ، وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن(١) وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً ، وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً ، مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً) ثم كان موقفه الأخير منهم اليأس بعد أن استنفذ طاقاته في سبيل إصلاحهم فدعا عليهم بالدمار والخراب والانقراض (وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) .

ولكن الرسول عليه السلام لم يدع عليهم بل دعى لهم بالاصلاح والصلاح والسداد ، فكان يقول (اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون) ولم يقطع رجاءه من الله في أن يخرج من أصلابهم ذراري يعبدون الله وفي هذا الموضع نسجل دعاءه المأثور بمداد من ذهب ونور يوم رجمه أهل الطائف بالحجارة كما أسلفنا ، قال ﷺ (اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين الى من تكلني ، الى بعيد يتجهمني أو الى عدو ملكته أمري ؟؟ ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت

(١) وداً ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا هي أسماء أصنام كان يعبدها الأولون .

به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل عليّ غضبك أو ينزل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك ، فأرسل له ربه تبارك وتعالى اليه ملك الجبال يستأذنه أن يطبق الأخشبين على أهل مكة (وهما جبلاها اللذان هي بينهما) فقال ﷺ (بل استأن بهم ، لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده ، لا يشرك به شيئاً) .

ومن ضوء هذه الكوة نستطيع أن نفهم ولو اجمالاً معنى قوله تعالى في رسوله (وما أرسلناك الا رحمةً للعالمين) ومعنى قوله تعالى فيه أيضاً (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا ، وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيرا ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيرا ، ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) .

في هذا الموطن يجدر بالإنسانية على اختلاف جنسياتها وتفاوت طبقاتها وعلى كثرة مذاهبها أن تطأطىء الرأس وتخي الظهر اجلالاً أمام هذا الرسول الكريم الذي جاءنا من السماء ببذور لم تكن موجودةً في الأرض فأنبتت نباتاً طيباً فغيرت وجه التاريخ المظلم بوجة بسام مشرق ووجهت العوالم توجيهاً سليماً حكيماً نحو التعايش السلمي الأصيل الذي ينادي به العالم الحر من أحياء هذا القرن ويعمل على تعميم مبادئه ليتخلص من المستبدين الظالمين كما تخلص منذ أربع عشر قرناً أقوام كانوا أضعف قوة وأرق حالاً من شعوب اليوم التي تريد أن تخلص من المستبدين والطغاة .

مقارنة ... وعلاج ... وصحوة

وما أشبه هذه التكتلات القائمة في كل من الشرق والغرب بتلك

التكتلات : وما أقرب هذه الأيام من تلك الأيام . فهاهي أمريكا الرأسمالية وانكلترا العجوز : وفرنسا الماجنة : يساومون على بيع الشعوب وشرائها ويعملون بكل مابوسعهم على أن يسترقوا الأطهار من الناس ، وقد ولدوا أحراراً : إنه لن يغيب على عقلاء المسلمين وأذكيائهم وساستهم وقياداتهم ماأعده العدو لتحطيم الكيان الاسلامي ، واضاعة تراثه ، وابطال أحكامه : وذلك بمناداته بفصل الدولة عن الدين وهو وإن نادى بذلك أيام تسلط الكنيسة في العصور الوسطى على الدولة فانها كانت تستعمر النفوس وتستغل القلوب بترهات وسفاسف أعمال ، أما الآن فهو عمل حق اريد به باطلاً بالنسبة الى الدين الاسلامي الحنيف ويشهد على ذلك إثارة الطائفية من حين الى حين ، ومن عهد الى عهد ، حتى أنها تجلت في أبرز مواقفها أيام صلاح الدين الأيوبي وأيام الدولة العثمانية ولا سيما في أيامها الأخيرة ، وأما في عهودنا الحاضرة فقد رأينا ماجلبته أمريكا وانكلترا الى فلسطين من اليهود المشردين لتقيما لهم دولة وليس حباً في اليهود وإنما هو كره في المسلمين وإغاظة لهم ، وليمكنوهم من غرس بذور الافساد في البلاد الاسلامية الأخرى التي أخذت تحمل مشاعل الحرية وتقفز بها نحو المستقبل الحافل المضيء بالأمنيات الغاليات الخالدات وليقضوا على العملاق المسلم الذي بدأ يستيقظ ويأخذ باسباب النهضة التحررية بعد سبات عميق واسترسال طويل كانت فيه الشعوب في حالة نوم لاشعور فيها ولا هي ميتة أو أشبه ماتكون بجسم خدر من أخمص قدميه الى منتهى رأسه فكانت عيناه تنظر ولكن لايميز بين الموجودات ولا يكاد يفرق بين الكائن الحقيقي والخيالي وكان العقل موجوداً ولكنه معطل وملبد بغيوم فحجبت عنه التفكير الصحيح وإن كان بعض التفكير فهو مسمم بنظريات المستعمرين وموجه حسب الأهداف الموضوعة من قبلهم لقتل كل فكرة حرة في مهدها لتبقى لهم

حال السيطرة والنفوذ في أوطان الخيرات والثروات الطبيعية التي لا مثيل لها في أي مكان آخر .

وهكذا ذاقت شعوبنا مرارة التجزئة والتمزيق من المستعمرين وصبرت على ضغطهم وتحملت كل ماهنالك من أثقال وأرزاء الى أن بدأت الصحوة تتفاعل فيها وهي تقوم من عثرة وتقع في أخرى ، وتتخلص من عقبة ثم تلتقي بثانية .

ولا يزال العالمان الاسلامي والعربي على مفترق الطرق في الشرق ، وإنهما لبحاجة ماسة الى نهضة اسلامية أصيلة عارمة : الى نهضة لا تعرف إلا القرآن دستوراً ، والاسلام ديناً : نهضة مؤمنة تبعث من صميم الشعب المؤمن بربه : تنقض على مآسيه ، وتوقظ شعوره ، وتعرفه معنى الواجب في المسئولية : نهضة تقضي على الاباحية الفردية والمبادىء المستوردة : نهضة تحمل مشعل الضياء والنور ، لتنير الطريق امام الشعوب : أجل انها بحاجة الى ثورة ليست كالثورة الفرنسية التي قامت على الكفر ونكران العدالة الفردية والاجتماعية حيث سفكت الدماء وقتلت الابرياء واستأصلت جذور الحرية في مقصلة الجزارين : بل الى ثورة تنبع من الشعب لتصب في الشعب .

لذلك فان الثورة الفرنسية لم يكن ليتجاوب معها ولينصهر فيها الشعب وانما ثورتنا شعلة من النور السماوي الى الارض وهي مبعث التضحية والفداء في سبيل الله والشعوب المظلومة وفي سبيل الحق والواجب المقدس : ثورة تعمل على إحياء الناس جميعهم ورفع مستواهم في كل قطر وفوق كل ارض: ثورة تدعو العالم كله الى السلم : فهي الثورة التي شقت وستشق طريق الاستقامة في الحياة لتكون الكوكب الساري في ظلمات النزاع والقتال بين كتلتين تعملان على اشعال نار حرب عالمية ثالثة زعمت كل واحدة

منهما بأنها هي صاحبة المبدأ الصحيح العادل الذي يجب ان يسود في العالم .

وحقيقة الواقع انهما تحاولان عبثاً اغراء الشعوب بشتى الوسائل المادية والاساليب الكلامية ولم نجد حتى الآن منهما الدليل الساطع على حسن النية بالنسبة للشعوب قاطبة وانما كل الذي نراه هي عصا القوة وتسلط النفوذ في فرض المبادىء التي تتبناها احدى الكتلتين ، فاذا لم يستجب العالم لهما فهما يهددانه بالويل والدمار وذلك باستعمال القنابل الذرية المفنية ذراتها للنوع البشري الانساني . وهل من العدالة في شيء أن يموت الملايين من البشر نتيجة تصرفات فردية وضعت مبادىء لم تراع فيها امكانيات الشعوب الاخرى في كل شيء ؟ أم من العداله أن يحرم الناس جميعهم من ممارسة ما يعتقدون وذلك بفرض مذهب إحدى الكتلتين ؟ والانسان خلق حراً وهو مسئول عن نفسه في اتخاذ المبدأ الذي يصطفيه ويرى فيه صلاحه وإصلاحه : وما أجمل قول الله تعالى (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

الفرق بين المبدأ في الاسلام والكتل الأخرى

لقد فهمنا مما ذكرنا سالفاً ان الاسلام بني مبدأه على الروح والمادة على أن تكون المادة تبعاً للروح وكذلك فهمنا مما سلف أن الاسلام يلتقي مع الدعوات السماوية الاخرى الا ان الله نسخها وذلك باختياره للاسلام الذي ختم به الشرائع كلها .

أما الكتلتان العالميتان في أيامنا فلا تبنيان مبدأهما على أساس من الروح والمادة بل على أسس مادية محضة .

فالشرق لايعترف بواقع الاديان التي تسمو بالروح وتهذبها وتجعلها إنسانية بالمعنى الصحيح فيكون مبدؤه كالانسان بلا روح فهو عديم النفع والفائدة:

فالانسان بلا دين يقومه ويهذبه ويصقل نفسيته بالخوف والرجاء كالحيوان المفترس يبطش بكل ما يصادفه .

ونحن نعرف الشرق أنه بنى مبدأه على اساس علماني مادي اشتراكي ونحن نقول في معرض الرد كيف تكون اشتراكية بلا عدل؟ والعدل لا يكون الا باتباع دين سماوي ارتضاه خالق الناس للناس . لان الانسان في طبعه ميال الى الطمع والزيادة في كل شيء . فأين لهذا الشرق ان يساوي بين الناس كافة على وجه فيه ممارسة الحرية التامة في القدرات والطاقات .

وأما الغرب فانه استطاع ان يتخلص من كل دين عملياً فقضى على الكنيسة قضاء سياسياً وأبقى لها طقوسها الشكلية . ولم يتعرض لعقائدها الا في فترة معينة وهي فترة الانتقال : وعندما تم له فصل الكنيسة عن الدولة منح الكنيسة حق القيام بطقوسها الدينية الشكلية فهو يعترف بها شكلا لا عملا ويعتبرها قائمة بالجسد دون الروح وهو مع طليه نفسه باقراره الاديان لم يبرهن في كل يوم إلا عن خديعة ومكر في حق العدالة والحرية الانسانية .

ومن هنا وهناك عرفنا مجرى كل من الشرق والغرب في ادعاءات خيالية لا ترتكز على واقع ثابت ولا نظم ديمقراطية ثابتة تجتمع عليها الانسانية المهذبة وغير المهذبة .

أما ثورة الاصلاح في الاسلام فقد عمدت الى ايجاد كتلة تخفف من حدة التغالي في المبادىء والافكار والاتجاهات عند التكتل في العالم القديم والحديث بنوعيه الرأسمالي والاشتراكي . ودعت العالمين الى مبدأ سلمي ديموقراطي وخلقي . كما دعت الى ترسيخ المثل العليا في كل الشعوب ، واعتبرت كل ذلك ، الركيزة في تحقيق حياة فضلى لمجتمع فاضل .

ولقد صيغت تلك المبادىء الاسلامية بلغة عربية فصحى . وهي لغة القرآن . فقامت دولة الاسلام مسورة ومحوطة برعاية وعناية دولة العرب ولذلك اعتبرت العروبة وعاء الاسلام وللعروبة كل الفخر بالاسلام : طالما شرفها بمبادئه البنائة وتعاليمه السمحه : فارتضاها ان تكون درعه الحصين. وهو الذي ابرزها الى عالم الوجود بثوب جديد قشيب كما وأكسبها لوناً من القداسة والتعظيم في نظر الأمم والشعوب بعد أن كانت توسم بالوحشية والهمجية والعادات المستقبحة .

واننا لنؤيد قولنا هذا بأقوى دليل واقع : وهو أن القرآن نزل بلغتها وأن هذه الخصوصية أثارت ضغينة الناس من غير العرب والمسلمين فراحوا يكيدون للعرب والاسلام ويطعنون بهما من خلف وفي ظلمة من ليل . فتارة يجردون الاسلام عن العرب : وتارة اخرى ينسبون اليهما ما ليس فيهما ولا منهما حتى اوقعوا العرب في فرقة من أمر واقعهم ولغتهم وأنسابهم نتجت عن ذلك مذاهب ومفاهيم لا حصر لعدها وهي تتجلى واضحة في تعريف العروبة والاسلام عند المفكرين والكتاب .

العرب حملة الاسلام ولغتهم لغة القرآن

عندما يذكر المسلمون أصولهم فينسبونها الى أمة العرب فليس معنى هذا انهم يتجردون عن اسلامهم او يجعلونه تبعاً لعروبتهم وعندما يجهر المسلمون بان العروبة وعاء الاسلام فما من شك انهم يقرون حقيقتين في وقت واحد .

أما الحقيقة الاولى : فهي تتجلى في قول الله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) فلو لم تعرف كل أمة نسبتها لما تم التعارف المقصود في الآية الكريمة وهذه سنة من سنن

الله تعالى : فالمسلمون اذا هم أهملوا نسبتهم في الوجود فمعنى ذلك أنهم ينكرون أصلهم كمن يقر بأن لا أب له وأبوه موجود ومعروف .

وأما الحقيقة الثانية : فهي تبدو لنا ظاهرة في قوله تعالى (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) حيث يستفاد من هذا النص أن اللغة العربيه هي لغه الاسلام قبل كل شيء وهي لغة العقل والمنطق والحجة والبيان في التعبير وان أهلها هم حملة هذه الرسالة الخالدة وهم أقدر من غيرهم على حملها وذلك بدليل توجيه الخطاب اليهم في قوله (لعلكم تعقلون).

ولا أعتقد أنه يكون في العالم العربي والاسلامي من يتفاخر بعروبته أكثر من دينه لأنه وان تفاخر العربي المسلم بعروبته فهو يفتخر أولاً وآخراً باسلامه قبل كل شيء إذ لولا الاسلام لما كان للعرب أدنى قيمة ولولا الاسلام لما ابرز التاريخ أمة العرب في أية فضيلة من الفضائل . وعلى هذا فالذين يعتقدون أن في ذكر العروبة الى جانب الاسلام خروج عن تعاليم الاسلام والقرآن فهم واهمون جداً بل متوجسون ومتهوسون واليك أيها الاخ الكريم قصيدة بعنوان :

دولة العرب والاسلام

أثبتها المؤلف في شعره الوطني والاسلامي : فهي كفيلة باقناعك على صحة مبدأ الدعوة الى الاسلام والعروبة معاً وأنهما لاينفصمان عن بعضهما :

عاشت شعوب العرب والاسلام ... في ظل أوطان لها بسلام
عاشت وعاش النصر في أرجائها ... لتصون حق العالم المترامي
عاشت لأن العدل في سلطانها ... للعالمين موزع بنظام
يادولة الاسلام والعرب التي ... ظهرت لتنشر نورها بظلام

سجلت في التاريخ كل عظيمة فاعدت للدنيا الرجاء انامي

. . .

أنقذت أهل الجهل من ظلماتهم من بعد ما عكفوا على الآثام
وحضنت أهل الفقر في بأسائهم ووقفت في وجه الظلوم تحامي
ونشرت في كل الربوع معالماً جلت عن التزييف في هندام

. . .

حقاً بفتحك قام ذكر طيب في كل نفس مشرق متسامي
ولذا استتب الأمر في حلقاته من دون ظلم أو قتال دامي
لم يذكر التاريخ في صفحاته عن مثل فعل الغرب في الأيام

. . .

قالوا التعصب فيك قام جميعه من أجل دين الله في الأقوام
قلنا انظروا فالغرب قام بناره من أجل ظلم الناس والاجرام
من أجل حرمان البرايا حقهم في هذه الدنيا بدون كلام
من أجل ما هو يدعيه لنفسه من أجل فرض الشك والأوهام

. . .

أين الظلام من السلام وإنما بين الفريقين الخضم الطامي
فالشرق بالاسلام يعمر كله مصر الحجاز وكل أرض الشام
دول على عربية قامت وقد أخذت تخط المجد في إقدام
دول لها دستورها وكيانها وسياسة قامت على أقدام
لا فرق بين كبيرها وصغيرها فالكل في الميدان كالصمصام
نهضت على الحق المبين لغاية شرفت فعاشت دولة الاسلام

. . .

فما أحرانا نحن العرب المسلمين خاصة أن نتعقل في قبول الآراء الهدامة لوحدتنا والمضيعة لقيمنا ، والماحية لتاريخ أمتنا المجيد الحافل بالفضائل والمآثر ، ألم يأن للمسلمين أعرباً كانوا أم غير عرب أن يصحوا من سكرتهم ليفتحوا عيونهم على إشراقة الشمس الأصيل من بعد نوم عميق وسبات طويل ورقدة مشلة وليشغلوا عقولهم في ميادين العمل والانتاج والابداع العلمي والعملي .

أجل لقد آن الآوان بأن تعود الأرواح الى الأبدان والتأملات الى العقول وتنبض العروق فيها بالسعي والاقدام فتسير بخطى سريعة الى الأمام كما يسري التيار الكهربائي في الأسلاك ، بل وآن الأوان لأن يدفع العرب المسلمون وغيرهم كل ماهنالك من مؤامرات دولية وموضعية تقضي على كيانهم الديني والاجتماعي والجغرافي والتاريخي ، وتقضي على كل معاني الوحدة والقوة فيهم ، بل علينا أن نواجه الخطر الزاحف من قبل الأعداء في العقيدة والحرية .

فنحن أمة عربية لنا ديننا وهو الاسلام ولنا رسول وهو محمد بن عبد الله عليه السلام ولنا قبلتنا وهي الكعبة المشرفة : وإلهنا واحد لا شريك له وهو الله رب العالمين الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

فأمة هذه وجهتها لاتتدنى الى مستوى مادي محض ولا ترتفع الى مستوى روحي يقطعها عن الحياة وعن السعي والدأب فى مجالات البناء النافع الصالح على مختلف اتجاهاته ، بل تمضي لتشق طريقها وهي تجمع بين الفضيلتين فضيلة التسامي بالروح وفضيلة الطموح الى مايوصل الى أسباب القوة والعزة والكرامة والى ايصال مادة الخام في كل مستلزمات الحياة

بقصد النفع والاصلاح الى كل شعوب الأرض والى تعمير ديارهم ودفع عجلة الانسانية نحو رقي مجد خير وليس لتخريب معالمها وتهديد ساكنيها وتشريد الآمنين فيها ، وانما لتوطيد دعائم الأمن والسلام في كل مكان .

هذه هي مبادئنا التي تدعو اليهـــا ثورة الاسلام ذلك الدين القيم الذي لا يفرض القتال الا عند الاعتداء الموجه .

دوافع القتال والسلم في الاسلام

قال الله تعالى (وقاتلوا في سبيـل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتـــلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتـــل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيـه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ، فان انتهوا فان الله غفور رحيم ، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهو فلا عدوان إلا على الظالمين ، الشهر الحرام بالشهر الحـرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) .

فاذا ما قرأ أي إنسان كان مبدؤه لأول وهلة هذه الآيات الكريمة فانه بلا شك ولا ريب يؤمن كل الايمان إن كان منصفاً بعدالة الاسلام وحسن موقفه كدين عالمي سمـاوي ويدرك كل الادراك ما لهذا الدين من ميزات في تشريعه العام وبوجه خاص في القتال .

فهو أي الاسلام لا يحاول مهاجمة القوي لتوسيع نفوذه ولا يغزو الضعيف تهاونا في حقه واحتقاراً له بل ولا رغبة في الاستيلاء عليه ليستعمره أو يستثمره ، وإنما يقاتل من يقاتلونه ليرد الطغيان الي وكره بحيث يبعد

صاحبه عن التعدي والتمادي في حقوق الآخرين ، وليخرج الناس من الظلمات الى النور .

وهذا المعنى الدقيق في جوهره السامي يتجلى في قوله تعالى (ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين) إذ يكفي رد الظلم لمن لا يبغي الظلم من غير مغالاة في رده ولا مبالغة في الأذية وإنك لتلمس هذا أيضاً في قوله (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) فلقد رتب إخراج المؤمنين للكافرين بعد إخراج الكافرين للمؤمنين . واعتبر عمل الكافرين في المؤمنين فتنة أرادوا منها بعثرة الصفوف وتفكيك أواصر الوحدة فيما بين المسلم والمسلم ، وهذا العمل أشد فتكاً من القتل بل هو أبلغ ضرراً وأخطر عملاً وأسوأ نتيجة ، لأن القتل قد يؤدي بابادة أشخاص معدودين ولكن الفتنة قد تؤدي بالدعوة الى الضياع وبالمؤمنين الى الهلاك ، ولذا قال بعد ذلك (والفتنة أشد من القتل) .

ولقد نهى الله جل جلاله في هذه الآيات المؤمنين عن القتال بصورة مخصوصة في أمكنة معينة لحرمتها في قدسيتها وطهارة أرضها ، فقال : (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) لأن هذا المكان لم يعده الله تعالى لاشعال نار الضغائن فيه وسفك الدماء وانتهاك الحرمات وإنما أعده لاخماد نار الضغائن والتئام القلوب وجمع الصفوف وذلك في توجههم الى تلك الجهة المعلومة المطهرة في أرض معينة يعبدون الله كالجسم الواحد الناطق بلسان واحد على أنهم جميعاً كالبنيان المرصوص .

ثم يقول سبحانه (فان قاتلوكم فاقتلوهم فيه) لأن الدفاع عن النفس واجب مقدس وليته دفاع عن النفس فقط وإنما هو دفاع عن المبادىء الرفيعة التي من حقها ومن حق البشرية

ذاتها أن تحيا رحمة بها لأنها معذبة بسبب ظلامها ومستغليها .

ونحن نعلم وكل إنسان حر يعلم أن الدفاع عن مبادىء الحق والعدالة والفضيلة مقدم على دفاع النفس ، اذ النفس مهما دامت وبقيت فانها لا تخلد في الوجود وفترتها قصيرة مهما اتسعت فهي تنتهي في وقت معلوم عند الله وزمن محدود في الدنيا .

وأما المبادىء فانها تبقى ما بقيت الحياة تتوارثها الأجيال وتعيها العقول فتبث فيها شعاع الخير والأمل وروح الخلود في العقيدة والسعي والعمل .

ثم انظر بعد هـذا كله الى انسانية الاسلام في حسن معاملته وكريم رعايته لحرمة الانسان ولو كان كافراً (فان انتهوا فان الله غفور رحيم) .

ألا يستحق هذا الآله العظيم أن تبسل النفوس دفاعاً عن شريعته السمحة .؟ ألا يستحق أن تجاب دعوته وتنفذ أحكامه .؟ ألا يستحق هذا الاله الكبير أن يتفانى الخلق في عبادته ويتسابقوا الى التماس رحمته ورضوانه وبره وإحسانه .؟

لو تأمل الجاحدون قليلاً ، ولو أعادوا الى أدمغتهم عقولهم وتأملوا في أمر الله تعالى المؤمنين في عـدم التطاول من قبلهم عليهم ولعطف الله واحسانه لهم لوجب في حقهم الايمان له والسجود منهم شكراً لرحمته بهم حتى يقوم الناس لرب العالمين .

ولكن قتل الانسان ما أكفره ، إنه تعود أن يسيء لمن أحسن اليه ، ويحسن لمن أساء له ، وفي هذا العمل أشد مرارة النكران والظلم في نفس الوقت ، ثم انظر الى تقرير الله العادل الذي يؤكد كل ما سقناه

بصريح النص (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ثم يؤكد للمؤمنين هذه المعاني التي يجب أن يتمسكوا بها وذلك بتوصيته لهم بالتقوى لأن التقوى تمنعهم عن المخالفة وتدعوهم الى الاستقامة وتأخذهم نحو الصدق والعدل في عدم التجني والظلم قال تعالى (واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) فكأن الله يقول لهم إني مع المتقين ولو كانوا قلة ولا قوة كافية لديهم واني على الجائرين ولو كانوا كثرة أولي قوة .

ولكي يفهم أعداء الاسلام الذين يشوهون سمعته ويزيفون تعاليمه السمحة العادلة ويغمسون فيه بالظلام نسوق لهم الآيات التالية لتفضح زيفهم وتكشف خداعهم ونفاقهم ومراءهم للناس من أن الاسلام لم يكن أسطورة حتى يعبث بـه ولم يكن وحي بغي أو دعي أنزل على ثعالب الأرض وسباعها ودوابها وهوامها وإنما هو قرآن كريم أنزل على أشرف إنسان وأكرم مخلوق قاد من النوع البشري أسماه روحاً وأقواه ايماناً وجسماً وحسبنا دليلاً ناطقاً صادقاً على صحة ما نقول وصف الله تعالى للمؤمنين في حسن معاملتهم ولين جانبهم وكبير انسانيتهم ، فلم يكونوا كأعدائهم الكافرين في الظلم والعدوان والغلظة في التسلط بدون حق (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ، الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) .

فعندما كان المسلمون قلة في أول أمر الدعوة تكالب الملحدون

على قتال المؤمنين وجمعوا كل الجموع وحشدوا كل الحشود لطعن تلك الفئة القليلة في مكة المكرمة ولقد تحمل الرسول عليه السلام وأصحابه أذىً كبيراً دون أن يقابلوهم بالمثل أو يمكروا بهم وكان جواب الرسول عليه السلام لأصحابه إذا شكوا اليه ماينزله الأعداء من أنواع العذاب والبلاء فيهم (اصبروا فاني لم أؤمر بالقتال) الى أن تمت الهجرة ولم يقابلوا العدوان بمثله بل صبروا ثم هاجروا بعد أن أذن الله لرسوله بالهجرة .

ولو أنهم بادلوا المثل بالمثل لاعتبر منهم ذلك دفاعاً عن النفس والعقيدة معاً ، ولكن تجنبهم لذلك يعني أن المسلمين لايبغون إشعال نار القتال حتى في صدهم للعدوان لأنهم أهل سلام ووئام ، وطالما لم يكن غرضهم في هذه الحياة أن يترفوا أو أن يؤثروا أنفسهم على غيرهم ليصلوا الى زعامات وسيادات شخصية فانهم لم يفكروا قط بهذا الأمر بل هم على عكس ذلك : فهم تبنوا دعوة إصلاحية تحمل بين طياتها الخير والاسعاد لكل الناس ولذا تكفلتها يد السماء فرعتها وأنمتها وأيدتها ، وطالما الدعوة لله وليست لأشخاص فما من شك ولا ريب أنها منتشرة ومنتصرة ، وما من شك أن من تبناها من المؤمنين عرباً كانوا أم غير عرب حق لهم أن ينتصروا لله وليس لأنفسهم وهذا ما يعرف عند أصحاب المبادىء بتفاني الاتباع في سبيل تحقيق المبدأ .

وأثبت الله صدقهم في دفاعهم عن دينهم قبل دفاعهم عن أنفسهم وتمسكهم بمبدأ الاسلام الخير ولذا تكفل بنصرهم بعد اخراجهم من ديارهم فقال (وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) لا لذنب اقترفوه ولا لجرم ارتكبوه ولكن لأنهم كانوا يقولون ربنا الله ولا نعبد سواه فاستحقوا من اعداء الحق كل أنواع التشريد والتنكيل فما كان منهم الا أن دفعوا

السيئة بالحسنة والزجر بالصبر : (ولولا دفع الله الناس « بالحسنى » بعضهم ببعض لهدمت صوامع(١) وبيع (٢) وصلوات(٣) ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) .

ويجب أن يُعلم أن هذه أول آية دعت الى قتال المشركين وعدم مهادنتهم بعد الذي بيناه من الاسباب ، وصبر المؤمنين على غلظة المشركين وفظاظتهم ، ولقد حقق الله وعده ونصر عبده وعباده وعادوا الى مكة وطنهم ظافرين آمنين مؤمنين غيرهم غير مروعين .

وأنت ترى أيها القارىء وتلاحظ معي أن الله يحض المؤمنين على على قتال اعدائهم وذلك باعداد النصر لهم وانجاز مهمتهم وهي فتح مكة .

وهنا أدرك المسلمون جانباً هاماً من أسلوب دعوة القرآن للناس ، وهو أن النصر والتغلب لم يكونا بالتقتيل والتدمير والوحشية السافرة ، وانما يكون النصر بعد أن يتقابل الخصمان فيتغلب أحدهما على الآخر باقامة الحجه الدامغة على صلاح مبدئه .

كما نبه الى ناحية أهم شأناً وأكبر أثراً في تنمية روح الايمان والاعتماد على الله أولاً ثم على النفس وهي أن النصر من عند الله لأن الله قوي عزيز فلا حاجة الى استعمال أساليب التخريب والتدمير في القتال وذلك في حمل الناس على ما لا يريدون قوة واقتداراً .

ثم انظر يا أخي الى وصف الله للمؤمنين (الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله

(١) الصوامع : هي مواضع عبادة الصابئين .
(٢) البيع : هي كنائس النصارى .
(٣) الصلوات : هي كنائس اليهود .

عاقبة الأمور) وهذا امتداح طيب وثناء عاطر من الله لهم في كونهم أهلاً لقيادات الناس لأنهم لا يأمرون الا بمعروف ولا ينهون الا عن منكر ويقيمون الصلاة والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي . ويؤتون الزكاة وهي حق الله تؤخذ من أموال الاغنياء لتؤدى الى الفقراء والمساكين والغارمين الخ . حيث يعيش الجميع في بحبوحة وليشعر المسلم بأنه ملزم بأخذه المسلم بدافع الايمان والاسلام لا بدافع الاكراه والاجبار . حتى اذا ما تخلف الغني المسلم عن دفع ما فرض الله عليه كان للحاكم ان يأخذ منه حق الفقير والمسكين كما كان في الصدر الاسلامي ويرغمه على دفع ما وجب عليه لان الله أوجب على الاغنياء دفع ذلك المقدار من اموالهم بقوله (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) وهذه هي اشتراكية الاسلام وتعاونيته وليست بالتسلط على اموال الناس فان ذلك يميت فيهم روح السعي والدأب على العمل وأنا كفرد أؤمن كل الايمان كما يؤمن معي الملايين من المسلمين بان تطبيق قانون الزكاة من قبل المعنيين بالامر يرفع من اقتصاديات الدولة ويقضي على آثار البؤس والشقاء ويشجع المتمولين على عمل الخير والجد في الكسب المشروع .

ولنعد الى تأييد وجهة المسلمين في قتالهم من أجل ارساء المبادىء الصالحة والدفاع عنها .

وذلك في قوله تعالى (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً) فالله سبحانه وتعالى يحرض المؤمنين على القتال في سبيل الله اولا ولانقاذ المظلومين المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حولا

ولا قوة وباتوا بين ايدي الكافرين الظالمين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها .

وهنا يبدو لك ايها المسلم جلياً حسن المبدأ في الاسلام في دعوة المؤمنين الى القتال وانك لتلحظ التسامي الكامل الى أعلى مدارج الانسانية التي خلق من أجلها الانسان في الاسلام فان المسلمين يقاتلون في سبيل الله والمستضعفين وان غيرهم من الناس يقاتلون في سبيل الشيطان والشهوة وفي سبيل الفساد والسيطرة واستعباد الامم .

تطبيق مبدأ السلام في القرآن :

ان كل مامر معنا من النصوص أدلة وبراهين قطعية على ان الاسلام لا يفرض القتال الا في ظروف خاصة ولاسباب موجبة فان روحه أبعد ما تكون عن ترويع الآمنين وتقتيل الوادعين .

فهو دائماً وأبداً يجنح الى السلام واحلال الامن والاستقرار بين الناس جميعاً ولا يحب الاعتداء .

قال تعالى في حق جماعة من المشركين اعتزلوا الفتنة فلم يقاتلوا قومهم ولم يقاتلوا المسلمين (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيل) .

فانظر الى هذه الروح السلمية كيف تتجلى في أبرز معانيها لا سيما عند القدرة .

ثم انظر الى قوله تعالى (ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويُلقوا إليكم السَلَم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم

جعلنا لكم عليهم سلطانا مبيناً .

فالذين نزلت في حقهم هذه الآية هم جماعة مخادعون من بني أسد وغطفان كانوا اذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا من المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا ليأمنوا قومهم أيضاً : ومع هذا كله فان ظهرت منهم المسالمة للمسلمين وكفوا أيديهم عنهم حلوا في أوسع رحاب والا فان الله طلب من المؤمنين ان يقتلوهم أينما وجدوهم لانهم يريدون مكراً بالاسلام والمسلمين معاً .

قال تعالى : في سورة الأنفال (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم) .

فليس اصرح من هذه الآية في الدعوة الى السلم هذا مع الحذر واليقظة واخذ الحيطة والتأكد من ان العدو سالم فسلم وكل الذي نريد ان نثبته في هذا المجال ان الاسلام لم يكن بربرياً في قتاله وانما كان انسانياً وهو اول من أوجد مبدأ السلم وتبناه بكل معانيه ولذلك فهو لا يتوانى في الذين يسالمونه اذا كانوا مخادعين وتحقق نكوثهم لايمانهم من بعد عهود قطعوها على أنفسهم ثم راحوا يطعنون في الدين كرهاً منهم له وكفراً به

قال تعالى في سورة التوبة (وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون . ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم اول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين) .

ففي الآيات حض كبير على قتال من نكثوا العهود والمواثيق وهموا باخراج الرسول مع تحميلهم مسئولية ضخمة اذا هم لم يقاتلوهم وذلك بخشيتهم

لليهود المماثلين اكثر من خشيتهم لله .

ولكن عندما يبقى المعاهدون ثابتين على عهودهم فان الاسلام يبقى على مسالمته لهم وعنايته بهم .

ومما يؤيد الروح السلمية في القرآن قوله تعالى في سورة الممتحنة (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون) .

فان القارىء لا يكاد ينصرف نظره عن هذه الآيات الكريمة حتى يخرج بنتيجة الايجاب التي دعا اليها الاسلام في تبنيه لدعوة السلم ، فالله يطلب من المؤمنين أن يبروا من الكافرين الذين يسالمونهم فلم يقاتلوهم في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم وانما ينهاهم عن الذين أصروا على قتالهم في الدين وظاهروا على اخراجهم من ديارهم فأولئك لا تجوز موالاتهم ولا توليتهم وتجب الحيطة منهم .

وأخيراً فان قوله تعالى في تدعيم السلام (فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) لا يبقي أمام المنكرين أي مستند لهم .

اهتمام القرآن بالمعاهدات ورعايته للعهود والمواثيق

إن الاسلام اسبق الاديان جميعها الى ايجاد ما يسمى بالمعاهدات واحترام العهود والمواثيق وصولاً منه لحلول مرضية تبعد شبح الحرب وتسلط نارها عن الناس وتقلل من خطرها فاسمع الى قوله تعالى في اول سورة المائدة حيث يقول (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) والى قوله في سورة النمل (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد

توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ماتفعلون ، ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاساً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة) .

إن هذه الآيات الكريمة وإن كانت بجملتها تدعو الى رعاية العهود والمواثيق العامة على اختلاف أشكالها ، إلا أنها تحدد نوع المسئوليه في نقض العهد بعد تأكيده بالأيمان ، فلا يجوز نقض العهد سواء من المؤمن للكافر مالم يخل الكافر هو في عهده وميثاقه ولا من المؤمن للمؤمن وهو من باب أولى ، وإن الله سبحانه وتعالى يحذر هؤلاء الذين ينقضون العهود بعد توكيدها وذلك بتشبيهه لهم بتلك المرأة التي نقضت غزلها من بعد قوة (أنكاثا) فجعلته مفرقاً ومبعثراً متخذين الأيمان ستراً للخديعة والحيلة خشية أن تكون أمة أقوى من أمه ؛ فتهدر العهود والمواثيق المؤكدة بالأيمان لمجرد الظن المؤدي الى إنتصاب روح الخديعة والحيلة .

وإذا مافتحت بصرك لتطلع على الآيات التي تحث على محافظة المعاهدات والعهود الخاصة فيما بين المؤمنين وغيرهم من الأعداء فاقرأ معي إن شئت قوله تعالى في أول سورة براءة (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين ، وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ، إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يُظهروا عليكم أحداً فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم إن الله يحب المتقين) .

فالآيات تشير الى أن الله ورسوله بريئان من المشركين الذين

عاهدوا المؤمنين والرسول ثم أخلوا بعهدهم وكان عليه الصلاة والسلام قد عاهد المشركين الى آجال محدوده فمنهم من وفى فأمره الله أن يتم عهده لهم الى مدته ، ومنهم من نقض أو قارب النقض فجعل له أربعة أشهر على أن لايكون له بعد فواتها عهد ونحن نلاحظ في الايات الكريمة بروز أربعة جوانب هامة كلها تأخذنا الى الاقناع الذي لاغبار عليه بأن دعوة الاسلام الى إقامة المعاهدات وصدق العهود والمواثيق فيها حق لامرية فيه .

الجانب الأول : هو أن الله يتبرأ ورسوله من الذين لايلتزمون عهودهم ومواثيقهم من المشركين .

الجانب الثاني : مطالبة المؤمنين بالتزامهم عهودهم ومواثيقهم مع الذين لم ينقضوا ماعاهدوهم عليه .

الجانب الثالث : إمهال الذين لم يظهروا على نقض العهد لمدة أربعة أشهر حتى يتمكنوا من الوفاء فيما عاهدوا عليه .

الجانب الرابع : مطالبة المؤمنين بالتقوى وحثهم عليها ، وذلك بقوله تعالى (إن الله يحب المتقين) ثم اسمع الى قوله تعالى في تأييد ماأجملنا من مطالب في الآيات السابقة .

فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد : فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ، وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون . كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله

الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان ان الله يحب المتقين .

فأنت ترى معي أيها الأخ القارىء أن هذه الآيات تؤكد ماجاءت به الآيات السابقة ثم توصي .

أولاً : بقتل المشتركين أينما وجدوا اذا هم أخلوا بشروطهم أو عادوا الى معاداتهم للمؤمنين ولم يتوبوا .

ثانياً : أن يقبل الرسول ﷺ وفاده من يستجير به اذا انصاع لكلام الله .

ثالثاً : تكشف النقاب عن الاكثرية الساحقة من الكافرين من أنهم يخفرون العهود ويهدرون الذمم فلا يجوز الركون اليهم والاستسلام لهم ما عدا الذين عاهدهم الرسول والمسلمون عند المسجد الحرام فانه تجب الاستقامة في حقهم ماداموا هم مستقيمين على عهودهم ووعودهم .

ثم اقرأ معي هذه الآيات التي يظهر الله بواسطتها حقيقة الكافرين المخادعين ثم انظر كيف يتسامح معهم إن هم تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة بحيث تجعلهم في مصاف المؤمنين أخوة وعقيدة ومكانة .

(كيف وإن يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساءوا ما كانوا يعملون . لا يرقبون في مؤمن إلاً ولاذمة وأولئك هم المعتدون فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون)

فليتأمل أدعياء السلام ودعاة الامن كيف يجمع القرآن ويقرب في وجهة النظر بين الوحدات المتباينة والصفوف المتخلفة المتخاذلة والأمزجة المتناقضة والنفوس المتنافرة بسماحة الألفة وعقيدة المحبة لايرغم فئة دون فئة في الاطاعة بدون أحقية وأفضلية لتقودها الى مطمع دنيوي أو الى جور أو حرمان ولا الى أخذ حقوق الناس بالباطل أو تقتيل الأنفس ظلماً وعدواناً ولا الى السلب والنهب ولا يجنح القرآن في تشريعه الى اجراء عملية الثأر والتشفي بوازع البغي والتعدي ولكن يعمل جهده في ضم الفئات الضالة الى الفئة التي تعبد الله وحده وتدين بدينه وتتوجه اليه في ركوعها وسجودها وتنفق في سبيل الله من أموالها ليعيش الجميع تحت راية الاسلام مجتمعاً واحداً متعاوناً متضامناً فيصبح الجميع اخواناً في الله لا في الانساب والمصاهرة فحسب . وهو بالاضافة الى هذا كله فلم يفرض الشروط القاسية والتي من شأنها أن تجرد الخصم من كل ما يملك من سلاح مادي ومعنوي بل على العكس فان من يسلم وجهه لله مخلصاً لايقل مكانة في الاسلام عن غيره من السابقين الاولين كما عرفنا ذلك في صهيب الرومي وبلال الحبشي وغيرهما .

نظرة الاسلام في الرق والاسرى

الرق هو حرمان الشخص من استعمال حريته الطبيعية الفردية وصيرورته ملكاً للغير في كل شيء فهو في ذلك أشبه ما يكون بالآلة الميكانيكية المسخرة .

ولقد انبثق فجر الاسلام في شبه الجزيرة العربية والرق كان نظاماً دولياً سائداً في كل الشعوب والأمم يعتمد عليه في تنمية الثروات الاقتصادية فهو عمادها . ولقد عرف الاسلام بامعان نظرته واستعمال حكمته وانفراد

أسلوبه في مجابهة النظم والعادات المستقبحة المتغلغلة في النفوس والمتحكمة فيها . فهو لا يعمد دفعة واحدة الى الغاء ما لا يستحسنه أو يرى فيه الضرر بارزاً كما عرفناه في موقفه من تحريم الخمر والربا فلقد استعمل أسلوب الحكمة في تحريمهما حتى انتهى بهم الى الاقناع بأنهما مضران ومؤذيان فوجدوا انفسهم أمام حقيقة بارزة لا مفلت لهم منها فاضطروا للدخول الى حكم الاسلام في تحريم الخمر والربا على أنفسهم .

والاسلام كدين عملي وواقعي لايستطيع تجاهل الوقائع او انكارها وهي ذات حيز ومظهر فهو دين العقل الذي لا يتنكر للاشياء التي تدرك بالعقل وترى بالباصرة . ولما كان الرق قائماً بالفعل ومتواصى به كانت نظرته فيه تدعو الى التأمل في وضع العلاج الذي يتناسب والعقلية التي تتبناه . واننا على استعداد للبيان بما لا يدع مجالاً للشك من أن الاسلام لم يقر الرق بالمفهوم الشائع عند الناس ولم يرض عنه لا شكلاً ولا موضوعا بل ولم يرض عن الاساليب المتبعة بخصوصه وسوف يدرك كل قارىء بما سنفصله عن موقف الاسلام واتخاذ الأحكام والاجراءات اللازمة في مكافحه هذا النظام السائد وذلك برسم الخطوط العريضة ووضع النقاط فوق الحروف بايجاده البرنامج التدريجي الذي بواسطته قضى على الرق قضاء تاماً بدون ان تتصدى له ثورة أو تثار حوله الشبهات وإن حملة الخصوم التي تشن على الدين الاسلامي زاعمين أنه أباح الرق وعمل على تأييده في تشريعاته وأنه كان من واجبه الغاءه دفعة واحدة إلا أن حقدهم الاسود وخصومتهم المصطنعة أعمتهم عن إباحة الرق وتبنيه في كل الديانات السابقة والدول العالمية وجهلوا أو تجاهلوا فضل الاسلام في سده لكل منافذ الرق التي وجدها شائعة والتي من شأنها ان توسع نطاقه ودائرته بكر الليالي وتوالي الأيام .

ونحن نورد لك أيها القارىء الكريم المصادر التي كانت سبباً رئيسياً في توسيع تجارة الرق قبل الاسلام ثم نبين موقف الاسلام الاصلاحي بكل فخر واعتزاز لنظهر زيف الاعداء وتحاملهم على هذا الدين الحنيف.

١) الحرب .

٢) سلطة الوالد على أولاده ، وذلك ببيعهم كأرقاء .

٣) سلطة الفرد على نفسه الذي كان يبيع حريته بدراهم بخسة .

٤) تناسل الأرقاء .

٥) عجز المدين عن وفاء ديونه فكان يحكم عليه بالرق لمصلحة الدائن .

٦) بغي بعض القبائل على بعض وخطف رجالها وسبي نسائها .

٧) القرصنة واللصوصية في البحار وعلى السواحل .

٨) الحكم على بعض مرتكبي الجرائم كالقتل والسرقة .

فالذي فعله الاسلام بعد ان وجد كل هذه الابواب والمنافذ مفتحة يدخل فيها كل يوم الآلاف من ابناء البشر الى سجن الرق بل الملايين : فعمل هو على سد كل تلك الثغرات واقفال كل تلك الابواب ولم يسمح إلا بفتح باب واحد ذلك هو أسرى الحرب وتلك ضرورة ليس بالمقدور العزوف عنها لأسباب عسكرية وسياسية .

على أن الاسلام هو الدين الوحيد الذي كان يعامل الاسرى على مستوى رفيع من الحصانة وأعلن بصراحة موقفه السليم من الاسرى حيث قال الله تعالى في سورة القتال (حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما

منا بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها) فانظر الى هذا التخيير الموجه الى أولياء الامور بين المن وهو العفو والارسال من غير شيء والفداء وهو أخذ العوض بعد ان يتم للمسلمين الاثخان في الارض وبعد ان تضع الحرب أوزارها .

قال تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم)

فما الذي يريدونه من الاسلام أنبل من هذا الموقف تجاه الاسرى وهم خصومه وأعداؤه الألداء الذين يريدون الاجهاز والقضاء عليه .

ونحن نرد أصحاب هذه الحملة الماردة الظالمة الى ما يجري بين الدول المتحاربة ليقفوا على حقيقة مسألة الاسرى وليقارنوا فيما بينها وبين وقفة الاسلام منذ أربعة عشر قرنا : فمشكلة الاسرى بين الفريقين المتحاربين تعتبر من اعقد المشاكل التي تواجه الدول المتحاربة في أيامنا الحاضرة .

الابواب التي فتحها الاسلام للقضاء على نظام الرق

ورب سائل يقول ماذا أعد الاسلام للقضاء على الرق بعد أن أقره كمبدأ . ونحن نجيب بما تزخر به شريعة الاسلام من أحكام فقهية وأحاديث نبوية وآيات قرآنية ووقائع وحوادث كلها تفسح المجال لتخليص الرق من تلك العبودية المصطنعة نسردها بالارقام المتسلسلة .

(١) لقد أقر الدين الاسلامي حرية الافراد أصلاً وذلك في عبادتهم لله وحده واعتبر الرق صفة عارضة يجب أن تزول بشتى الوسائل والاساليب .

ولذلك قعّد الفقهاء القواعد الفقهية بهذا الصدد وأبرز البعض أقوالهم

فيها . فمنهم من قال انه لو كان في يد انسان غلام بالغ عاقل وأدعى عليه أنه عبده فكذبه الغلام فالقول للغلام مع يمينه أنه حر تطبيقاً للقاعدة القائلة (البينة على من أدعى واليمين على من أنكر) .

وأجمع الفقهاء على أنه اذا التقط شخصان لقيطاً فادعى مسلم أنه عبده وادعى كافر أنه ابنه فانه يقضى ببنوته للكافر حتى يكون حراً ولا يقضى للمسلم حتى لا يكون رقيقاً .

(٢) هيأ الاسلام الفرصة للمملوك بأن يشتري نفسه من مالكه بمال يدفعه ويسمى هذا النوع بالمكاتبة ما بين العبد وسيده ورغب السيد في معاونة العبد على دفع المال المطلوب منه وذلك بتهيئة الفرصة المواتيه أمامه لممارسة البيع والشراء لحسابه الخاص وعقد العقود باسمه الى غير ذلك حتى يسدد ما اتفق عليه كما وانه حث جميع المسلمين بالتصدق عليه ومساعدته كما وأوجب على السيد أن يجيب عبده الى عقد مكاتبته .

قال تعالى في سورة النور (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم)

وقد أجمع فقهاء المسلمين على أن مكاتبة العبد مستحبة وفي رواية للامام أحمد أنها واجبة متى دعا العبد سيده اليها على قدر قيمته او أكثر وعلم سيده فيه الصلاح وان باستطاعة العبد الاتجار ليحصل على مايدفعه لسيده من أقساط وعندئذٍ على سيده أن يتركه يشتغل إن شاء وفيما يشاء ويشترط الفقهاء أن يراعى في عقد الكتابة حال الرقيق فاذا امتنع المكاتب عن الاداء ومعه ما بقي من المال المتفق عليه فالحنفية تجبره على الاداء حرصاً على تحريره . واذا لم يكن معه مال ولكنه كان قادراً على الكسب فالمالكية تجبره على الكسب مادام قادراً عليه .

وقد سأل ابن جريج عطاء بن أبي رباح قائلاً أواجب علي إذا طلب مني مملوكي الكتابة أن أكاتبه فأجابه بقوله « ما أراه إلا واجباً » واستدل بقوله تعالى :

(والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) واذا كان المكاتب جارية سرى حكمها على من تلده بعد مكاتبتها فيعتق معها بدون تعويض للسيد وذلك بمجرد سدادها للمبلغ الذي تعاقدت عليه مع سيدها سواء رضي السيد بذلك أم لم يرض .

(٣) تحين الفرص بالمالك كأن يجري على لسانه لفظ صريح بالعتق في أي صورة يستدل منه أنه أعتق عبده سواء كان قاصداً معنى اللفظ أو لم يكن يقصده وسواء أكان جاداً أو مازحاً ، راضياً أم كارهاً ويرى الفقهاء أن أقل وعد من السيد أو أقل احتمال للوعد بالتحرير يجعل التحرير ضرورياً تمسكاً بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل (ثلاث هزلهن جد الطلاق والنكاح والعتق)

(٤) التدبير وهو من اسباب العتق أيضاً وصفته أن يجري على لسان السيد أي لفظ يدل على الوصية بتحرير عبده بعد وفاته .

وقد احتاط الاسلام لهذا الأمر بما يضمن حرية المملوك فحرم على المالك التصرف في عبده المدبر بالبيع أو الرهن أو الهبة أو نقل ملكيته الى شخص آخر : ومثل ذلك الابن الذي تلده الجارية المدبرة .

(٥) اذا خرج الارقاء من دار الكفر ودخلوا مع المسلمين أصبحوا أحراراً :

ورد في الحديث عن علي كرم الله وجهه قال : خرج عبدان

الى رسول الله ﷺ يوم الحديبيه قبل الصلح فكتب اليه موالهم يقولون : يامحمد والله ما خرجوا اليك رغبة في دينك وانما هربوا من الرق فقال ناس : ردهم اليهم : فغضب عليه السلام من ذلك ولم يردهم .

(٦) من أعتق بعض عبده سرى العتق على باقية وكذلك لو اعتق بعض الشركاء نصيبه في رقيق فان العتق يسري الى الكل ويقوم على المعتق نصيب شركائه ان كان له مال . وإلا سعى العبد لأداء نصيبهم فيخلص من الرق وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام من أعتق نصيباً أو شقصاً في مملوك فخلاصه عليه في ماله إن كان له مال وإلا قُوِّمَ عليه فاستسعي غير مشقوق عليه :

« ٧ » عتق أمهات الاولاد . وذلك كأن ينجب السيد من جاريته ولداً كان حراً من يوم ولادته وتصبح الام حرة بعد وفاة سيدها لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (أيما وليدة ولدت من سيدها فانه لا يبيعها ولا يهبها ولا يورثها وهو يستمتع منها فاذا مات فهي حرة) وعن رسول الله ﷺ في جاريته ماريه : أعتقها ولدها ابراهيم .

(٨) عتق أولي القربى : فلقد جاء في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام (من ملك ذا رحم محرم فهو حر)

(٩) عتق من يمثل به او يعذب من العبيد

روى الامام أحمد أن زنباعا أبا روح وجد غلاماً له مع جارية فجدع أنفه وجبه فشكاه الى النبي صلى الله عليه وسلم : فقال من فعل هذا بك ؟ فقال زنباع : فدعاه النبي ﷺ فقال ما حملك على هذا ؟ فقال كان من أمره كذا وكذا : فقال رسول الله ﷺ (إذهب فأنت حر) فقال يارسول الله : فمولى من أنا ؟. فقال مولى الله ورسوله وتعهد له الرسول

الكريم بطعامه اذا لم يستطع الحصول عليه فلما قبض رسول الله ﷺ جاء هذا المعتق الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فقال (وصية رسول الله) فقال : نعم يجري عليك النفقة وعلى عيالك فأجراها عليه وعلى عياله حتى قبض .

فلما استخلف عمر رضي الله عنه جاء هذا المعتق نفسه وقال له « وصية رسول الله » قال نعم أين تريد ؟ قال مصر فكتب عمر الى عامله بمصر ان يعطيه أرضاً .

ولقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : من مثل بعبده عتق عليه ، ومن لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه .

وعن سويد بن مقرن قال : « كنا بني مقرن على عهد رسول الله ﷺ ليس لنا الا جارية واحدة فلطمها أحدنا فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال « اعتقوها » .

وقال الزهري : متى قلت للمملوك اخزاك الله فهو حر .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قعد رجل بين يدي النبي ﷺ فقال يارسول الله ان لي مملوكين يكذبونني ويخونوني ويعصونني وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم ؟ قال يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم : فان كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك . وان كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك وان كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم من الفضل ، فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف « أي يدعو الله » فقال رسول الله ﷺ : أما تقرأ كتاب الله « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » فقال الرجل : والله يارسول

ما أجد لي ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم : أشهدكم : أنهم أحرار كلهم .

« ١٠ » عتق الكفارات ليكفر بها المسلم عن سيئاته لتكون سبيلاً لمحو الذنوب .

فالقتل الخطأ : كفارته تحرير الرقاب قال تعالى « وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة » « النساء » والحنث في اليمين : قال تعالى : لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته طعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة : المائدة : وجعل الاسلام العتق وسيلة لمراجعة الزوجة إذا أوقع الزوج عليها يمين الظهار وهو تشبيه الرجل زوجه بأمه كأن يقول لها « أنت علي كظهر أمي » وقد بينا تفصيل حكم الظهار في سورة المجادلة

قال تعالى « الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير » المجادلة .

ثم ان الجماع عمداً في نهار رمضان يبطل الصيام وعتق الرقبة من جملة المكفرات له .

« ١١ » ترغيب الدين في العتق الاختياري .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيما رجل أعتق امرءاً مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضواً من النار ؟؟ وقال : « أيما رجل كانت له جارية أدبها فأحسن تأديبها . وعلمها فأحسن تعليمها ؛ وأعتقها وتزوجها فله أجران .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أفضل ؟ قال « ايمان بالله وجهاد في سبيله قلت

فأي الرقاب أفضل ؟ قال غلاها ثمناً وأنفسها عند اهلها .

وجاء اعرابي الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال (عتق النسمة وفك الرقبة) قال الاعرابي يا رسول الله : أوليس واحداً ؟؟ قال : لا ، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها) .

(١٢) قررت الشريعة الاسلامية قاعدة من شأنها أن تحمي أناساً ربما لولا الاسلام لكانوا يوماً من الرقيق هذه القاعدة هي أن المسلم المولود من أبوين حرين أو من أم حرة أو ولد على فراش حرة لا يجوز للمسلمين استرقاقه في اي حال من الاحوال .

وكان الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول (إني لأستحي أن استعبد إنساناً يقول ربي الله) .

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق الأموال الطائلة في شراء العبيد من سادة قريش الكفار ليعتقهم ويمنحهم الحرية ومن جملة من اشتراهم بلال رضي الله عنه حتى قال الاعداء مزيفين للحقائق : إن أبا بكر لم يعتق بلالاً الا ليدٍ عليه اي لنعمة كانت لبلال عنده فأنزل الله تعالى في تكذيبهم قرآناً فقال (وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) .

كما وان جزءاً من بيت مال المسلمين قد خصص لمساعدة الأرقاء وتخليصهم من العبودية ومعاونة المكاتبين قال تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب) .

وقال يحيى بن سعيد (بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات

أفريقية فجمعتها ثم طلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد فقيراً ولم نجد من يأخذها منا . فقد اغنى عمر بن عبد العزيز الناس عن المسألة فاشتريت عبيداً فأعتقتهم .

نعم هذا هو الاسلام وعلى هذا كان المسلمون اليوم من نظام الاسلام ، إن كل شيء صالح نافع وجد في الاسلام ولكن يا للأسف الشديد والحزن العميق إن كل شيء فاسد اصبح اليوم في المسلمين ، فهل يجد الانسان أعمى بصراً وبصيرة ممن يترك إنتاج ارضه الطيب ثم يذهب الى انتاج أرض الغير ليستهلكه وهو في حد ذاته فاسد ومفسد وكذلك اصبح ابناء المسلمين اليوم يتنكرون لتعاليم دينهم ولمبادىء ارضهم ويستوردون الآراء والأفكار الضيقة المحرجة ونحن نملك من سعة التشريع ورحابة الاحكام ما يملأ عقولنا نوراً ووعياً وعلماً وفهماً ومدنية وحضارة واشتراكية سماوية عادلة .

الاسلوب الذي اتبعه الاسلام في فترة الانتقال

ولقد نهج الاسلام مسلكاً حكيماً في الفترة التي اراد فيها ان يقلص من سلطة الاسياد المطلقة على الأرقاء فبعد ان كان للسيد حرية التصرف في عبده ولو بالقتل اصبح مسئولاً عنه وعن راحته امام قانون الدين الاسلامي الذي لم يترك له الامر كما كان يحلو له او يخطر بباله دون ان يحمله مسئولية تصرفه السيىء مع عبده ، بل شرع له ما يكفل من المعاملة الحسنة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان واعلن انه سيحمي الرقيق بسلطة القانون .

روى الشيخان وابو داوود والترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قتل عبده قتلناه ، ومن جدع عبده جدعناه ، ومن اخصى

عبده أخصيناه .

عناية الاسلام في الرق

لقد أوصى القرآن بالأرقاء خيرا كتوصيته بالوالدين والأقربين واليتامى والمساكين . . . الخ .

قال تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورا) .

وقال تعالى : (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ماملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون).

وروى البخاري عن أبي هريره رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه : فان لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين : أو أكلة أو أكلتين فأنه وليَ علاجه : أي أعد طعامه .

وجاء في الصحيحين أن المعرور بن سويد قال رأيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال : ان رسول الله ﷺ قال : (إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم) .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذهب الى العوالي في كل يوم سبت فاذا وجد عبداً في عمل لايطيقه وضع عنه منه .

ودخل على سلمان رجل وهو يعجن فقال : ياأبا عبد الله ماهذا ؟

فقال : بعثنا الخاتم في مشغل فكرهنا ان نجمع عليه عملين ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ذات يوم بمكة فرأى العبيد وقوفاً لا يأكلون مع ساداتهم فغضب وقال لمواليهم مؤنباً (ما لقوم يستأثرون على خدامهم) ثم دعا الخدم فأكلوا مع السادة في جفان واحدة .

بل وإن هنالك من السادة من كان يؤثر عبده عليه في كثير من الجوانب والاشياء : فقد روي أن علياً كرم الله وجهه أعطى غلامه دراهم ليشتري بها ثوبين متفاوتين في القيمة ، فلما احضرها أعطاه أرقهما نسيجاً وأغلاهما قيمة وحفظ لنفسه الآخر وقال له : أنت أحق مني بأجودهما لأنك شاب وتميل نفسك للتجمل ، أما أنا فقد كبرت .

ولقد حرص الاسلام كل الحرص على المحافظة لحقوق الأرقاء وضمن لهم مستوى معيشياً محترماً ، لا يتأثر ببخل السيد وشحه حتى ولو قتر السيد على نفسه فقد ألزمه بعدم التقتير على عبده وفي ذلك يقول الامام النووي « تجب على السيد نفقته وكسوته بالمعروف بحسب البلدان والاشخاص سواء كان ذلك من جنس نفقة السيد أو فوقه حتى لو قتر على نفسه تقتيراً خارجاً عن عادة أمثاله إما زهداً أو شحاً : ولا يحل له التقتير على المملوك وإلزامه بموافقته إلا برضاه . وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً على دابة وغلامه يسعى خلفه فقال : (يا عبد الله احمله خلفك فانما هو اخوك روحه مثل روحك فحمله)

وفي ابن الاثير أن عمر ذهب الى الشام لتعليم الناس المواريث فلما دنا منها ركب بعيره وعلى رحله فرو مقلوب وأعطى غلامه مركبه فلما تلقاه الناس قالوا أين أمير المؤمنين ؟ قال أمامكم يعني نفسه .

هذه هي عناية الاسلام بالارقاء وبكل الضعفاء وهذه هي خلفاؤه

ورجالاته التي تتمثل فيهم الديمقراطية الحقيقية والمساواة الصادقة والاشتراكية العادلة النافذة .

وإن من ديمقراطية الاسلام أن أباح زواج الاحرار بالاماء قال تعالى : (ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات . والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان) النساء

وأكبر شاهد على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ارتضى زيد بن حارثة زوجاً لزينب بنت جحش بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت اول فتاة خرجت على عادات العرب وقضت على تقاليدهم التي تقوم على تحقير الموالي وازدرائهم .

وقد روى ابن عباس رضي الله عنه : أن أحد الموالي خطب الى جماعة من بني بياضة وأشار عليهم الرسول بتزويجه فقالوا يارسول الله : أنزوج بناتنا موالينا : فنزل قوله تعالى : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير . (الحجرات)

ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوصي بالصلاه التي هي عماد الدين ويقرن معها توصيته بالارقاء : قال عليه الصلاة والسلام : (اتقوا الله في الصلاه وفيما ملكت أيمانكم) .

ثم في موضع آخر نراه عليه الصلاة والسلام يخاطب عقول المسلمين وعواطفهم في آن واحد ليهتموا بشأن اخوانهم الأرقاء وليعاملوهم معاملة أخوة وإحسان : قال عليه الصلاة والسلام يخاطب سادة الأرقاء (إن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم) .

وقال عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع (اتقوا الله في الضعيفين المملوك والمرأه) ولقد كان عليه الصلاة والسلام في آخر كلامه في الدنيا يوصي بالصلاة والأرقاء فلقد ورد أنه قال (الصلاة وما ملكت أيمانكم .

وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : (لايقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي) لكي لا يتأذوا من هذه الالفاظ في شعورهم ومعنوياتهم .

ومما يروى أن أبا ذر تغاضب مع بلال الحبشي مولى أبي بكر وتسابا فقال له أبو ذر : يا ابن السوداء فشكاه بلال الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لأبي ذر (أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية) فأسف أبو ذر ، ولم ير تكفيرا لذنبه هذا الا ان يطلب الى بلال أن يطأ على وجهه :

واختصم خالد بن الوليد وعمار بن ياسر ونال خالد من عمار وكأنه عيره بأمه التي كانت أمة لعمه أبي حذيفه وبأبيه الذي كان حليفاً وجاراً له ، فألم ذلك عماراً فغضب وبكى وذهب الى الرسول صارخاً شاكياً وأتى خالد أثناء ذلك وقد أخذته عزة مخزوم ، وكبرياء قريش فأعاد على عمار ما أساءه والنبي صلى الله عليه وسلم مطرق رأسه فبكى عمار وقال للرسول : أما تراه : فرفع الرسول رأسه وقال : من عادى عمارا فقد عاداه الله ، ومن أبغض عماراً أبغضه الله ، فخرج عمار قرير العين مستريح الخاطر وخرج خالد وهو غضبان آسفاً ولم يهدأ له قرار حتى أرضي عماراً ولم يتركه حتى اطمأن الى صفحه عنه ومسامحته له .

عناية الاسلام بتربية الرق

إن عناية الاسلام بتربية الأرقاء وتعليمهم لا تقل أبداً عن عنايته

بالأحرار وهو لا يفرق بين النوعين في هبة الله لكل منهما في المواهب التي يجب أن تنمو بوسائل المعرفة ثم تصقل بالتهذيب فاسمع الى قـــوله عليه الصلاة والسلام .

(من كانت له جارية فعلمها وأحسن اليها وتزوجها كان له أجران في الحياة الاخرى : أجر بالنكاح والتعليم وأجر بالعتق) .

وروي أن عائشة احتبست على رسول الله صلى عليه وسلم فقال (ماحبسك) ؟ قالت سمعت قارئاً يقرأ فذكرت من حسن قراءته : فأخذ الرسول رداءه وخرج فاذا هو سالم مولى أبي حذيفة فقال (الحمـــد لله الذي جعل في أمتي مثلك) .

ولقد روى لنا التاريخ وحدثنا ان صغار الاسرى الذين كانوا يؤسرون لدى الجيوش الاسلامية كانوا يرسلون الى قصر الخليفة ويؤتى اليهم بالمعلمين ليلقنوهم القراءة والكتابة ويدربوهم على الرماية وغيرها من الفنون التي تؤهلهم للمراكز الكبيرة . والمناصب الرفيعة ، فكان منهم أئمة الاقاليم وزعماء الفقة والدين حتى كان لذلك أكبر الاثر في تزويدهم بالعلم والمعرفة فنهلوا من معينه ، وارتشفوا من نهره فجاء وقت نبغ فيه الكثيرون من الموالي والأرقاء في التشريع الاسلامي فكان منهم الأئمة والاساتذة والولاة والدعاة .

واننا نسوق اليك أيها الأخ الكريم ما جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه بهذا الخصوص لتتسلح بالدليل والبرهان .

(قال ابن أبي ليلى : قال لي عيسى بن موسى ، وكان ديانا شديد العصبية للعرب : من كان فقيه البصرة ؟ قلت الحسن بن ابي الحسن . قال ثم من ؟ قلت محمد بن سيرين . قال : فما هما قلت : مولیان قال فمن كان

فقيه مكه ؟ : قلت عطاء بن ابي رباح ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وسليمان بن يسار . قال فما هؤلاء ؟ قلت : موالي : قال فمن فقهاء المدينة ؟ قلت : زيد بن اسلم ، ومحمد بن المنكدر ، ونافع بن ابي نجيح . قال : فما هؤلاء ؟ قلت : موال : فتغير لونه : ثم قال : فمن أفقه أهل قباء ؟ قلت : ربيعة الرأي . وابن أبي الزناد . قال فما كانا ؟ قلت من الموالي . فأربد وجهه ثم قال : فمن فقيه اليمن ؟ قلت طاووس وابنه ، وابن منبه . قال فمن هؤلاء ؟ قلت من الموالي : فانتفخت أوداجه وانتصب قاعداً وقال فمن كان فقيه خراسان ؟ قلت عطاء بن عبد الله الخرساني . قال فما كان عطاء هذا ؟ قلت مولى : فازداد وجهه تربدا واسود اسوادا حتى خفته ، ثم قال : فمن كان فقيه الشام : قلت مكحول : قال فما كان مكحول هذا ؟ قلت مولى ، ثم قال من كان فقيه الكوفة : والله لولا خوفه لقلت الحكم بن عتبة وعمار بن ابي سليمان ، ولكن رأيت فيه الشر ، فقلت ابراهيم النخعي والشعبي : قال فما كانا ؟ قلت عربيان : فقال الله أكبر وسكن جأشه .

الاسلام يعتمد على الأرقاء ويأمر باطاعتهم

ومما يجدر ذكره أن الكثير من الأرقاء كانوا موضع سر رسول ﷺ وثقته في كثير من الاعمال وفي احرج المواقف واعصب الاوقات وعند عظائم الامور .

فقد بلغ من قرب بلال من رسول الله ﷺ وتقريبه إياه والتصاقه به أن زادهما كان في معظم الاحيان واحدا . وفي ذلك يقول النبي ﷺ (لقد أخفت في الله وما يخاف احد ، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى احد ، ولقد اتت علي ثلاثون من يوم وليلة ، مالي ولا لبلال طعام يأكله احد ، إلا شيء يواريه إبط بلال) .

وقد كان بلال امين بيت مال المسلمين في عهد الرسول ﷺ وكان ايضاً خازناً لمال النبي الخاص حتى أن بلالاً سئل ذات يوم عن كيفية نفقة رسول الله ﷺ فقال : (ما كان له من شيء ، كنت انا الذي اتولى ذلك له منذ بعثه الله عز وجل حتى توفي وكان اذا أتاه الرجل المسلم فرآه عاريا يأمرني به فأنطلق ، فأستقرض وأشتري البردة فأكسوه وأطعمه) .

ومما يروى عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : قدمت انا واخي من اليمن فمكثت حينا وما نرى ابن مسعود وأمه إلا من بيت أهل رسول الله ﷺ من كثرة دخولهم على رسول الله ولزومهم له ، ويفهم من هذا ان ابن مسعود الذي كان عبدا يرعى الغنم لعقبة بن ابي معيط بمكة أصبح ذا مكانة عالية ووثيقة عند رسول الله ﷺ حتى ليخيل إلى الناظر لأول وهلة وهو يدخل كثيرا الى بيت رسول الله ﷺ انه من اهل بيته . ولعائشة أم المؤمنين حديث تكشف فيه عن الثقه التي نالها زيد بن حارثة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول : (مابعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في سرية إلا امّره عليها ولو بقي لاستخلفه بعده) .

ويحدثنا الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف زيداً في بعض اسفاره وبلغ من ثقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بزيد بن حارثة أن اطلق المسلمون على زيد اسم (زيد بن محمد) فأنزل الله قوله (ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله) فعرف بعد ذلك بزيد بن حارثة ثم يأتي دور عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذا الباب حيث قال في ساعة رهيبة اليمة تلك الساعة التي طعنه فيها ابن لؤلؤة الخارجي

وكان يريد أن يوصي بما يراه فيمن يخلفه فيقول : (لو كان سالم أبي حذيفة حياً ما جعلتها شورى) .

ثم إن منتهى الثقة فيهم لتتجلى في توصية الرسول ﷺ باطاعة الأرقاء فيما إذا استعملوا للولاية والقيادة :

قال عليه الصلاة والسلام : اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله تبارك وتعالى : البخاري وقال عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع (أيها الناس إنما المؤمنون إخوة إن ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم : ليس لعربي فضل على أعجمي الا بالتقوى) .

ثم نجد الرسول ﷺ يوصي بالاهتداء بقول عمار وفعله فقال [اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمار ....] وهاهو أسامة بن زيد يقود في جيش المسلمين أكابر الصحابة وعلية القوم أمثال أبي بكر وعمر وخرج الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه يودع اسامة بن زيد سائراً على قدميه وأسامة راكباً ، الأمر الذي جعل أسامة يشعر بالحرج فقال [ياأمير المؤمنين لتركبن أو لأنزلن ؛ فقال له أبو بكر [والله لاتنزل ولا اركب وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله]

ثم ان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرسل كتاباً الى أهل الكوفة يخبرهم فيه أنه قد عقد لعمار بن ياسر لواء الامارة ولابن مسعود منصب الوزارة قال عمر في كتابه (اما بعد فاني بعثت إليكم عمار بن ياسر اميراً وابن مسعود معلماً ووزيراً ، وإنهما لمن أصحاب محمد ﷺ من أهل بدر : فاسمعوا لهما واطيعوا واقتدوا بهما) .

كما وان أبا عبيدة الجراح رضي الله عنه أرسل مائة رجل من صفوة قريش لافتتاح حلب وولى عليهم رجلاً زنجياً .

وهكذا كان من نتيجة توصيات الاسلام بالارقاء وعظيم عنايته بهم وإكرامه لهم أن ارتفع شأن العبيد اجتماعياً ونبغ منهم الكثيرون وأصبحوا شموساً وأقماراً يشار اليهم بالبنان بعد أن كانوا نسياً منسياً كالسلعة البالية ولكنهم صاروا بتكريم الاسلام لهم جواهر كريمة وكنوزاً نفيسة بعد أن كانوا أحجاراً صلدة وخزفاً مهيناً : فهيأهم الاسلام حتى أخرج منهم الأئمة والعلماء والقادة والزعماء والولاة والقضاة والحكام والامراء والوزراء .

ومن العجيب والغريب أن المسلمين لم يجدوا غضاضة في ذلك ولم يجدوا فيه أمراً غير عادي : فاقتدوا بتوصيات الرسول ﷺ واقتدوا بتوجيهات الخلفاء الراشدين من بعده : فتبعوا الأئمة والعلماء . واحترموا القضاة والولاة ، واكبروا القادة والزعماء ، وانقادوا للحكام والوزراء : وأطاعوا الملوك والأمراء لأنهم آمنوا بديمقراطية الاسلام ومساواته التي سوى بها بين الناس على اختلافهم فسوى بين البدوي والحضري ، والعربي والعجمي ، وبين الأحمر والأصفر ، والأبيض والأسود ، كما كشفته لنا النصوص التي أوردناها سالف الذكر .

وبعد فماذا يريد الذين يصمون الاسلام بأنه جاء بالرق وعمل على تدعيمه : أين يذهب أولئك الأدعياء المتغالون بكل الحقائق والاثباتات الدامغه التي جاءت مثل وضح النهار : فهل لدى الادعياء ما يستدلون به على ادعاءاتهم ولو بأسانيد ضعيفة ويبرهنون على ان امة من الامم أو دولة من الدول السابقة أو الحاضرة عملت على تخليص الرق وإنقاذه من قيود السيطرة والنفوذ ؟ أجل إن كل الذي يقدمونه من اثبات هو حجة عليهم وهو على عكس دعواهم فهم في كل يوم يبرزون وثائق ومستندات ليس على تدعيم الرق فحسب بل على جعل الاحرار من الشعوب

والأمم أرقاء : فمن الذي يستعمر الشعوب في القرن العشرين ؟ ثم من الذي يتآمر على حقوق المستحقين بعصا القوة والنفوذ فيتحكم بها كيف يشاء دون أن يكون لصاحب الحق سلطان أو رأي في حق ؟ أم من الذي يبيع الشعب جميعه صفقة واحدة عندما تكون له مصلحة ومنفعة كما يبيع التاجر صفقة من قطعان إبله وغنمه فماذا نسمي هؤلاء ؟؟؟

فليسمع الذين يحاولون الجري في الظلام . والطعن في الاعمال والكلام بكل ما جاء به الاسلام ليسمع كل هؤلاء الذين يقلبون الحقائق ويزيفون الوقائع فليسمع الذين يتعامون عن كل ماجاء به الاسلام من أحكام نافعة صالحة ويتجاهلون فضله في كل دعوة سمحة خيرة أتى بها ليسمع هؤلاء وهؤلاء : شهادة المستشرق (فان دنبرغ) في تشريع الاسلام وقيادة محمد ﷺ وأصحابه وذلك في تطبيقهم لقوانين الاسلام وأحكامه : وبوجه خاص عما يتعلق بالرق قال (لقد وضع للرقيق في الاسلام قواعد كثيرة تدل على ما كان ينطوي عليه محمد ﷺ وأصحابه نحوهم من الشعور الانساني النبيل : ففيها تجد من محامد الاسلام ما يناقض كل المناقضة الاساليب التي كانت تتخذها الى عهد قريب شعوب تدعي أنها تسير في طليعة الحضارة : نعم إن الاسلام لم يلغ الرقيق الذي كان شائعاً في العالم . ولكنه عمل كثيراً على إصلاح حاله ، وابقى حكم الأسير ، وكنه أمر بالرفق به) انتهى كلام المستشرق .

هذا هو الاسلام وهذا هو طريق الاسلام فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر : والفضل ما شهدت به الاعداء .

الاسلام دين القوة والعزة والجهاد

لم يكن للاسلام أي هدف في تعزيز كيانه وتدعيم نفسه وانتصابه

على قدميه وهـــو أمضى سلاحاً وأصلب عوداً وأثبت جناناً إلا ليجعل من نفسه الدرع الواقية لهذه الإنسانية من شرك وثني ومن انحطاط خلقي ومن تسلط مادي .

ولقد وقفنا على جانب كبير فيما مر معنا من حقيقة هذه الدعوى فعرفنا عن يقين كيف أن الاسلام دعا الى السلام وكيف كان في معاملته السمحة حتى لخصومه وعرفنا أيضاً الفرق فيما بينه وبين الدعوات الاخرى من حيث المبدأ وتطبيقه .

وإذا كان الأمر كما علمنا فلا بد من التهيؤ والاستعداد من أجل ايجاد السند الذي بواسطته يكون تحقيق تلك الغايات الساميـــة المنشودة وباستطاعتنا أن نتأكد من روح هذه الاغراض التي أرادها الديـــن الاسلامي في دعوة القرآن المسلمين الى ان يستعدوا لمجابهة أعداء الله واعدائهم في العقيدة والاتجاه وفي السلوك والاعمال : قال تعالى :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) .

فالآية تحرض المؤمنين على الاستعداد بكل ما أوتوا من قوة لصد كل اعتداء ودفع كل ظلم وظالم واذا ما تعمق الانسان في تـــلاوة الآيات الحاضة على الجهاد أدرك بسهولة حرص الاسلام على تكوين جبهة قويـــة وعزيزة تستطيع الوقوف أمام ما يعترضها من مسئوليات قال تعالى (يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) وقال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) وقال تعالى (قل إن كان آباؤكم وابناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله

وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين) وقال تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) وقال تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن) .

فان هذه الآيات الكريمة تحث المؤمنين على الجهاد في سبيل الله والحق وترتب لهم الجزاء الاوفى بالوعود المقطوعة بالاساليب المرغبة والمشجعة التي تبشرهم بحياة الخلود في دار النعيم : قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجر المحسنين) وقال تعالى (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح ان الله لايضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون)

ثم إننا لنلمس حض الاسلام على الثبات في وجه العدو بشكل منقطع النظير وتعويده المؤمنين على الثقة بالنفس بعد الاعتماد على الله وأمره لهم بالاتحاد وإطاعة القائد قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله لعلكم تفلحون ، واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) وقال (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص)

ولقد حرم الاسلام الفرار من ميدان الحرب لا سيما عند اشتعال

نارها واعتبر ذلك خيانة كبيرة يستحق فاعلها غضب الله وعذابه الاليم : قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) الأنفال

ثم إن القرآن ينعي على المنافقين الجبناء الذين تخلفوا في ميادين القتال الضعف في نفوسهم والتخاذل في رجولتهم فلنستمع اليه في المنافقين الذين تخلوا عن غزوة تبوك وثبطوا هممهم وعزائم غيرهم (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقالوا لاتنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون) .

ثم لنستمع الى القرآن الكريم وهو يحمل الذين أسلموا بمكة ولم يهاجروا مسئولية بقائهم وهم قادرون باجسامهم على الخروج من ديار الأعداء وماتوا فيها قال تعالى (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا . فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا) .

وعلى هذا فان الاسلام هو دين العزة ولا يريد للمؤمنين الا العزة فلم يفرض القتال عند الحاجة إلا ليضمن للدين عزته المصونة وللمسلمين عزتهم المضمونه وإنه لم ينع على المتخلفين أعمالهم إلا لفقدهم تلك العزه التي لو بقوا محافظين عليها لحفظتهم من تلك النتائج السيئة المخزية التي وصلوا اليها في الدنيا .

ولقد أقر أشراف العرب وكبارهم الذين اعتنقوا دعوة الاسلام وتقلدوا مبدأه هذه الحقيقة بعد أن لمسوا الفرق الواضح الأمر الذي جعل

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : كنا في الجاهلية قوماً أذلاء فأعزنا الله بالاسلام .

هذا أمير المؤمنين يقول قد كنا أذلة قبل ذا التشريع

واسمع الى قول الله تعالى في المنافقين الذين يلتمسون عزتهم من الكافرين دون المؤمنين (بشر المنافقين أن لهم عذاباً اليماً . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعاً) والمعنى ان عزة المؤمنين من عزة الله لأن الله مولاهم أما الذين كفروا فمولاهم الشيطان يأخذهم من النور الى الظلمات ومن العزة الى الذله .

ثم اسمع اليه في سورة المنافقون (ولكن المنافقين لايفقهون . يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) فالعزة الحقيقية لله ولرسوله ثم للمؤمنين .

ومن التمس العزة بغير الله ودينة فقد ذل .

اقبال الشعوب على المسلمين لحسن مبدئهم ومعاملتهم

عندما وضح للناس مبدأ المسلمين الذي توارثوه عن النبي ﷺ بتلك الروح الصافية والسماحة الوافية وعندما تحققوا من تطبيق نظام العدالة فيه على قدم المساواة بين المسلم وغير المسلم والعربي وغير العربي الخ وعندما رأوا ان الاسلام لا يضيق على الحريات المذهبية فلا يجبر أتباع ملة على اتباع ملة أخرى بل على عكس ذلك فهو يؤمن لهم الحرية التامة لأن يدينوا بدينهم الذي يعتقدونه بلا إحراج ولا إزعاج وفدوا على الاسلام

وأهله واليك أيها القارىء الكريم بعض الحوادث التي تثبت كل ما عنينا في حسن المبدأ وتطبيق روح السماحة والعدالة والحرية عند الرسول ﷺ وأصحابه ومن سار على طريقهم من بعدهم من المسلمين .

١) لقد أمر الرسول ﷺ أصحابه بأن يعاملوا أسرى بدر معاملة حسنة فكانوا يفضلونهم على نفسهم في طعامهم وشرابهم .

ثم نجده عليه السلام يستشير أصحابه في شأنهم فمنهم من أشار عليه بقتلهم ومنهم من أشار عليه بفدائهم فوافق على الفداء وجعل فداء الذين يكتبون أن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة الكتابة .

وأشير عليه ان يمثل بسهيل بن عمر - أحد المحرضين على محاربة المسلمين - بأن ينزع ثنيتيه السفليين فلا يستطيع الخطابة فرفض النبي وقال (لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبيا) .

٢) ولقد رأينا عليه الصلاة والسلام عند فتحه لمكة جوابه لقريش (اذهبوا فأنتم الطلقاء . لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لي ولكم)

٣) كان عليه الصلاة والسلام يحضر ولائم أهل الكتاب ويغشى مجالسهم ويواسيهم في مصائبهم ويعاملهم بكل انواع المعاملات التي يتبادلها المجتمعون في جماعة كان يحكمها قانون واحد وتشغل مكاناً مشتركا ، فقد كان يقترض منهم نقوداً ويرهنهم متاعا ولم يكن ذلك عجزاً من اصحابه عن إقراضه فان بعضهم كان ثريا وكلهم يتلهف على ان يقرض رسول الله بل على أن يفديه بروحه وبكل ما يملك . وانما كان يفعل ذلك تعليما للأمة وتثبيتا عمليا لما يدعو اليه من سلام ووئام وتدليلا على ان الاسلام لايقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم .

٤) كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالشام وقد حانت الصلاة وهو في كنيسة القيامة . فطلب البطريق من عمر أن يصلي بها . وهم أن يفعل . ثم اعتذر بأنه يخشى أن يصلي بالكنيسة فيدعي المسلمون فيما بعد من أنها مسجد لهم فيأخذوها من النصارى . وكتب للمسلمين كتاباً يوصيهم فيه بألا يصلوا على الدرجة التي صلى عليها الا واحداً غير مؤذنين للصلاة وغير مجتمعين .

٥) بينما عمر يسير بالشام لقيه قوم من نصارى أذرعات يلعبون بالسيوف والريحان أمامه كما تعودوا أن يفعلوا في احتفالاتهم بالعظماء فقال (ردوهم وامنعوهم) لأنه كان يكره الاهبة والعظمة ومظاهر الملك . فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين هذه عادتهم وإنك إن تمنعهم يروا ان في نفسك نقضاً لعهدهم فقال عمر (دعوهم عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة) .

٦) اشتهر عمر بانصاف من يشكو اليه من النصارى واليهود فقد علم عمر أن الوليد بن عقبة واليه على بني تغلب النصارى قد توعدهم فخشي أن يوقع بهم شراً فعزله وولى غيره .

٧) مر عمر برجل يسأل على الأبواب وكان الرجل شيخاً ضريراً فقال له عمر [من أي أهل الكتاب أنت ؟] فقال يهودي ؛ قال عمر [فما الذي ألجأك الى ما أرى] قال الجزية والحاجة والسن ؟ فأخذ عمر بيده وذهب الى منزله وأعطاه مما وجده ثم أرسل الى خازن بيت المال وقال له [أنظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه . إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم . ووضع عنه الجزية ثم أمر أن يعطي من الصدقات قوم من النصارى مصابون بالجذام وان يرتب لهم القوت .

٨ [حدث مجاهد قال كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ

شاة فقال (ياغلام اذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودي وقال ذلك مراراً فقال له كم تقول هذا : فقال : إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنـــه سيورثه .

وأما اقبال الشعوب على المسلمين يطلبونهم ليعيشوا تحت ظل راية الاسلام والمسلمين فليس أوضح بياناً واكثر برهاناً على ذلك من التاريخ الذي يحدثنا فيسرد علينا الوقائع والحوادث بالتاريخ وبالارقام والامكنة واليك أيها الأخ الكريم بعض الوثائق التاريخية .

آ ـ كتب المسيحيون في الشام الى أبي عبيدة وهو معسكر في (فحل) يقولون : يامعشر المسلمين انتم أحب الينا من الروم وان كانوا على ديننا أنتم أوفى لنا ، وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولايـــة علينا ، ولكنهم غلبونا على امرنا وعلى منازلنا .

ب ـ وغلّق سكان حمص أبواب مدينتهم حتى لا يدخلها جيش هرقل وأعلموا أن ولايتهم وعدلهم أحب اليهم من ظلم الرومان وتعسفهم ،

ج ـ وكانت في الشمال قبائل عربية دانت بالمسيحية زمنا طويلا فلما بدأ الاسلام يصطرع مع الروم سارع بعضها الى اعتناقه والانضمام الى المسلمين مثل بني غسان .

د ـ وكذلك صنعت بعض القبائل العربية التي كانت مواليـــة للفرس فقد وفد على قائد المسلمين بعد موقعة القادسية ســـنة (١٤ هـ) كثير من العرب المسيحيين المقيمين على ضفاف الفرات واسلموا كما اســـلم إخوان لهم من قبل .

هـ ـ وفي موقعة الجسر (سنة ١٣ هـ) كاد المسلمون ينهزمون هزيمة ساحقة وهم محصورون بين الفرات والجيش الفارسي واذا بزعـــيم

مسيحي من قبيلة طيء ينضم الى المثنى القائد المسلم ويساعد في النجـــاة والارتداد المنظم .

و - وكذلك رحب القبط بالفتح الاسلامي ولقوا من عمـــرو أعظم التسامح لأنه انقذهم من الاضطهاد الديني ومن عسف الروم وتنكيلهم بمخالفيهم في المذاهب ، فقد قست في التنكيل بهم قوة لم ينسها أعقابهم حتى اليوم . فقد كان بعضهم يعذب ثم يلقى بهم في اليم . وقتل منهم نحـــو مائتي الف في مدينة الاسكندرية بأمر من الامبراطور (جستنيان)

ز - لم يخب أمل الفرس في عدالة المسلمين وسماحتهم لأنهم عاملوا بالتسامح من بقي من الفرس على دينه وكفلوا لهم حريتهـــم في عبادتهم ومعابدهم ويدل على ذلك على أن أحد قواد الخليفة المعتصم سنة (٢١٨ -١٢٧ هـ) الموافق (٨٣٣ - ٨٤٢ م) أمر بجلد إمام ومؤذن لأنهما اشتركا في هدم معبد من معابد المجوس لتستخدم أحجاره في بناء مسجد مكانه .

ج - وعندما فتح المسلمون اسبانيا أنجدوا سكانهـــا من العسف والمذلة لأن القوط كانوا هم حكامها وسادتها . فانهم لما دخلوها فاتحـــين طردوا منها (الوندال والروم) واستقلوا بها منذ سنة (٤٨٤) م وبقيت في قبضتهم أكثر من مائتي عام ، وكان حكمهم فاسدا بغيضاً الى الشعب . لأنهم - على الرغم من تنصرهم - ترفعوا عن السكان الاصليين وعاشوا وحدهم في أبراج من العاج . فكانوا هم الطبقة العليا واستأثروا بالضياع الواسعه وحرموا المصاهرة الى الاهلين ولهذا رحب اليهود وسكان البلاد بالعـــرب الفاتحين لأنهم سيخلصونهم مما حل بهم من مظالم لا تطاق .

شهادة البطارقة والقسس والعلماء والمؤرخين بالمسلمين

١ - شهد البطريـــق (عيشويابه) الذي تولى منصبه سنـــة

(٦٤٧ - ٦٥٧ هـ) بأن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون : إنهم ليسوا أعداء للنصرانية بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قديسنا وقسيسنا ويمدون يد المعونة الى كنائسنا ودينا .

٢ - وذكر القس ميشون في كتابه [سياحة دينية في الشرق] إنه من المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وحسن المعاملة وهما أقدس قواعد الرحمة والاحسان عند الشعوب والامم .

٣ - قال « ميشو » في تاريخ الحروب الصليبية : لما استولى عمر على مدينة « أورشليم » لم يفعل بالمسيحيين ضرراً مطلقاً ، ولكن لما استولى عليها المسيحيون قتلوا المسلمين ولم يشفقوا وأحرقوا اليهود إحراقاً .

٤ - وقال « الحبر ميشون » مما يؤسف له أن المسلمين هم الذين كانوا يبدءون المسيحيين بالمسالمة وحسن المعاملة مع أن المسالمة هي منبع الخير بين الأمم بعضها مع بعض .

٥ - وقال « السير توماس أرنولد » لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة ، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الاسلام إنما اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح .

وبعد فماذا بعد هذه الشهادات ؟؟؟ ..

فأين المسلمون اليوم من إسلامهم ؟؟ ..

وأين أمة العرب من (القرآن) الدستور الخالد ؟؟ ..

بل !.. وأين « القادة والساسة » مما ذكرنا ومر معنا ؟؟ ..

إنهم في نزاع على العمالة ... وفي صراع على الزعامة !!..

و .... و .... و ....

والحمد لله رب العالمين

وهذه قصيدة للمؤلف بعنوان (السلم والحرب) يختم بها بحثه « أسلوب القتال في الاسلام ودعوته إلى السلام » يبرهن فيها على صحة ما قال .

في السلم معنى للحياة محلق ... يغري النفوس بحبه ويشوق
فتراه يأخذ في القلوب مكانه ... فكأنه غيث يعم فيغدق
يعطي الى الدنيا قرارة أمنها ... فترى بزينتها عروساً تنطق
والكون يزهو في لباس أمانه ... يبدو عريساً في زفاف يشرق
فتوالد الاثنان في ظل الهنا ... والأمن يبسط كفه ويصفق
والنسل عمر في هدوء أرضه ... في العلم بات يجيد ثم يدقق
فأتى بكل وسيلة من شأنها ... أن تنفع الانسان نفعاً يورق
والعلم يحيي لا يميت وإنما ... قد سخروه لشن حرب تمحق
هم سخروه لخلق كل ذريعة ... في الأرض بين الناس كي يتفرقوا
والعلم يخلق في النفوس عواطفاً ... تسمو بأعمال لها وتحقق
والعلم يبني لا يخرب دولة ... صغرت ولكن أين من يتذوق
ما بال أقوام لقد قالوا لنا ... نحمي بعلم عالماً ونطوق
ونقيه من شر الأذى ما بالهم ... شنوا عليه إغارة تتدفق
ما بال هذا الغرب جن جنونه ... في هذه الأيام لا يتوفق
إن كان في العلم التهدد يدعي ... فالعلم في تلك الطريق ممزق

. . .

يا قادة العلم الحديث تريثوا ... ما الفكر إلا في نتاج يشفق
ما الفكر إلا جعبة مملوءة ... بالخير لا بالشر دوماً فارفقوا
لم يخلق الانسان وحشاً ضارياً ... يسطوا على الانسان أو يتملق
ما ذنب إنسان يعيش بأرضه ... حراً يجيء اليه غاز يطرق

ما ذنب انسان يريد حياته ... وحياة كل الناس قهراً يخنق
ما ذنب عالمنا تحكم أمة ... في حقه من أرضنا هي تسرق
هل سخر العلم الحديث كآلة ... تمحو معالم عالم يستنشق

• • •

يا ويح قوم يدعون حضارة ... بلغوا بها أوجاً يشين ويسحق
يا ويح قوم همهم أن يأكلوا ... من خير غيرهم وإلا ضيقوا
ثاروا وفاروا بل أغاروا بكرة ... أو في الاصيل إغارة هي ترهق
يبغونها عوجاً فتشعل نارها ... فتكون حرباً للبرية تحلق
تقضي على حلو الحياة وعرها ... والكل تفني والمشاكل تخلق
والأمن تفقد والصغير تشيبه ... والشؤم تجلب والمصائب تدلق
لا ترحم الانسان والحيوان بل ... تمضي فتأكل ما تراه وتخلق
ويُرى ابن آدم يستغيث فلم يكن ... ليجيب دعوته شجاع مُرهق
والأم تترك ابنها وبناتها ... والمال يترك والبنا والأينق
والزوج يترك زوجه وخليله ... وترى القنابل كل صرحٍ تخرق
يوم يفر المرء فيه بنفسه ... يبغي النجاة وقلبه هو يخفق
يوم له ما بعده من سيىء ... يبقى على كر الزمان يؤرق
يوم به الضراء تنزل كلها ... فيخافها خوف الضعيف الفيلق
من كان يدعوا للسلام فقد دعا ... حقاً إلى الاسلام لا يتشدق
من كان يبغي الحرب للدنيا وللتهويل والتخريب لا يتفوق

حمص ـ الخميس في ١٦ ربيع الأول ١٣٨٢
١٦ آب ١٩٦٢

فضل الله الأنصاري
الاستاذ في ثانويات حمص

محتويات الكتاب

قسم القرآن الكريم

صفحة

المقدمة ٩

قصيدة للمؤلف في وصف القرآن الكريم ١١

سورة الفاتحة : بين يدي السورة ، جو الفاتحة ومقاصدها ، من وحي السورة ، تفسير الألفاظ اللغوية . ١٣

سورة الأحزاب : بين يدي السورة ، حكم التبني في الاسلام ، التوارث بأخوة الاسلام ، النهي عن التبرج بالدليل ، مقارنة بين مهمة الرجل ومهمة المرأة ، حكم العدة ، إباحة تعدد الزوجات للنبي ﷺ ، حكم الصلاة على النبي ﷺ ، إرشادات السورة ، تفسير الألفاظ . ١٨

سورة الصافات : بين يدي السورة ، تحليل لأهدافها وأغراضها ، قصة ابراهيم مع قومه ، موقف موسى وأخيه هارون من قومهما ، دعوة إلياس ولوط لقومهما ، قصة يونس عندما التجأ الى الفلك ، تفسير الألفاظ . ٣٤

سوره (ق) : بين يدي السورة ، عرض بعض الصور عن الأمم السابقة ، محاورة بين الانسان وقرينه ، قدرة الله في خلق السموات والأرض ، تفسير الألفاظ . ٤٤

سورة الرحمن : بين يدي السورة وجوها ، دعوة القرآن الى العلم ، أثر العلم في المجتمعات ومهمته ، دعوة القرآن الى العدل ، عرض لأخبار ٥٢

السورة ، الفائدة من تكرار آية فبأي آلاء ربكما تكذبان ، تفسير الألفاظ .

سورة المجادلة : بين يدي السورة ، الاسلام أنقذ الأسرة في إبطاله ٦٤
لحكم الظهار ، كفارة يمين الظهار ، كشف المنافقين واليهود في مناجاتهم ضد الاسلام والمسلمين . أدب المجالس في المجتمعات ، حكم مناجاة الرسول ﷺ ، تفسير الألفاظ .

سورة الانسان : بين يدي السورة ، عرض عام للسورة ، الأطوار ٧٢
التي مرت على خلق الانسان ، تقرير مبدأ القضاء والقدر ، صفات المتصدقين الأبرار والكافرين الأشرار ، تفسير الألفاظ .

سورة النبأ : بين يدي السورة ، وصف قيام الساعة ، حالة الكافرين ٧٨
وحسابهم ، حالة المؤمنين ونعيمهم ، دعوة الانسان الى التأمل فيما خلق الله تعالى ، تفسير الألفاظ .

سورة عبس : بين يدي السورة ، قصة عبدالله بن أم مكتوم الأعمى ٨٥
جو السورة ومقاصدها ، دعوة الانسان الى التفكير في طعامه ، تفسير الألفاظ .

سورة التكوير : بين يدي السورة ، الصور الهائلة ليوم القيامة ، تنزيه ٩٠
الرسول عن كل الاوصاف التي نعتته قريش بها ، تفسير الألفاظ .

سورة المطففين : بين يدي السورة ، جو السورة ومقاصدها ، محاربة ٩٥
المطففين وبيان نتائج أعمالهم ، تفسير الألفاظ .

سورة البروج : بين يدي السورة ، ضرب المثل بفرعون وأمثاله . ١٠٠

سورة الأعلى ، بين يدي السورة ، معنى تسبيح الله تعالى ، تزكية ١٠٣
النفس من الشرك والعناد ، تفسير الالفاظ .

صفحة

سورة الغاشية : بين يدي السورة ، وصف أحوال المجرمين في النار ١٠٧
وأحوال المؤمنين في الجنة ، الحض على التفكير فيما خلق الله من ابل
وسماء وجبال وأرض ، تفسير الالفاظ .

(سورة الضحى) : بين يدي السورة ، تشبيه دعوة الاسلام بضوء ١١٠
النهار ودعوة الكفار بظلمة الليل ، التحدث بنعم الله والحض على تعاهد
المسكين والسائل ، تفسير الالفاظ .

قسم الأبحاث

(عصمة الرسول في القرآن) معجزة الرسل ومقدرتهم ، كل شريعة ١١٣
مقصورة على أصحابها إلا شريعة الاسلام ، الفرق بين مبادىء الدين
ومبادىء مخالفيه ، الرسول بشر ولكنه معصوم .

(من معاني العيد) تحديد معنى كلمة العيد ، العادات الدخيلة على العيد ، ١١٨
المسلمون اليوم يهملون التفقه في دينهم والعمل بأحكامه ، حقيقة العيد
في الدين وأصل تشريعه ، أعياد المسلمين ثلاثة ، الحج مؤتمر اسلامي عالمي .

حيوية الاسلام في المجتمعات : دعوى المتحاملين على الاسلام في عدم ١٢٣
مرونته ، رد الدعوى باثبات استغلال الربا لصالح أفراد بالدليل ، التعامل
بالفائدة إثم وعدوان ، إيجاد الحلول المرضية لاستقراض المال والتعامل
بالسندات بدون فائدة ، الاسلام لم يحارب الرأسمالية ويأمر بالاشتراكية
ويحارب التواكل والكسل ، نظرة في حياة المسلمين ابان العهد
التركي ، الاسلام أحل الزينة والطيبات بلا تجاوز ، الاسلام يدعو الى
حل وسط بين الانفاق والتقتير ، الاسلام لايحرم وسائل الخدمة
والراحة ويعتبرها من نعم الله على الانسان ، الاسلام يهيب بأتباعه
أن يعملوا ويسخروا عقولهم للابداع .

صفحة

دوافع الهجرة وآثارها : الهجرة حادث تاريخي وحدث انقلابي عالمي ، الهجرة عملت على إقرار وحدانية الله تعالى ، الهجرة كانت نواة الدولة الاسلامية الكبرى ، ثمرات الهجرة الاجتماعية والخلقية والسياسية والاقتصادية ، محمد ﷺ المثل الأعلى للدولة الاسلامية في جميع السلطات . ١٣٣

فلسفة الصوم بين الروح والمادة : الغريزة الجنسية أصل في الانسان ، الصيام خير علاج للتخفيف من حدة الغرائز الحادة ، الصيام تطبيب للروح والجسم معاً ، الصيام مجدد لنشاط كل الأعضاء . ١٣٨

تحريم القمار والخمر في الشريعة : الاسلام لم يحرم شيئاً إلا لضرره ، القمار وأسلوبه في الجاهلية ، الحكم في تحريم القمار ، تعريف الخمر ، إجماع علماء الطب والأخلاق على إيذائها ، محاربة الاسلام للخمر واسلوبه في تحريمها ، الخمر داء لا دواء فيها ، مقاطعة مجالس الخمر ، واجب الدولة في مكافحة القمار والخمر . ١٤٢

اسلوب القتال في الاسلام ودعوته الى السلام : تمهيد للبحث . ١٥٠

الاسلام يدعو الى تكوين مجتمع صالح . ١٥٣

رسالة محمد ﷺ انسانية وأخلاقية . ١٥٦

مقارنة .. وعلاج .. وصحوة . ١٦٢

الفرق بين المبدأ في الاسلام والكتل الأخرى . ١٦٥

العرب حملة الاسلام ولغتهم لغة القرآن . ١٦٧

دوافع القتال والسلم في الاسلام . ١٧١

صفحة

تطبيق مبدأ السلام في القرآن . ١٧٨

اهتمام القرآن بالمعاهدات ورعايته للعهود والمواثيق . ١٨٠

نظرة الاسلام في الرق والأسرى . ١٨٤

الأبواب التي فتحها الاسلام للقضاء على نظام الرق . ١٨٧

الأسلوب الذي اتبعه الاسلام في فترة الانتقال . ١٩٤

عناية الاسلام في الرق . ١٩٥

عناية الاسلام بتربية الرق . ١٩٨

الاسلام يعتمد على الأرقاء ويأمر باطاعتهم . ٢٠٠

الاسلام دين القوة والعزة والجهاد . ٢٠٤

اقبال الشعوب على المسلمين لحسن مبدئهم ومعاملتهم . ٢٠٨

شهادة البطارقة والقسس والعلماء والمؤرخين بالمسلمين . ٢١٢

قصيدة الختام للمؤلف بعنوان (السلم والحرب) . ٢١٤

اعتذار الى القراء الكرام

وقعت بعض الأخطاء المطبعية سهواً ، ندرج ما أدركناه منها في الجدول التالي ونرجو المسامحة عما يظهر للقراء من شيء ولم نثبته ، والكريم من عذر

الخطأ	الصواب	الصفحة
وزار	وزارة	١٠
لفط	لفظ	١٥
أدعيائكم	أدعياءكم	١٩
فاز عظيما	فاز فوزاً عظيما	٢٨
ناظرين أناه	ناظرين إناه	٣٣
نطـــم	نظـــم	٣٤
انا	إنا	٣٥
وكـيز	وكبر	٥١
عليهم	عليـه	٥٥
فراش	فرش	٥٨
بطتي	بطني	٦٤
بما لم يحييك	بما لم يحيك	٦٧
مأحذ	مأخذ	٧٢
مالساعة	ما الساعة	٧٨
أن	إن	٧٨
وصفت	وضعت	١١٨
أربع عشر	أربعة عشر	١٦٣
فشد ما	فشدوا	١٨٦

ترقبوا للمؤلف

١) المعجز في القرآن

٢) أدب القرآن

٣) التعليل لأحكام الفقه بالدليل

٤) عقيدة السعيد (في نظم التوحيد)

٥) الفرائض (في نظم الفرائض)

٦) روضة الشعر (باقات شعرية ملونة)

٧) موكب النور (شعر اسلامي)

٨) الحربة الحمراء (شعر وطني)

٩) ظلال وألوان (وصف وحكميات)

١٠) المعين المبين (في قواعد اللغة العربية)

١١) الأدب في فن (تحليل لمذاهب الشعر وأصوله)

١٢) درر منثورة (تأملات وتجارب)

١٣) حقيقة الدعوة والدعاة

١٤) كيف ينتصر المسلمون

١٥) واجب المسلمين اليوم

(السعر ٤ ل. س. ل.)

مطبعة الوليد ـ حمص

BP
130.1
.A5

JUL 17 1969

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU55320414
BP130.1 .A5 Qabas min al-Quran,